



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



ارعد
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

شمس الحج النبوية

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(٢٠)

دارالعلماء للكتاب العربي
بيبي الباني انجلیٹی ویسٹ سٹریٹ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	شرح نهج البلاغه المجلد ٩
٩	اشاره
١١	اشاره
١٣	تتمه الخطب و الأوامر
١٣	اشاره
١٣	تتمه خطبه ١٣٥
١٣	اشاره
١٣	ذكر أطراف ممّا سُجّرَ بين علي و عثمان في أثناء خلافته
٢٨	فصل فيما شجر بين عثمان و ابن عباس من الكلام بحضره علي
٣٤	أسباب المنافسه بين علي و عثمان
٤١	١٣٦ و من كلام له ع
٤٣	١٣٧ و من كلام له ع في شأن طلحه و الزبير
٥٠	١٣٨ و من خطبه له ع يومئ فيها إلى ذكر الملاجيم
٥٠	اشاره
٥٢	فصل في الاعتراض و إيراد مثل منه
٥٩	١٣٩ و من كلام له ع في وقت الشورى
٥٩	اشاره
٥٩	من أخبار يوم الشورى و توليه عثمان
٦٩	١٤٠ و من كلام له ع في النهي عن غيبه الناس
٦٩	اشاره
٧٠	أقوال مأثوره في ذم الغيبه و الاستماع إلى المغتابين
٨١	حكم الغيبه في الدين
٨٦	فصل في الأسباب الباعثه على الغيبه

٨٨	طريق التوبه من الغيبه
٨٩	١٤١ و من كلام له ع
٩١	١٤٢ و من كلام له ع
٩٣	١٤٣ و من خطبه له ع فى الاستسقاء
٩٣	اشاره
٩٦	الثواب و العقاب عند المسلمين و أهل الكتاب
١٠١	١٤٤ و من خطبه له ع
١٠١	اشاره
١٠٤	اختلاف الفرق الإسلاميه فى كون الأئمه من قريش
١٠٨	١٤٥ و من خطبه له ع
١١٢	١٤٦ و من كلام له ع و قد استشاره عمر فى الشخوص لقتال الفرس بنفسه
١١٢	اشاره
١١٣	يوم القادسيه
١١٦	يَوْمُ نَهَاوَنْدَ
١٢٠	١٤٧ و من خطبه له ع
١٢٦	١٤٨ و من كلام له ع فى ذكر أهل البصره
١٢٦	اشاره
١٢٨	من أخبار يوم الجمل
١٣٠	مقتل طلحه و الزبير
١٣٣	١٤٩ و من كلام له ع قبل موته
١٤٤	١٥٠ و من خطبه له ع و يومئ فيها إلى الملاحم
١٥٥	١٥١ و من خطبه له ع
١٦٦	١٥٢ و من خطبه له ع
١٦٦	اشاره
١٦٦	أبحاث كلاميه
١٧٢	عقيدته على فى عثمان و رأى المعتزله فى ذلك

- ١٧٦----- من خطبه له ع ١٥٣
- ١٨٤----- من خطبه له ع ١٥٤
- ١٨٤----- اشاره
- ١٨٧----- ذكر الأحاديث و الأخبار الواردة في فضائل علي
- ٢٠٢----- من خطبه له ع يذكر فيها بديع خلقه الخفافش
- ٢٠٢----- اشاره
- ٢٠٤----- فصل في ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب
- ٢١٠----- من كلام له ع خاطب به أهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم
- ٢١٠----- اشاره
- ٢١١----- فصل في ترجمه عائشه و ذكر طرف من أخبارها
- ٢٢٧----- [١٥٧ في ما أخبر به ع عن الفتنه و سؤاله رسول الله ص عنها]
- ٢٣١----- من خطبه له ع ١٥٨
- ٢٣٩----- من خطبه له ع ١٥٩
- ٢٤٤----- من خطبه له ع ١٦٠
- ٢٤٥----- من خطبه له ع ١٦١
- ٢٤٥----- اشاره
- ٢٥٧----- نبذ من الأخبار و الآثار الواردة في البعد عن زينه الدنيا
- ٢٦٠----- من خطبه له ع ١٦٢
- ٢٦٤----- من كلام له ع لبعض أصحابه ١٦٣
- ٢٦٤----- اشاره
- ٢٦٧----- حديث عن إمرئ القيس
- ٢٧٥----- من خطبه له ع ١٦٤
- ٢٧٥----- اشاره
- ٢٧٦----- مباحث كلاميه
- ٢٨٤----- من كلام له ع لعثمان بن عفان ١٦٥
- ٢٨٩----- من خطبه له ع يذكر فيها عجيب خلقه الطاوس ١٦٦

- ٣٠٥ ----- ١٦٧ و من خطبه له ع
- ٣١١ ----- ١٦٨ و من خطبه له ع في أول خلافته
- ٣١٤ ----- ١٦٩ و من كلام له ع بعد ما بويع له بالخلافه
- ٣١٤ ----- اشاره
- ٣١٤ ----- موقف على من قتله عثمان
- ٣١٨ ----- ١٧٠ و من خطبه له ع عند مسير أصحاب الجمل إلى البصره
- ٣٢٢ ----- ١٧١ و من كلام له ع كلم به بعض العرب
- ٣٢٤ ----- ١٧٢ و من كلام له ع لما عزم على لقاء القوم بصفين
- ٣٢٧ ----- ١٧٣ و من خطبه له ع
- ٣٢٧ ----- اشاره
- ٣٣٥ ----- ذكر يوم الجمل و مسير عائشه إلى القتال
- ٣٤٨ ----- منافره بين ولدى على و طلحه
- ٣٤٩ ----- منافره عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس
- ٣٥٣ ----- ١٧٤ و من خطبه له ع
- ٣٥٨ ----- فهرس الخطب
- ٣٦١ ----- فهرس الموضوعات
- ٣٦٣ ----- تعريف مركز

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۷۶۹۲-۵

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوخته و عناوین نانوخته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c412c51b-cfb8-4e09-942b-8cb6448242e2/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

ذكر أطراف ممّا شجر بين علي و عثمان في أثناء خلافته

و اعلم أن هذا الكتاب يستدعي منا أن نذكر أطرافاً ممّا شجر بين أمير المؤمنين ع و عثمان أيام خلافته إذ كان هذا الكلام الذي شرحناه من ذلك النمط (١) و الشيء يذكر بنظيره و عادتنا في هذا الشرح أن نذكر الشيء مع ما يناسبه و يقتضيه ذكره.

١٨٣٨

١٤، ١- قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ السَّقِيفَةِ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنصُورِ الرَّمَادِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ أَبِي كَعْبِ الْحَارِثِيِّ (٢) وَ هُوَ ذُو الْإِدَاوَةِ (٣) قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْإِدَاوَةِ لِأَنَّهُ قَالَ إِنِّي خَرَجْتُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ ضَوَّالٍ فَتَرَوَدُّ لَبَنًا فِي إِدَاوَةٍ ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي مَا أَنْصِفُ رَبِّي فَأَيُّنَ الْوُضُوءِ فَأَرَقْتُ اللَّبْنَ وَ مَلَأْتُهَا مِيَاءً فَقُلْتُ هَذَا وَضُوءٌ وَ شَرَابٌ وَ طَفِقْتُ أَنْبَعِي إِبِلِي فَلَمَّا أَرَدْتُ الْوُضُوءَ اضْطَبَبْتُ مِنَ الْإِدَاوَةِ مَاءً فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ أَرَدْتُ الشُّرْبَ فَلَمَّا اضْطَبَبْتُهَا إِذَا لَبَنٌ فَشَرِبْتُ فَمَكَّثْتُ بِدَلِكِ ثَلَاثًا فَقَالَتْ

ص: ٣

١- ١) انظر الجزء الثامن ص ٢٥٢ إلى ٢٦٢ في أخبار أبي ذر الغفاري و إخراجهم إلى الربذه و موقف عثمان و علي منه.

٢- ٢) أبو كعب الحارثي، أورده ابن حجر في الإصابه ١٦٥: ٤؛ و نقل خبره، عن معمر في جامعه.

٣- ٣) الإداوه، بالكسر: إناء صغير من جلد.

لَهُ أَسْمَاءُ النَّحْرَانِيَّةُ يَا أَبَا كَعْبٍ أَوْ حَقِينًا كَانَ أَوْ حَلِيْبًا (١) قَالَ إِنَّكَ لَبَطَالَةٌ كَانَ يُعَصِّمُ مِنَ الْجُوعِ وَ يَزُوِي مِنَ الظَّمَا أَمَا إِنِّي حَيَّدْتُ
بِهَذَا نَفَرًا مِنْ قَوْمِي مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحَارِثِ سَيِّدُ بَنِي قِنَانَ فَلَمْ يُصَدِّقْنِي وَ قَالَ مَا أَظُنُّ الَّذِي تَقُولُ كَمَا قُلْتَ فَقُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَ
رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَبِتُّ لَيْلَتِي تَلْعَكَ فَمَا إِذَا بِهِ صَلَاهُ الصُّبْحِ عَلَى بِيَابِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ رَحِمَكَ اللَّهُ لِمَ تَعْنَيْتَ أَلَا أَرْسَيْتَ إِلَيَّ
فَأَتِيكَ فَمَا إِنِّي لَأَحِقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ قَالَ مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ إِلَّا أَتَانِي آتٍ فَقَالَ أَنْتَ الَّذِي تُكذِّبُ مَنْ يُحَدِّثُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو
كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَ هُوَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِي وَ قُلْتُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ فَأُمِرُّ حَاجِبَكَ أَلَا يَحْجُبُنِي فَقَالَ يَا وَثَابُ إِذَا
جِئْتَ كَ هَذَا الْحَارِثِيُّ فَأَذِنَ لَهُ قَالَ فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ فَفَرَعْتُ الْبَابَ قَالَ مَنْ ذَا فَقُلْتُ الْحَارِثِيُّ فَيَقُولُ ادْخُلْ فَدَخَلْتُ يَوْمًا إِذَا عُثْمَانُ
جَالِسٌ وَ حَوْلَهُ نَفَرٌ سِيكُوتٌ لَا يَتَكَلَّمُونَ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ فَلَمَّ أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حَالِهِمْ وَ
حَالِهِ فَيُنِينَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ نَفَرٌ فَقَالُوا إِنَّهُ أَبِي أَنْ يَجِيءَ قَالَ فَغَضِبَ وَ قَالَ أَبِي أَنْ يَجِيءَ أَذْهَبُوا فَجِئُوا بِهِ فَإِنْ أَبِي فَجُرُّوهُ جُرًّا.

قَالَ فَمَكَتُ قَلِيلًا فَجَاءُوا وَ مَعَهُمْ رَجُلٌ آدَمُ طَوَالُ أَصْلَعٌ فِي مُقَدِّمِ رَأْسِهِ شَعْرَاتٌ وَ فِي قَفَاهُ شَعْرَاتٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا عَمَّارُ بْنُ
يَاسِرٍ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ أَنْتَ الَّذِي تَأْتِيكَ رُسُلُنَا فَتَأْبَى أَنْ تَجِيءَ قَالَ فَكَلَّمَهُ بِشَيْءٍ لَمْ أَدْرِ مَا هُوَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَا زَالُوا

يَنْفُضُونَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي فَقَامَ فَقُلْتُ وَ اللَّهُ لَا أَسْأَلُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَحَدًا أَقُولُ حَدَّثَنِي فُلَانٌ حَتَّى أُدْرِيَ مَا يَصْنَعُ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَمَّارٌ جَالِسٌ إِلَى سَارِيهِ وَ حَوْلَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَبْكُونَ فَقَالَ عُثْمَانُ يَا وَثَابُ عَلَيَّ بِالشُّرْطِ فَجَاءُوا فَقَالَ فَرَّقُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ فَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ أُفِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ فَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا كَبَّرَ قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ حُجْرَتِهَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثُمَّ تَكَلَّمَتْ وَ ذَكَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص وَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ ثُمَّ قَالَتْ تَرَكْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ وَ خَالَفْتُمْ عَهْدَهُ... وَ نَحْوَ هَذَا ثُمَّ صَيَّمَتْ وَ تَكَلَّمَتْ امْرَأَةٌ أُخْرَى بِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا هُمَا عَائِشَةُ وَ حَفْصَةُ. قَالَ فَسَلَّمَ عُثْمَانُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَ قَالَ إِنَّ هَاتَيْنِ لَمَفْتَانَتَانِ يَجِلُّ لِي سَبُّهُمَا وَ أَنَا بِأَصْلِهِمَا عَالِمٌ.

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أ تَقُولُ هَذَا لِحَبَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ وَ فِيهِمْ أَنْتَ وَ مَا هَاهُنَا ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ سَعْدٍ عَامِدًا لِيَضْرِبَهُ فَاَنْسَلَ سَعْدٌ. فَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاتَّبَعَهُ عُثْمَانُ فَلَقِيَ عَلِيًّا ع بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ لَهُ ع أَيَّنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ هَذَا الَّذِي كَذَا وَ كَذَا يَعْنِي سَعْدًا يَشْتِمُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ع أَيُّهَا الرَّجُلُ دَعْ عَنْكَ هَذَا قَالَ فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ حَتَّى غَضِبَا فَقَالَ عُثْمَانُ أ لَسْتَ الَّذِي خَلَّفَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَهُ يَوْمَ تَبَوَّكَ فَقَالَ عَلِيٌّ أ لَسْتَ الْفَارَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ ثُمَّ حَجَزَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا قَالَ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْكُوفَةِ فَوَجِدْتُ أَهْلَهَا أَيْضًا وَقَعَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ وَ نَشِيبُوا فِي الْفِتْنَةِ وَ رَدُّوا سَيْعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَلَمْ يَدْعُوهُ يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَجَعْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بِلَادَ قَوْمِي

١٤، ١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي كِتَابِ الْمَوْفَّقِيَّاتِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا بَنَى عُثْمَانُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَبَلَغَهُ فَخَطَبْنَا فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ ثُمَّ صَلَّى بِنَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِثْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ النُّعْمَةَ إِذَا حَدَّثَتْ حَدِيثًا لَهَا حُسَادٌ حَسِبَهَا وَ أَعِيدَاءُ قَدَرَهَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَدِّثْ لَنَا نِعْمًا لِيُحَدِّثْ لَهَا حُسَادًا عَلَيْهَا وَ مُنَافِسُونَ فِيهَا وَ لَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ بِنَاءِ مَنْزِلِنَا هَذَا مَا كَانَ إِرَادَةَ جَمْعِ الْمَالِ فِيهِ وَ ضَمِّ الْقَاصِدِ إِلَيْهِ فَأَتَانَا عَنْ أَنَسٍ مِنْكُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَخَذَ فَيْئَنَا وَ أَنْفَقَ شَيْئَنَا وَ اسْتَأْثَرَ بِأَمْوَالِنَا يَمْشُونَ خَمْرًا (١) وَ يَنْطِقُونَ سِرًّا كَأَنَّا عُيْبٌ عَنْهُمْ وَ كَأَنَّهُمْ يَهَابُونَ مُوَاجَهَتَنَا مَعْرِفَهُ مِنْهُمْ بِمُدْحُوضِ حُجَّتِهِمْ فَإِذَا غَابُوا عَنَّا يَرُوحُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَذْكُرْنَا وَ قَدْ وَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنْ نُظْرَانِهِمْ وَ مُوَازِرِينَ مِنْ شَبَابِهِمْ فَبُعِيدًا بُعِيدًا وَ رَغْمًا رَغْمًا ثُمَّ أَنْشَدَ بَيْنَيْنِ كَأَنَّهُ يَوْمِي فِيهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ع . تَوَقَّدَ بِنَارِ أَيْتِمَا كُنْتُ وَ اشْتَعَلَ

مِيَائِي وَ لَفَيْتُكُمْ وَ أَخَذَ مَالَكُمْ أَلَسْتُ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا وَ أَظْهَرِهِمْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً أَلَمْ أَكُنْ عَلَى ذِمَّتِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَ بَعِيدَهُ وَ هَبُونِي بَنِيَتْ مَنْزِلًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَلَيْسَ هُوَ لِي وَ لَكُمْ أَلَمْ أَقِمَّ أُمُورَكُمْ وَ إِنِّي مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِكُمْ فَمَا تَفْقَدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ شَيْئًا فَلِمَ لَا أَصْنَعُ فِي الْفَضْلِ مَا أَحْبَبْتُ فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا إِذَا.

أَلَا وَ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكُمْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ لِنَفْعَلَنَّ بِهِ وَ لِنَفْعَلَنَّ فَبِمَنْ تَفْعَلُونَ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ أَمْ يَنْقُصُ الْبِقَاعِ أَمْ يَفْقَعُ الْقَاعِ أَلَسْتُ أَحْرَاكُمْ إِنْ دَعَا أَنْ يُجَابَ وَ أَقْمَنُكُمْ إِنْ أَمَرَ أَنْ يُطَاعَ

ص: ٦

(١- ١) في المثل: «هو يدب له الضراء، و يمشى له الخمر»، يقال لمن ختل صاحبه.

لَهْفِي عَلَى بَقَائِي فِيكُمْ بَعْدَ أَصْحَابِي وَ حَيَاتِي فِيكُمْ بَعْدَ أُتْرَابِي يَا لَيْتَنِي تَقَدَّمْتُ قَبْلَ هَذَا لِكُنِّي لَا أَحِبُّ خِلَافَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ لِي عَزَّ
وَ جَلَّ إِذَا شِئْتُمْ فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمُصَدِّقَ مُحَمَّدًا ص قَدْ حَدَّثَنِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِكُمْ وَ هَيْدَا يَدِي ذَلِكَ وَ أَوْلُهُ فَكَيْفَ
الْهَرَبُ مِمَّا حَتِمَ وَ قُدِّرَ أَمَا إِنَّهُ ع قَدْ بَشَّرَنِي فِي آخِرِ حَدِيثِهِ بِالْجَنَّةِ دُونَكُمْ إِذَا شِئْتُمْ فَلَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ.

قَالَ ثُمَّ هَمَّ بِالنُّزُولِ فَبَصُرَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع وَ مَعَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ هَوَاهُ يَتَنَاجَوْنَ فَقَالَ إِيهَا إِيهَا أ
سِرَارًا لَا جَهْرًا أَمِيَا وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُحْنِقُ عَلَى جِرِّهِ وَ لَا أُوتِي مِنْ ضَعْفِ مِرِّهِ وَ لَوْ لَا النَّظْرُ لِي وَ لَكُمْ وَ الرَّفْقُ بِي وَ بِكُمْ
لَعَاجَلْتُكُمْ فَقَدْ اغْتَرَزْتُمْ وَ أَفَلْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو وَ يَقُولُ اللَّهُمَّ قَدْ تَعَلَّمْتُ حُبِّي لِلْعَافِيَةِ فَالْبِسْنِيهَا وَ إِثَارِي لِلسَّلَامَةِ فَاتِنِيهَا.

قَالَ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَنْ عَلِيٍّ ع وَ قَامَ عِدِيُّ بْنُ الْخِيَارِ فَقَالَ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النُّعْمَةَ وَ زَادَكَ فِي الْكِرَامَةِ وَ اللَّهُ لَأَنَّ
تُحْسِدَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ تُحْسِدَ وَ لَأَنَّ تَنَافَسَ أَجْلٌ مِنْ أَنْ تَنَافَسَ أَنْتَ وَ اللَّهُ فِي حَسَبِنَا الصَّمِيمِ وَ مَنْصِبِنَا الْكَرِيمِ إِنْ دَعَوْتَ أُجِبْتَ وَ
إِنْ أَمَرْتَ أُطِيعْتَ فَقُلْ نَفْعِلْ وَ اذْعُ تَحِبُّ جُعِلَتِ الْخَيْرَةُ وَ الشُّورَى إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِيُخْتَارُوا لَهُمْ وَ لِيُغَيَّرَهُمْ وَ إِيَّاهُمْ
لَيَرُونَ مَكَانَكَ وَ يَعْرِفُونَ مَكَانَ غَيْرِكَ فَاخْتَارُواكَ مُبِينِينَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَ لَا مُجْبَرِينَ مَا غَيَّرْتَ وَ لَا فَارَقْتَ وَ لَا بَدَّلْتَ وَ لَا
خَالَفْتَ فَعَلَامَ يُقَدِّمُونَ عَلَيْكَ وَ هَذَا رَأْيُهُمْ فِيكَ أَنْتَ وَ اللَّهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ إِذْ هَبَّ إِلَيْكَ فَمَا لِلْحُسُودِ إِلَّا طَلَابِكُ تَحْتَ الْعِثَارِ

فَقَالَ وَنَزَلَ عُثْمَانُ فَأَتَى مَنْزِلَهُ وَآتَاهُ النَّاسُ وَفِيهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَحْمَدُوا مَجَالِسَهُمْ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ مَا لِي وَلكُمْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا أَعْرَاكُمْ بِي وَأَوْلَعَكُمْ بِتَعَقُّبِ أَمْرِي أَتَنْقِمُونَ عَلَيَّ أَمْرَ الْعِيَامِ أَتَيْتُ مِنْ وَرَاءِ حُقُوقِهِمْ أَمْ أَمْرِكُمْ فَقَدْ جَعَلْتُهُمْ يَتَمَنُونَ مَنْزِلَتَكُمْ لَا وَاللَّهِ لَكِنَّ الْحَسِيدَ وَالْبَغِيَّ وَتَثْوِيرَ الشَّرِّ وَإِخْيَاءَ الْفِتَنِ وَاللَّهِ لَقَدْ أَلْقَى النَّبِيُّ صَ إِلَى ذَلِكِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا أَنَا بِمَكْذُوبٍ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى رَسُولِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ مَا عَهَدْتُكَ جَهْرًا بِسِرِّكَ وَلَا مَظْهَرًا مَا فِي نَفْسِكَ فَمَا الَّذِي هَيَّجَكَ وَثَوَّرَكَ إِنَّا لَمْ يُوَلِّعْنَا بِكَ أَمْرًا وَ لَمْ نَتَعَقَّبْ أَمْرَكَ بِشَيْءٍ أُتَيْتَ بِالْكَذِبِ وَتُسَوِّفُ عَلَيْكَ بِالْبَاطِلِ وَاللَّهِ مَا نَقَمْنَا عَلَيْكَ لَنَا وَلَا لِلْعِيَامِ قَدْ أُوتِيَتْ مِنْ وَرَاءِ حُقُوقِنَا وَحُقُوقِهِمْ وَقَضَيْتَ مَا يَلْزُمُكَ لَنَا وَ لَهُمْ فَأَمَّا الْحَسِيدُ وَالْبَغِيُّ وَ تَثْوِيرُ الْفِتَنِ وَإِخْيَاءُ الشَّرِّ فَمَتَى رَضَيْتَ بِهِ عَثْرَةَ النَّبِيِّ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَ كَيْفَ وَهُمْ مِنْهُ وَإِلَيْهِ عَلَى دِينِ اللَّهِ يُثَوِّرُونَ الشَّرَّ أَمْ عَلَى اللَّهِ يُحْيُونَ الْفِتْنَ كَلَّا لَيْسَ الْبَغِيُّ وَلَا الْحَسِيدُ مِنْ طِبَاعِهِمْ فَاتِّدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَبْصِرْ أَمْرَكَ وَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّ حَالَتِكَ الْأُولَى خَيْرٌ مِنْ حَالَتِكَ الْأُخْرَى لَعَمْرِي إِنْ كُنْتُ لَأَثِيرًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يُفْضَى إِلَيْكَ بِسِرِّهِ مَا يَطْوِيهِ عَنْ غَيْرِكَ وَلَا كَذَبْتُ وَلَا أَنْتَ بِمَكْذُوبٍ اخْسَأْ (٢) الشَّيْطَانُ عَنْكَ وَلَا يَزُكِّبُكَ وَ اغْلِبْ غَضَبَكَ وَلَا يَغْلِبُكَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ مِنْكَ.

قَالَ دَعَانِي إِلَيْهِ ابْنُ عَمِّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَسَى أَنْ يُكَذِّبَ مُبْلِغَكَ قَالَ عُثْمَانُ إِنَّهُ ثِقَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ لَيْسَ بِنِقَاحِهِ مَنْ بَلَغَ وَأَعْرَى قَالَ عُثْمَانُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ اللَّهُ إِنْكَ مَا تَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ مَا شَكَوْتُ مِنْهُ قَالَ اللَّهُمَّ لَا إِلَا أَنْ يَقُولَ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ وَبِنِقَاحِهِ كَمَا يَنْقِمُونَ فَمَنْ أَعْرَاكَ بِهِ وَأَوْلَعِكَ بِذِكْرِهِ دُونَهُمْ فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّمَا آفَتِي مِنْ أَعْظَمِ الدَّاءِ الَّذِي يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِرَأْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ عَلِيُّ ابْنُ عَمِّكَ وَهَذَا وَاللَّهِ كُلُّهُ مِنْ نَكَدِهِ وَشُومِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَهَلًا اسْتَيْتَنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ إِنِّي أَنْشُدُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ الْإِسْلَامَ وَالرَّحِمَ فَقَدَّ وَاللَّهِ غَلَبْتُ وَابْتَلَيْتُ بِكُمْ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ صَارَ إِلَيْكُمْ دُونِي فَحَمَلْتُمُوهُ عَنِّي وَكُنْتُ أَحَدًا أَعْوَانِكُمْ عَلَيْهِ إِذَا وَاللَّهِ لَوْ جَدْتُ مُنُونِي لَكُمْ خَيْرًا مِمَّا وَجَدْتُكُمْ لِي وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَكُمْ وَ لَكِنَّ قَوْمَكُمْ دَفَعُوا عَنْهُ وَ اخْتَرَلُوهُ دُونَكُمْ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَدَفَعُوهُ عَنْكُمْ أَمْ دَفَعُوا عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَهَلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا نَنْشُدُكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ وَالرَّحِمَ مِثْلَ مَا نَشَدْتَنَا أَنْ تَطْمَعَ فِينَا وَفِيكَ عُدْوًا وَتُشْمِتَ بِنَا وَبِكَ حَسُودًا إِنَّ أَمْرَكَ إِلَيْكَ مَا كَانَ قَوْلًا فَإِذَا صَارَ فِعْلًا فَلَيْسَ إِلَيْكَ وَلَا فِي يَدَيْكَ وَ إِنَّا وَاللَّهِ لَنَخَالِفَنَّ إِنْ خُولِفْنَا وَ لَنَنَازِعَنَّ إِنْ نُوزِعْنَا وَ مَا تَمْنِيكَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَيْنَا دُونَكَ إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ وَ يَعِيبُ كَمَا عَابُوا فَأَمَّا صِرْفُ قَوْمِنَا عَنَّا الْأَمْرَ فَعَنْ حَسَدٍ قَدَّ وَاللَّهِ عَرَفْتُهُ وَ بَعِي قَدَّ وَاللَّهِ عَلِمْتُهُ فَاللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَدَفَعُوهُ عَنَّا أَمْ دَفَعُونَا عَنْهُ فَلَعَمْرِي إِنَّكَ لَتَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْ صَارَ إِلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ مَا زِدْنَا بِهِ فَضْلًا إِلَى فَضْلِنَا وَ لَا قَدْرًا إِلَى قَدْرِنَا وَ إِنَّا لِلْأَهْلِ الْفَضْلِ وَ أَهْلُ الْقَدْرِ وَ مَا فَضْلٌ فَاضِلٌ إِلَّا بِفَضْلِنَا وَ لَا سَبَقٌ سَابِقٌ إِلَّا بِسَبْقِنَا وَ لَوْ لَا هُدَيْنَا مَا اهْتَدَى أَحَدٌ وَ لَا أَبْصَرُوا مِنْ عَمَى وَ لَا قَصَدُوا مِنْ جَوْرِ.

فَقَالَ عُثْمَانُ حَتَّى مَتَى يَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَا تَبِيْنِي عَنْكُمْ مَا يَا تَبِيْنِي هُبُونِي كُنْتُ بَعِيدًا أَمَا كَانَ لِي مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ أَنْ أُرَاقِبَ وَ أَنْ أُنَظِرَ بَلَى وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ وَ لَكِنَّ الْفُرْقَةَ

سَهَلْتُ لَكُمْ الْقَوْلَ فِيَّ وَ تَقَدَّمْتُ بِكُمْ إِلَى الْإِسْرَاعِ إِلَيَّ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَهْلًا حَتَّى أَلْقَى عَلِيًّا ثُمَّ أَحْمِلَ إِلَيْكَ عَلَى قَدْرِ مَا رَأَى قَالَ عُثْمَانُ أَفْعَلُ فَقَدْ فَعَلْتَ وَ طَالَمَا طَلَبْتَ فَلَا أُطَلِّبُ (١) وَ لَا أُجَابُ وَ لَا أُعْتَبُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَخَرَجْتُ فَلَقِيْتُ عَلِيًّا وَ إِذَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَ التَّلَطُّيِ أَضْعَافَ مَا بِعُثْمَانَ فَأَرَدْتُ تَسْكِينَهُ فَاَمْتَنَعُ فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي وَ أَغْلَقْتُ بَابِي وَ اعْتَزَلْتُهُمَا فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ وَ قَدْ هَدَأَ غَضَبُهُ فَظَنَرْتُ إِلَيَّ ثُمَّ ضَحِكُكَ وَ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا إِنَّ تَزَوَّكَ الْعُودَ إِلَيْنَا لَدَلِيلٌ عَلَى مَا رَأَيْتَ عِنْدَ صَاحِبِكَ وَ عَرَفْتَ مِنْ حَالِهِ فَاللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ خُذْ بِنَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَكَانَ عُثْمَانُ بَعِيدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ عَنْ عَلِيٍّ شَيْءٌ فَأَرَدْتُ التَّكْذِيبَ عَنْهُ يَقُولُ وَ لَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ أَبْطَأَتْ عَنَّا وَ تَرَكْتَ الْعُودَ إِلَيْنَا فَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْهِ

١٨٤٠

١٤١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَيْضًا فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي سَيِّحْرًا أَسْبَقُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَ أَطْلُبُ الْفِضَّةَ يَلَهُ فَسَمِعْتُ خَلْفِي حِسًّا وَ كَلَامًا فَتَسَمَعْتُهُ فَإِذَا حِسُّ عُثْمَانَ وَ هُوَ يَدْعُو وَ لَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا يَسْمَعُهُ وَ يَقُولُ اللَّهُمَّ قَدْ تَعَلَّمَ نَبِيَّتِي فَأَعِنِّي عَلَيْهِمْ وَ تَعَلَّمَ الَّذِينَ ابْتَلَيْتَ بِهِمْ مِنْ ذَوِي رَحْمِي وَ قَرَابَتِي فَأَصْلِحْنِي لَهُمْ وَ أَصْلِحْهُمْ لِي.

قَالَ فَقَضَيْتُ مِنْ حُطُوتِي وَ أَسِيرَعُ فِي مَشِيَّتِي فَالْتَقَيْنَا فَسَلَّمَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ إِنِّي خَرَجْتُ لِنَلْتَنَّا هَذِهِ أَطْلُبُ الْفِضْلَ وَ الْمُسَابَقَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ إِنَّهُ أَخْرَجَنِي مِمَّا أَخْرَجَكَ فَصَالَ وَ اللَّهُ لَئِنْ سَابَقْتَ إِلَيَّ الْخَيْرِ إِنَّكَ لِمِنْ سَابِقِينَ مُبَارَكِينَ وَ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ وَ أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّكُمْ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا لَنُحِبُّكَ وَ نَعْرِفُ سَابِقَتَكَ وَ سَيْنَتَكَ وَ قَرَابَتَكَ وَ صِهْرَكَ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَمَا لِي وَ لِابْنِ عَمِّكَ وَ ابْنِ خَالِي قُلْتُ أَيُّ بَنِي عُمُومَتِي وَ بَنِي أَخْوَالِكَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ أَسْأَلَ مَسْأَلَةَ الْجَاهِلِ.

ص: ١٠٠

١- (١) أطلب فلان فلانا، أجاهبه إلى طلبه.

قُلْتُ إِنَّ بَنِي عُمُومَتِي مِنْ بَنِي خُثُولَتِكَ كَثِيرٌ فَأَيُّهُمْ تَعْنِي قَالَ أَعْنِي عَلِيًّا لَا غَيْرَهُ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا
وَلَا أَعْرِفُ لَهُ إِلَّا حُسْنًا قَالَ وَاللَّهِ بِالْحَرِيِّ أَنْ يَسْتُرَ دُونَكَ مَا يُظْهِرُهُ لِغَيْرِكَ وَيَقْبِضَ عَنْكَ مَا يَتَبَسِّطُ بِهِ إِلَى سِوَاكَ.

قَالَ وَرُمِينَا بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فَسَلَّمَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ سَلَامَهُ ثُمَّ قَالَ مَنْ مَعَكَ قُلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ قَالَ نَعَمْ وَسَلَّمَ بِكُنْيَتِهِ وَ لَمْ يُسَلِّمْ
عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ عَمَّارُ مَا الَّذِي كُنْتُمْ فَقَدْ سَمِعْتُ ذَرْوًا (١) مِنْهُ قُلْتُ هُوَ مَا سَمِعْتَ فَقَالَ عَمَّارُ رَبُّ مَظْلُومٍ غَافِلٌ وَ
ظَالِمٌ مُتَجَاهِلٌ قَالَ عُثْمَانُ أَمَا إِنَّكَ مِنْ شَتَائِنَا وَ أَتْبَاعِهِمْ وَ أَيُّمَ اللَّهِ إِنَّ الْيَدَ عَلَيْكَ لَمُتَبَسِّطَةٍ وَ إِنَّ السَّبِيلَ إِلَيْكَ لَسَهْلَةٌ وَ لَوْ لَا إِيثَارُ
الْعَافِيَةِ وَ لَمْ الشَّعْبُ لَزَجَرْتُكَ زَجْرَةً تَكْفِي مَا مَضَى وَ تَمْنَعُ مَا بَقِيَ.

فَقَالَ عَمَّارُ وَاللَّهِ مَا أَعْتَدِرُ مِنْ حُبِّي عَلِيًّا وَ مَا الْيَدُ بِمُتَبَسِّطَةٍ وَ لَا السَّبِيلُ بِسَهْلَةٍ إِنِّي لَأَزِمُ حُجَّهً وَ مُقِيمٌ عَلَى سُنَّهِ وَ أَمَا إِيثَارُكَ الْعَافِيَةَ
وَ لَمْ الشَّعْبُ فَلَا زِمٌ ذَلِكَ وَ أَمَا زَجْرِي فَأَمْسِكْ عَنْهُ فَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي فَقَالَ عُثْمَانُ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ مِنْ أَعْوَانِ
الشَّرِّ الْحَاضِينَ عَلَيْهِ الْخَذْلَةَ عِنْدَ الْخَيْرِ وَ الْمُتَّبِطِينَ عَنْهُ فَقَالَ عَمَّارُ مَهَلًا يَا عُثْمَانُ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَصِفُنِي بِغَيْرِ ذَلِكَ قَالَ
عُثْمَانُ وَ مَتَى قَالَ يَوْمَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ مُنْصِرِفَهُ عَنِ الْجُمُعَةِ وَ لَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرُكَ وَ قَدْ أَلْقَى ثِيَابَهُ وَ قَعَدَ فِي فَضْلِهِ (٢) فَقَبَّلْتُ صَدْرَهُ وَ
نَحْرَهُ وَ جَبْهَتَهُ فَقَالَ يَا عَمَّارُ إِنَّكَ لَتُحِبَّنَا وَ إِنَّا لَنُحِبُّكَ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَاعُونِ عَلَى الْخَيْرِ الْمُتَّبِطِينَ عَنِ الشَّرِّ فَقَالَ عُثْمَانُ أَنْ أُحِيلَ وَ
لِكِنَّكَ غُيِّرَتْ وَ بَدَّلَتْ قَالَ فَرَفَعَ عَمَّارُ يَدَهُ يَدْعُو وَ قَالَ أَمِنْ يَا ابْنَ عَبَّاسِ اللَّهُمَّ مَنْ غُيِّرَ فَعَيِّرْ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ وَ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَأَهْوَى عَمَّارٌ إِلَى مُصَلَّاهُ وَ مَضَيْتُ مَعَ عُثْمَانَ إِلَى الْقَبْلَةِ

ص: ١١

١-١) الذرو:الطرف من القول.

٢-٢) الفضل:الثوب يلبسه الرجل فى بيته.

فَدَخَلَ الْمِحْرَابَ وَقَالَ تَلَبُّثٌ عَلَيَّ إِذَا انْصَرَفْنَا فَلَمَّا رَأَى عَمَّارًا وَخِيْدِي أَتَانِي فَقَالَ أَمَا رَأَيْتَ مَا بَلَغَ بِي آتِنَا قُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَصْعَبَتْ بِهِ وَأَصْعَبَ بِكَ وَإِنَّ لَهُ لِسِنَّهُ وَفَضْلِهِ وَقَرَابَتِهِ قَالَ إِنَّ لَهُ لِدَلِيكَ وَ لَكِنْ لَا حَقَّ لِمَنْ لَا حَقَّ عَلَيْهِ وَ انْصَرَفَ .

وَ صِيَلَى عُثْمَانَ وَ انْصَرَفْتُ مَعَهُ يَتَوَكَّأُ عَلَيَّ فَقَالَ هَلْ سَمِعْتِ مَا قَالَ عَمَّارٌ قُلْتُ نَعَمْ فَسَرَرَنِي ذَلِكَ وَ سَاءَنِي أَمَا مَسَاءَتُهُ إِيَّايَ فَمَا بَلَغَ بِكَ وَ أَمَا مَسَرَّتُهُ لِي فَحِلْمُكَ وَ احْتِمَالُكَ فَقَالَ إِنَّ عَلِيًّا فَارَقَنِي مُنْذُ أَيَّامِ عَلَى الْمُقَارَبَةِ وَ إِنَّ عَمَّارًا آتَيْهِ فَقَائِلٌ لَهُ وَ قَائِلٌ فَاْبْدُرُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّكَ أَوْثَقُ عِنْدَهُ مِنْهُ وَ أَصْدَقُ قَوْلًا فَالْتَقِ الْأَمْرَ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ فَقُلْتُ نَعَمْ .

وَ انْصَرَفْتُ أَرِيدُ عَلِيًّا ع فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ فَلَمَّا رَأَى تَفَجَّعَ لِي مِنْ قُوْتِ الصَّلَاةِ وَ قَالَ مَا أَدْرَكْتَهَا قُلْتُ بَلَى وَ لَكِنِّي خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ افْتَصَيْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّهُ لَيَقْرِفُ قَرْحَهُ لِيُحَوْرَنَّ عَلَيْهِ أَلْمَهَا (١) فَقُلْتُ إِنَّ لَهُ سِنَّهُ وَ سَابِقَتُهُ وَ قَرَابَتَهُ وَ صِهْرَهُ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ لَهُ وَ لَكِنْ لَا حَقَّ لِمَنْ لَا حَقَّ عَلَيْهِ .

قَالَ ثُمَّ رَهَقْنَا (٢) عَمَّارٌ فَبَشَّ بِهٖ عَلِيٌّ وَ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ وَ سَأَلَهُ فَقَالَ عَمَّارٌ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ هَلْ أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مَا كُنَّا فِيهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِذَا لَقَدْتُ قُلْتَ بِلِسَانِ عُثْمَانَ وَ نَطَقْتَ بِهِوَاهُ قُلْتُ مَا عِدَوْتُ الْحَقَّ جُهْدِي وَ لَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَى الْحَظَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَ أَى الْحَقَّيْنِ أَوْجَبُ عَلَيَّ .

قَالَ فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّ عِنْدَ عَمَّارٍ غَيْرَ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ فَأَحْذَ بِيَدِهِ وَ تَرَكَ يَدِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مَكَانِي فَتَخَلَّفْتُ عَنْهُمَا وَ انْشَعَبَ بِنَا الطَّرِيقُ فَسَلَكَاهُ وَ لَمْ يَدْعُنِي فَانْطَلَقْتُ إِلَى مَنَزَلِي فَإِذَا رَسُولُ عُثْمَانَ يَدْعُونِي فَاتَيْتُهُ فَأَجِدُ بِيَابِهِ مَرْوَانَ وَ سَعِيدَ بَنَ الْعَاصِ .

ص: ١٢

١ - ١) يقال: قرف القرحة، أى قشرها بعد يبسها؛ و ليحورن: ليرجعن.

٢ - ٢) رهقنا: غشنا.

فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي أُمَّيَّةَ فَأَذِنَ لِي وَالطَّفَنِيَّ وَفَرَّيْنِي وَأَذْنِي مَجْلِسِي ثُمَّ قَالَ مَا صَدَعْتَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبْرِ عَلَيَّ وَجْهِهِ وَمَا قَالَ الرَّجُلُ وَقُلْتُ لَهُ وَكَتَمْتُهُ قَوْلَهُ إِنَّهُ لَيَقْرَفُ فَرَحَهُ لَيَحُورَنَّ عَلَيْهِ أَلْمَهَاءُ إِبْتِغَاءً عَلَيْهِ وَإِجْلَالًا لَهُ وَذَكَرْتُ مَجِيءَ عَمَّارٍ وَبَشَّ عَلِيًّا لَهُ وَظَنَّ عَلِيًّا أَنَّ قَبِيلَهُ غَيْرُ مَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ وَسَيَلُوهُمَا حَيْثُ سَيَلَاكَ قَالَ وَفَعَلًا قُلْتُ نَعَمْ فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ أَصْلِحْ لِي عَلِيًّا وَأَصْلِحْ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَأَمَّنْتُ ثُمَّ تَحَدَّثْنَا طَوِيلًا وَفَارَقْتُهُ وَآتَيْتُ مَنْزِلِي

١٨٤١

١- وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَا سَجَعْتُ مِنْ أَبِي شَيْئًا قَطُّ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ يَلُومُهُ فِيهِ وَلَا يُعْذِرُهُ وَلَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ أَهْجِمَ مِنْهُ عَلَيَّ مَا لَا يُؤَافِقُهُ فَإِنَّا عِنْدَهُ لَيْلَةٌ وَنَحْنُ نَتَعَشَّى إِذْ قِيلَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بِالْبَابِ فَقَالَ انْزِلْنَا لَهُ فَدَخَلَ فَأَوْسَعَ لَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَصَابَ مِنَ الْعِشَاءِ مَعَهُ فَلَمَّا رَفَعَ قَامَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ وَتَبَّتْ أَنَا فَحَمِدَ عُثْمَانُ اللَّهَ وَآتَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ يَا خَالَ فَإِنِّي قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَعْذِرُكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ عَلِيٍّ سَيِّئِي وَشَهْرٍ أَمْرِي وَقَطَعَ رَحِمِي وَطَعَنَ فِي دِينِي وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنْ كَانَ لَكُمْ حَقٌّ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَرَكْتُمُوهُ فِي يَدَيَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رَحِمًا مِنْهُ وَمَا لُمْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا عَلِيًّا وَلَقَدْ دُعِيتُ أَنْ أَبْسُطَ عَلَيْهِ فَتْرَتَهُ لِلَّهِ وَالرَّحِمِ وَأَنَا أَخَافُ أَلَّا يَنْتَرِكَنِي فَلَا أَتْرَكُهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَحَمِدَ أَبِي اللَّهَ وَآتَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ يَا ابْنَ أُخْتِي فَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَلِيًّا لِنَفْسِكَ فَإِنِّي لَا أَحْمَدُكَ لِعَلِيٍّ وَمَا عَلِيٌّ وَخَدَهُ قَالَ فِيكَ بَلْ غَيْرُهُ فَلَوْ أَنَّكَ

ص: ١٣

اتَّهَمْتَ نَفْسَكَ لِلنَّاسِ اتَّهَمَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ لَكَ وَ لَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ مِمَّا رَقِيتَ وَ ارْتَقَوْا مِمَّا نَزَلُوا فَأَخَذَتْ مِنْهُمْ وَ أَخَذُوا مِنْكَ مَا كَانَ بِذَلِكَ بِأَسُّ قَالَ عُثْمَانُ فَذَلِكَ إِلَيْكَ يَا خَالٍ وَ أَنْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ قَالَ أَفَأَذُكُرُ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ وَ انصَرَفَ فَمَا لَبِثْنَا أَنْ قِيلَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَجَعَ بِالْبَابِ قَالَ أَبِي ائْذُنُوا لَهُ فَدَخَلَ فَقَامَ قَائِمًا وَ لَمْ يَجْلِسْ وَ قَالَ لَا تَعْجَلْ يَا خَالٍ حَتَّى أُوذِنَكَ فَنَظَرْنَا فَإِذَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ كَمَا نَجَلِيسًا بِالْبَابِ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى خَرَجَ فَهُوَ الَّذِي ثَنَاهُ عَنْ رَأْيِهِ الْأَوَّلِ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبِي وَ قَالَ يَا بُنَيَّ مَا إِلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّ أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ حَتَّى تَرَى مَا لَا يُدُّ مِنْهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْبِقْ بِي مَا لَا خَيْرَ لِي فِي إِذْرَاكِهِ فَمَا مَرَّتْ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٨٤٢

١- رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ عَنْ قَنْبَرِ مَوْلَى عَلِيٍّ ع قَالَ دَخَلْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيَّ عُمَيْرَانَ فَمَاحَبًا الْخُلُوةَ فَأَوْمِيًا إِلَيَّ عَلِيٌّ ع بِالتَّنْحِي فَتَنَحَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَجَعَلَ عُمَيْرَانُ يُعَايِبُهُ وَ عَلِيٌّ مُطْرِقٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ وَ قَالَ مَا لَكَ لَا تَقُولُ قَالَ إِنْ قُلْتُ لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا تَكْرَهُ وَ لَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا تُحِبُّ

قال أبو العباس تأويل ذلك إن قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي فلذعك عتابي و عقدي ألا أفعل و إن كنت عاتبا إلا ما تحب (١).

و عندي فيه تأويل آخر و هو أني إن قلت و اعتذرت فأى شيء حسنته من الأعدار لم يكن ذلك عندك مصدقا و لم يكن إلا مكروها غير مقبول و الله تعالى يعلم أنه ليس لك عندي في باطني و ما أطوى عليه جوانحي إلا ما تحب و إن كنت لا تقبل المعاذير التي أذكرها بل تكرهاها و تنبو نفسك عنها.

ص: ١٤

١-١) الكامل ١٣:١.

١٤، ١- وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الشُّورَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَهُ شَهِدْتُ عِتَابَ عُثْمَانَ لِعَلِيِّ ع يَوْمًا فَقَالَ لَهُ فِي بَعْضِ مَا قَالَهُ نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تَفْتِيحَ لِلْفُرْقَةِ بَابًا فَلَعَهْدِي بِكَ وَ أَنْتَ تَطِيعُ عَتِيقًا وَ ابْنَ الْخَطَّابِ طَاعَتَكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَسْتُ بِدُونِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَ أَنَا أَمْسُ بِكَ رَحِمًا وَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ صَهْرًا فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص لَكَ فَقَدْ رَأَيْتَاكَ حِينَ تُوْفِي نَارَعْتَ ثُمَّ أَقْرَرْتَ فَإِنْ كَانَا لَمْ يَرْكَبَا مِنَ الْأَمْرِ حَيْدًا فَكَيْفَ أَدْعَنْتَ لَهُمَا بِالْبَيْعَةِ وَ بَخَعْتَ بِالطَّاعَةِ وَ إِنْ كَانَا أَحْسِنَا فِيمَا وَلِيَا وَ لَمْ أَقْصِرْ عَنْهُمَا فِي دِينِي وَ حَسْبِي وَ قَرَابَتِي فَكُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لَهُمَا.

فَقَالَ عَلِيُّ ع أَمَا الْفُرْقَةُ فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَفْتَحَ لَهَا بَابًا وَ أَسْهَلَ إِلَيْهَا سَبِيلًا وَ لَكِنِّي أَنْهَاكَ عَمَّا يَنْهَاكَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ عَنْهُ وَ أَهْدِيكَ إِلَى رُشْدِكَ وَ أَمَّا عَتِيقٌ وَ ابْنُ الْخَطَّابِ فَإِنْ كَانَا أَخَذَا مَا جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص لِي فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَ الْمُسْلِمُونَ وَ مَا لِي وَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَ قَدْ تَرَكْتُهُ مُنْذُ حِينَ فَأَمَّا أَلَّا يَكُونَ حَقِّي بَلِ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ شَرَعٌ فَقَدْ أَصَابَ السَّهْمُ الثُّغْرَةَ (١) وَ أَمَّا أَنْ يَكُونَ حَقِّي دُونَهُمْ فَقَدْ تَرَكْتُهُ لَهُمْ طِبْتُ بِهِ نَفْسًا وَ نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنْهُ اسْتِضْلَاحًا وَ أَمَّا التَّشْوِيهُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمَا فَلَسْتُ كَأَحَدِهِمَا إِنَّهُمَا وَلِيَا هَذَا الْأَمْرِ فَظَلَفَا (٢) أَنْفُسَهُمَا وَ أَهْلَهُمَا عَنْهُ وَ عُمْتُ فِيهِ وَ قَوْمَكَ عَوْمَ السَّابِجِ فِي اللَّجْهِ فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ أَبَا عَمْرٍ وَ أَنْظِرْ هَلْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ إِلَّا كَظْمٌ الْجِمَارِ (٣) فَحَتَّى مَتَى وَ إِلَى مَتَى أَلَّا تَنْهَى سَيْفَهُاءَ بَنِي أُمَيَّةَ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَبْشَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ وَ اللَّهُ لَوْ ظَلَمَ عَامِلٌ مِنْ عَمَالِكَ حَيْثُ تَغْرُبُ الشَّمْسُ لَكَانَ إِثْمُهُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَ بَيْنَكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُثْمَانُ لَكَ الْعُتْبِيُّ وَ أَعْمَلُ وَ اغْزِلْ مِنْ عُمَالِي كُلِّ مَنْ تَكْرَهُهُ

ص: ١٥

١- (١) الثغرة: نقره النحر بين الترقوتين.

٢- (٢) ظللنا أنفسهما، أي كفا.

٣- (٣) يقال: ما بقى منه من ظمء الحمار؛ أي لم يبق من عمره إلا اليسير؛ لأنه ليس شيء أقصر ظمًا من الحمار، والكلام على المثل.

وَ يَكْرَهُهُ الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ افْتَرَقَا فَصَدَّهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ يَجْتَرِي عَلَيْكَ النَّاسُ فَلَا تَغْزِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ

١٨٤٤

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ عَنْ رِجَالٍ أَسْنَدَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع قَالَ

أَرْسَلَ إِلَيَّ عُثْمَانُ فِي الْهَاجِرَةِ (١) فَتَقَنَعْتُ بِتَوْبِي وَ أَتَيْتُهُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَ هُوَ عَلَى سِرِيرِهِ وَ فِي يَدِهِ قَضِيْبٌ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَالٌ دَثِرٌ (٢) صُبْرَتَانِ مِنْ وَرَقٍ وَ ذَهَبٌ فَقَالَ دُونَكَ خُذْ مِنْ هَذَا حَتَّى تَمَلَأَ بَطْنَكَ فَقَدْ أَحْرَقْتَنِي فَقُلْتُ وَصَلْتَنِكَ رَحْمٌ إِنْ كَانَ هَذَا الْمَالُ وَرِثَتُهُ أَوْ أَعْطَاكَهُ مُعِطٌ أَوْ اِكْتَسَبْتَهُ مِنْ تِجَارَةٍ كُنْتُ أَحَدَ رَجُلَيْنِ إِمَّا آخُذٌ وَ أَشْكُرٌ أَوْ أُوقِرٌ وَ أَجْهَدٌ وَ إِنْ كَانَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَ فِيهِ حَقُّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْيَتِيمِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَوَاللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ أَنْ تُعْطِينِيهِ وَ لَا لِي أَنْ آخُذَهُ فَقَالَ أَيْتٌ وَ اللَّهُ إِلَّا مَا أُبَيَّتْ ثُمَّ قَامَ إِلَيَّ بِالْقَضِيْبِ فَضَرَبَنِي وَ اللَّهُ مَا أَرُدُّ يَدَهُ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ فَتَقَنَعْتُ بِتَوْبِي وَ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَ قُلْتُ اللَّهُ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ إِنْ كُنْتُ أَمْرَتَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَيْتُ عَنْ مُنْكَرٍ .

١٨٤٥

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَتَى عُمَرُ بِجَوْهَرِ كِسْرَى وَضَعَ فِي الْمَسْجِدِ فَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَصَارَ كَالْجَمْرِ فَقَالَ لِحَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ وَيْحَكَ أَرِحْنِي مِنْ هَذَا وَ اقْسِمْهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذَا بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَسَمْتَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْغَحْهُمْ وَ لَيْسَ أَحَدٌ يَشْتَرِيهِ لِأَنَّ ثَمَنَهُ عَظِيمٌ وَ لَكِنْ نَدَعُهُ إِلَى قَابِلٍ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَالٍ فَيَشْتَرِيَهُ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَرِيهِ قَالَ ارْزُقْهُ فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ .

وَ قُتِلَ عُمَرُ وَ هُوَ بِحَالِهِ فَأَخَذَهُ عُثْمَانُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَحَلَّى بِهِ بَنَاتِهِ .

ص: ١٦

(١-١) الهاجرة: نصف النهار في القبط.

(٢-٢) الدثر: المال الكثير.

قَالَ الزُّبَيْرُ فَقَالَ الزُّهْرِيُّ كُلَّ قَدْ أَحْسَنَ عُمَرُ حِينَ حَرَمَ نَفْسَهُ وَ أَقَارِبَهُ وَ عُثْمَانُ حِينَ وَصَلَ أَقَارِبَهُ.

١٨٤٦

١- قَالَ الزُّبَيْرُ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَزْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ عَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ حَمَالُ الْخَطَايَا لَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا فَأَبَسَهُ مِنْهُ .

١٨٤٧

١٤- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ أَيْضًا عَنْ شَدَّادِ بْنِ عَثِمَانَ قَالَ سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ فِي أَيَّامِ عُمَرَ يَقُولُ يَا طَاعُونَ خُذْنِي فَقُلْنَا لَهُ لِمَ تَقُولُ هَذَا وَ قَدْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَزِيدُهُ طَوْلُ الْعُمُرِ إِلَّا خَيْرًا قَالَ إِنِّي أَخَافُ سِتًّا خِلَافَةَ بَنِي أُمِّيهِ وَ إِمَارَةَ السُّفَهَاءِ مِنْ أَحَدَانِهِمْ وَ الرَّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ وَ سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ وَ كَثْرَةَ الشَّرْطِ وَ نَشَأَ يَنْشَأُ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ .

١٨٤٨

وَ رَوَى الزُّبَيْرُ عَنْ أَبِي غَسَّانَ عَنْ عُمَرَ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ وَ هُوَ يَخْطُبُ فَأَكَبَّ النَّاسُ حَوْلَهُ فَقَالَ اجْلِسُوا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَصَاحَ بِهِ طَلْحَةُ إِنَّهُمْ لَيَسُوا بِأَعْدَاءِ اللَّهِ لَكِنَّهُمْ عِبَادُهُ وَ قَدْ قَرَأُوا كِتَابَهُ .

١٨٤٩

وَ رَوَى الزُّبَيْرُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ شَهِدْتُ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَمَجَّحَ عُثْمَانُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ أَنْشُدْ كِتَابَ اللَّهِ فَقَالَ عُثْمَانُ اجْلِسْ أَمَا لِكِتَابِ اللَّهِ نَاشِدٌ غَيْرُكَ فَجَلَسَ ثُمَّ قَامَ آخِرُ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى

ص: ١٧

أَنْ يَجْلِسَ فَبَعَثَ إِلَى الشَّرْطِ لِيَجْلِسُوهُ فَصَامَ النَّاسُ فَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَتْ ثُمَّ تَرَامُوا بِالْبَطْحَاءِ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ مَا أَكَادُ أَرَى أُدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الْبَطْحَاءِ فَنَزَلَ عُثْمَانُ فَدَخَلَ دَارَهُ وَ لَمْ يُصَلِّ الْجُمُعَةَ.

فصل فيما سجر بين عثمان و ابن عباس من الكلام بحضرة على

١٨٥٠

١٤، ١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ أَيْضاً فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ صَبَلَيْتُ الْعَصْرَ يَوْمًا ثُمَّ خَرَجْتُ فَإِذَا أَنَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ وَخِيَدَهُ فَأَتَيْتُهُ إِجْلَالًا وَ تَوْقِيرًا لِمَكَانِهِ فَقَالَ لِي هَلْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قُلْتُ خَلَفْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْآنَ فِيهِ فَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ قَالَ أَمَا مَنْزِلُهُ فَلَيْسَ فِيهِ فَأَبْعَهُ (١) لَنَا فِي الْمَسْجِدِ فَتَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَإِذَا عَلِيٌّ عَ يَخْرُجُ مِنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ هَذَا كُنْتُ أَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ عَلِيٍّ فَذَكَرَ عُثْمَانَ وَ تَجَرَّمُهُ عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسِ إِنَّ مِنْ دَوَائِهِ لَقَطْعَ كَلَامِهِ وَ تَزُوكَ لِقَائِهِ فَقُلْتُ لَهُ يَوْحُمُكَ اللَّهُ كَيْفَ لَكَ بِهَذَا فَإِنْ تَرَكْتَهُ ثُمَّ أَرْسَلِ إِلَيْكَ فَمَا أَنْتَ صَابِعٌ قَالَ أَعْتَلُّ وَ أَعْتَلُّ فَمَنْ يَفْسِدُنِي (٢) قَالَ لَا أَحَدًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا لَهُ وَ هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ التَّفَلُّتِ وَ الطَّلَبِ لِلانْصِرَافِ مَا اسْتَبَانَ لِعُثْمَانَ فَنَظَرَ إِلَيَّ عُثْمَانُ وَ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ أَمَا تَرَى ابْنَ خَالِنَا يَكْرَهُ لِقَاءَنَا فَقُلْتُ وَ لِمَ وَ حَقُّكَ الْأَزْمُ وَ هُوَ بِالْفَضْلِ أَعْلَمُ فَلَمَّا تَقَارَبَا رَمَاهُ عُثْمَانُ بِالسَّلَامِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ عُثْمَانُ إِنْ تَدَخُلْ فَإِيَّاكَ أَرَدْنَا وَ إِنْ تَمْضِ فَإِيَّاكَ طَلَبْنَا فَقَالَ عَلِيٌّ أَى ذَلِكَ أَحْبَبْتَ قَالَ تَدَخُلْ فَدَخَلَا وَ أَخَذَ عُثْمَانُ بِيَدِهِ فَأَهْوَى بِهِ إِلَى الْقَبْلَةِ فَقَصَرَ عَنْهَا وَ جَلَسَ قِبَالَتِهَا فَجَلَسَ عُثْمَانُ إِلَى حِجَابِهِ فَنَكَضَتْ عَنْهُمَا فَدَعَوَانِي جَمِيعًا فَأَتَيْتُهُمَا فَحَمِدَ عُثْمَانُ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَيَّ رُسُولِهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ يَا بَنِي خَالِي وَ ابْنِي

ص: ١٨

١- (١) ابغه: اطلبه.

٢- (٢) كذا فى د، و فى ب: «يضرني».

عَمِّي فَبَاذِ جَمْعَتِكُمَا فِي النَّدَاءِ فَسَأَجْمَعُكُمَا فِي الشُّكَايَةِ عَنِ رِضَايَ عَلَى أَحَدِكُمَا وَوَجِدِي عَلَى الْآخِرِ إِنِّي أَسْتَعْذِرُكُمَا مِنْ أَنْفُسِكُمَا وَ أَسْأَلُكُمَا فَيَنْتَكُمَا وَ أَسْتَوْهِيكُمَا رَجَعْتُكُمَا فَوَاللَّهِ لَوْ غَالَبَنِي النَّاسُ مَا انْتَصَرْتُ إِلَّا بِكُمَا وَ لَوْ تَهَضَّمُونِي مَا تَعَزَّزْتُ إِلَّا بِعِزِّكُمَا وَ لَقَدْ طَالَ هَذَا الْأَمْرُ بَيْنَنَا حَتَّى تَخَوَّفْتُ أَنْ يَجُوزَ قَسْدَرُهُ وَ يَعْظُمَ الْخَطْرُ فِيهِ وَ لَقَدْ هَاجَنِي الْعِدُّ وَعَلَيْكُمَا وَ أَعْرَانِي بِكُمَا فَمَنْعَنِي اللَّهُ وَ الرَّحْمُ مِمَّا أَرَادَ وَ قَدْ خَلَوْنَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِلَى جَانِبِ قَبْرِهِ وَ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تُظْهَرَا لِي رَأْيِكُمَا فِيَّ وَ مَا تَنْطَوِيَانِ لِي عَلَيْهِ وَ تَصَدَّقَا فَإِنَّ الصَّدَقَ أَنْجِي وَ أَسْلَمَ وَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَطْرَقَ عَلَيَّ ع وَ أَطْرَقَتْ مَعَهُ طَوِيلًا- أَمَا أَنَا فَأَجَلَلْتُهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَبْلَهُ وَ أَمَا هُوَ فَأَرَادَ أَنْ أُجِيبَ عَنِّي وَ عَنْهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَ تَتَكَلَّمُ أَمْ أَتَكَلَّمُ عَنكَ قَالَ بَلْ تَكَلَّمْتُ عَنِّي وَ عَنكَ فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَ أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ وَ صَلَّيْتُ عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قُلْتُ أَمَا بَعِيدُ يَا ابْنَ عَمَّنَا وَ عَمَّتِنَا فَقَدْ سَمِعْنَا كَلَامَكَ لَنَا وَ خَلَطَكَ فِي الشُّكَايَةِ بَيْنَنَا عَلَى رِضَاكَ زَعَمْتَ عَنْ أَحَدِنَا وَ وَجَدَكَ عَلَى الْآخِرِ وَ سَنَفَعُ فِي ذَلِكَ فَنَدُمُكَ وَ نَحْمِدُكَ أَقْدَامًا مِنْكَ بِفِعْلِكَ فِينَا فَإِنَّا نَدُمُ مِثْلَ تَهْمَتِكَ إِيَّانَا عَلَى مَا اتَّهَمْتَنَا عَلَيْهِ بِإِلَّا ظَنًّا وَ نَحْمِدُ مِنْكَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَتِكَ عَشِيرَتَكَ ثُمَّ نَسْتَعْذِرُكَ مِنْ نَفْسِكَ اسْتِعْذَارَكَ إِيَّانَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَ نَسْتَوْهِيكَ فَيَنْتَكَ اسْتِيهَابَكَ إِيَّانَا فَيَنْتَنَا وَ نَسْأَلُكَ رَجَعْتِكَ مَسْأَلَتَكَ إِيَّانَا رَجَعْتَنَا فَإِنَّا مَعَا أَيَّمَا حَمِدْتِ وَ ذَمَمْتِ مِنَّا كَمِثْلِكَ فِي أَمْرِ نَفْسِكَ لَيْسَ بَيْنَنَا فَرْقٌ وَ لَا اخْتِلَافٌ بَلْ كِلَانَا شَرِيكُ صَاحِبِهِ فِي رَأْيِهِ وَ قَوْلِهِ فَوَاللَّهِ مَا تَعَلَّمْنَا غَيْرَ مُعْذِرِينَ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ وَ لَا تَعْرِفْنَا غَيْرَ قَانِتِينَ عَلَيْكَ وَ لَا تَجِدُنَا غَيْرَ رَاجِعِينَ إِلَيْكَ فَخُنْ نَسْأَلُكَ مِنْ نَفْسِكَ مِثْلَ مَا سَأَلْتَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَ أَمَا قَوْلُكَ لَوْ غَالَبَنِي النَّاسُ مَا انْتَصَرْتُ إِلَّا بِكُمَا أَوْ تَهَضَّمُونِي مَا تَعَزَّزْتُ إِلَّا بِعِزِّكُمَا فَأَيْنَ بِنَا وَ بِكَ عَنْ ذَلِكَ وَ نَحْنُ وَ أَنْتَ كَمَا قَالَ أَخُو كِنَانَةَ

وَ أَمَا قَوْلُكَ فِي هَيْجِ الْعَدُوِّ إِيَّاكَ عَلَيْنَا وَإِغْرَائِهِ لَكَ بِنَا فَوَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ الْعَدُوُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا بِأَعْظَمِ مِنْهُ فَمَنْعَنَا مِمَّا أَرَادَ مِمَّا مَنَعِيكَ مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَالرَّحِمِ وَمَا أَبْقَيْتَ أَنْتَ وَنَحْنُ إِلَّا عَلَى أَدْيَانِنَا وَأَعْرَاضِنَا وَمُرُوءَاتِنَا وَلَقَدْ لَعَمْرِي طَالَ بِنَا وَبِكَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى تَخَوْفُنَا مِنْهُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَرَاقِبِنَا مِنْهُ مَا رَاقَبْتَ.

وَ أَمَا مُسَاءَلَتُكَ إِيَّانَا عَنْ رَأْيِنَا فِيكَ وَمِمَّا نَنْطَوِي عَلَيْهِ لَكَ فَإِنَّا نُخْبِرُكَ أَنَّ ذَلِكَ إِلَى مَا تُحِبُّ لَا يَعْلَمُ وَاحِدٌ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ غَيْرُهُ وَكِلَانَا ضَامِنٌ عَلَى صَاحِبِهِ ذَلِكَ وَكَفِيلٌ بِهِ وَقَدْ بَرَأْتَ أَحَدَنَا وَزَكَّيْتَهُ وَأَنْطَقْتَ الْآخَرَ وَأَسَكَّنْتَهُ وَ لَيْسَ السَّقِيمُ مِنَّا مِمَّا كَرِهْتَ بِمَا نَطَقَ مِنَ الْبَرِيءِ فِيهِمَا ذَكَرْتَ وَلَا الْبَرِيءُ مِنَّا مِمَّا سَخَطْتَ بِأَظْهَرَ مِنَ السَّقِيمِ فِيهِمَا وَصَيَّفْتَ فَإِنَّمَا جَمَعْتَنَا فِي الرِّضَا وَإِنَّمَا جَمَعْتَنَا فِي السَّخَطِ لِنُجَازِيكَ بِمِثْلِ مَا تَفْعَلُ بِنَا فِي ذَلِكَ مُكَائِلَةً الصَّاعِ بِالصَّاعِ فَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ رَأْيِنَا وَأَظْهَرْنَا لَكَ ذَاتَ أَنْفُسِنَا وَصَدَقْنَاكَ وَالصَّدْقُ كَمَا ذَكَرْتَ أَنْجَى وَأَسْلِمٌ فَأَجِبْ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَجْلِلْ عَنِ النَّفْضِ وَالْعَدْرِ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَمَوْضِعَ قَبْرِهِ وَاضِدُقْ تَنُجُجَ وَتَسْلِمَ وَنَسِيْتَ تَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَ لَمْ يَكْ قَالِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَنَظَرَ إِلَيَّ عَلِيٌّ عَ نَظَرَ هَيْبَةً وَقَالَ دَعُهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِضَاةً فِيهِمَا هُوَ فِيهِ فَوَ اللَّهُ لَوْ ظَهَرَتْ لَهُ قُلُوبُنَا وَبَدَتْ لَهُ سِرَائِرُنَا حَتَّى رَأَاهَا بِعَيْنِهِ كَمَا يَسْمَعُ الْخَبَرَ عَنْهَا بِأُذُنِهِ مَا زَالَ مُتَجَرِّمًا مُنْتَفِمًا وَ اللَّهُ مَا أَنَا مُلْقَى عَلَى وَضَمِهِ (١) وَإِنِّي لَمَانِعٌ مَا وَرَاءَ ظَهْرِي وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمُخَالَفَةٌ مِنْهُ وَسُوءٌ عَشْرَةٌ فَقَالَ عُثْمَانُ مَهْلًا أَبَا حَسَنِ فَوَ اللَّهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَصَفَنِي

(١- ١) الوضم في الأصل: خشبه الجزار يقطع عليها اللحم؛ وفي المثل: «تركهم لحما على وضم»، أي أوقع بهم فأوجعهم.

بَغَيْرِ ذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ وَ أَنْتَ عِنْدَهُ إِنَّ مِنْ أَصِحَابِي لَقَوْمًا سَالِمِينَ لَهُمْ وَ إِنَّ عُثْمَانَ لَمِنْهُمْ إِنَّهُ لَأَحْسَنُهُمْ بِهِمْ ظَنًّا وَ أَنْصَحُهُمْ لَهُمْ حُبًّا
فَقَالَ عَلِيُّ ع فَتَصَدَّقْ قَوْلَهُ ص بِفِعْلِكَ وَ خَالَفَ مَا أَنْتَ الْآنَ عَلَيْهِ فَقَدْ قِيلَ لَكَ مَا سَمِعْتَ وَ هُوَ كَافٍ إِنْ قَبِلْتَ قَالَ عُثْمَانُ فَتَتَّقُ يَا
أَبَا الْحَسَنِ قَالَ نَعَمْ أَتَقُ وَ لَا أَظُنُّكَ إِلَّا فَاعِلًا قَالَ عُثْمَانُ قَدْ وَثِقْتُ وَ أَنْتَ مِمَّنْ لَا يَخْفِرُ صَاحِبُهُ وَ لَا يُكْذِبُ لِقِيْلِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذْتُ بِأَيْدِيهِمَا حَتَّى تَصَافِحَا وَ تَصَالِحَا وَ تَمَازِحَا وَ نَهَضْتُ عَنْهُمَا فَتَشَاوَرَا وَ تَأَمَّرَا وَ تَذَاكَّرَا ثُمَّ افْتَرَقَا فَوَلَّى اللَّهُ مَا
مَرَّتْ ثَالِثَةً حَتَّى لَقِيْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَذْكُرُ مِنْ صَاحِبِهِ مَا لَا تَبْرُكُ عَلَيْهِ الْإِبِلُ فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى صُلْحِهِمَا بَعْدَهَا

١٨٥١

١- وَ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ السَّقِيْفَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْمَعْرُوفِ بْنِ سُؤَيْدٍ قَالَ كُنْتُ
بِالْمَدِينَةِ أَيَّامَ بُوَيْعِ عُثْمَانَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ جَالِسًا وَ هُوَ يُصَفِّقُ (١) بِأَيْدِي يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَ النَّاسُ حَوْلَهُ وَ يَقُولُ وَآ
عَجَبًا مِنْ قُرَيْشٍ وَ اسْتِثْثَارِهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ مَعْرِدِينَ الْفَضْلَ وَ نُجُومَ الْأَرْضِ وَ نُورَ الْبِلَادِ وَ اللَّهُ إِنْ فِيهِمْ لَرَجُلًا مَا
رَأَيْتُ رَجُلًا بَعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ ص أَوْلَى مِنْهُ بِالْحَقِّ وَ لَا أَقْضَى بِالْعَدْلِ وَ لَا أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ لَا أَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ
هَذَا الْمَقْدَادُ فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَ قُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي تَذْكُرُ فَقَالَ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكَ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ فَلَبِثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ إِنِّي لَقَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَحَدَّثَنِي مَا قَالَ الْمَقْدَادُ فَقَالَ صَدَقَ قُلْتُ فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا هَذَا الْأَمْرَ
فِيهِمْ قَالَ أَبِي ذَلِكَ قَوْمُهُمْ قُلْتُ فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُعِينُوهُمْ قَالَ مَا لَا تَقُلُّ هَذَا إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَةَ وَ الْإِخْتِلَافَ.

ص: ٢١

(١-١) يصفق: يضرب.

١- وَ ذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَرَ أَنَّ الْجَاحِظَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أُوْرِدَ فِيهِ الْمَعَاذِيرُ عَنْ أَحْيَادِ عُثْمَانَ أَنَّ عَلِيًّا اشْتَكَى فَعَادَهُ عُثْمَانُ مِنْ شِكَايَتِهِ فَقَالَ عَلِيُّ عَ وَ عَائِدِهِ تَعُودُ لِعَيْرٍ وَدَّ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ ذَا دَنْفٍ يَمُوتُ .

فَقَالَ عُثْمَانُ وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي أَمْ حَيَاتِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمْ مَوْتُكَ إِنَّ مِتَّ هَاضِمِي فَقُدِّكَ وَ إِنْ حَيِّتَ فَتَنْتَبِي حَيَاتِكَ لَا أَعِيدُ مَا بَقِيَتْ طَاعِنًا يَتَّخِذُكَ رَدِيئَةً [دَرِيئَةً]

يَلْجَأُ إِلَيْهَا.

فَقَالَ عَلِيُّ عَ مَا الَّذِي جَعَلَنِي دَرِيئَةً لِلطَّاعِنِينَ الْعَائِبِينَ إِنَّمَا سُوءُ ظَنِّكَ بِي أَحَلَّنِي مِنْ قِبَلِكَ هَذَا الْمَحَلَّ فَإِنْ كُنْتُ تَخَافُ جَانِبِي فَلِمَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ أَنْ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنِّي مَا بَلَ بَحْرُ صُوفَةٍ (١) وَ إِنِّي لَمَكَ لِرَاعٍ وَ إِنِّي عَنْكَ لَمَحَامٍ وَ لَكِنْ لَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ عِنْدَكَ وَ أَمَا قَوْلُكَ إِنَّ فَقْدِي يَهِيضُكَ فَكَلَّا أَنْ تَهَاضَ لِفَقْدِي مَا بَقِيَ لَكَ الْوَلِيدُ وَ مَرْوَانُ . فَقَامَ عُثْمَانُ فَخَرَجَ .

وَ قَدْ رَوَى أَنَّ عُثْمَانَ هُوَ الَّذِي أَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ وَ قَدْ كَانَ اشْتَكَى فَعَادَهُ عَلِيُّ عَ فَقَالَ عُثْمَانُ وَ عَائِدِهِ تَعُودُ بَعِيرٍ نُصْحٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ ذَا دَنْفٍ يَمُوتُ

١- وَ رَوَى أَبُو سَعْدِ الْأَبِيِّ (٢) فِي كِتَابِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ وَقَعَ بَيْنَ عُثْمَانَ وَ عَلِيٍّ

(١-١) من قولهم في المثل: لا آتيك ما بل بحر صوفه.

(٢-٢) هو أبو سعد زين الكفاءة منصور بن الحسين الأبي؛ وزير مجد الدولة رستم بن فخر الدولة بن ركن الدولة ابن بويه، صاحب كتاب نثر الدرر في المحاضرات.

كَلَامٌ فَقَالَ عُثْمَانُ مَا أَصْبَحَ إِذْ كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُحِبُّكُمْ وَقَدْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعِينَ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ سُوفُ الذَّهَبِ تُصْرَعُ أَنْفُهُمْ قَبْلَ شِفَاهِهِمْ.

وَرَوَى الْمَدْكُورُ أَيْضًا أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا نَقِمَ النَّاسُ عَلَيْهِ مَا نَقَمُوا قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى مَرْوَانَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ آفَةٌ وَ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عِائَةٌ وَإِنَّ آفَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعِائَةُ هَذِهِ النَّعْمَةِ قَوْمٌ عَيَّابُونَ طَعَانُونَ يُظْهِرُونَ لَكُمْ مِثْرًا تُحِبُّونَ وَيُسْتَرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ طَعَامٌ مِثْلُ النَّعِيمِ يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ وَ لَقَدْ نَقَمُوا عَلَيَّ مَا نَقَمُوا عَلَى عُمَرَ مِثْلَهُ فَمَمَعَهُمْ وَ وَقَمَهُمْ (١) وَإِنِّي لَمَأْتَرُبٌ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي فُضُولِ (٢) الْأَمْوَالِ مَا أَشَاءُ

١٨٥٤

١- وَ رَوَى الْمَدْكُورُ أَيْضًا أَنَّ عَلِيًّا عِاشِيًّا شَتَّى فَعَادَهُ عُثْمَانُ فَقَالَ مَا أَرَاكَ أَصِيبَتْ إِلَّا ثَقِيلًا قَالَ أَجَلٌ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَمْوَتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمْ حَيَاتُكَ إِنِّي لَأَحِبُّ مَوْتَكَ وَ أَكْرَهُ أَنْ أَعِيشَ بَعْدَكَ فَلَوْ شِئْتَ جَعَلْتَ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ مَخْرَجًا إِمَّا صَدِيقًا مُسَالِمًا وَ إِمَّا عَدُوًّا مُغَالِبًا وَ إِنَّكَ لَكَمَا قَالَ أَخُو إِيَادٍ (٣) جَرْتُ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلُ الشَّمُوسِ فَلَا يَأْسًا مِيبِنًا نَرَى مِنْهَا وَ لَا طَمَعًا فَقَالَ عَلِيٌّ ع لَيْسَ لَكَ عِنْدِي مَا تَخَافُهُ وَ إِنِ اجْتَبَيْتُكَ لَمْ أُجِبْكَ إِلَّا بِمَا تَكْرَهُهُ

١٨٥٥

١- وَ كَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ ع حِينَ أَحِيطَ بِهِ أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ جَاوَزَ الْمَاءَ الزُّبِّيَّ وَ بَلَغَ الْحِرَامَ الطُّبَيْيْنَ وَ تَجَاوَزَ الْأَمْرَ فِي قَدْرِهِ فَطَمِعَ فِي مَنْ لَا يَدْفَعُ عَن نَفْسِهِ

ص: ٢٣

١- (١) وقمهم: أذلهم.

٢- (٢) فضول الأموال: الزوائد عن الحاجة.

٣- (٣) هو لقيط بن يعمر الإيادي. من قصيده ينذر بها قومه غزو كسرى إياهم؛ وأولها: يا دار عمره من محتلها الجرعا حاجت لي الهمم والأحزان والوجعا في مختارات ابن الشجري ١-٦.

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَّلَا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَ لَمَّا أَمَزَقَ (١)

١٨٥٦

١- وَ رَوَى الزُّبَيْرِيُّ خَبَرَ الْعِيَادَةِ عَلَى وَجْهِ آخَرَ قَالِ مَرَضَ عَلِيٌّ عَ فَعِيَادَهُ عُثْمَانُ وَ مَعَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَجَعَلَ عُثْمَانُ يَسْأَلُ عَلِيًّا عَنْ حَالِهِ وَ عَلِيٌّ سَاكِتٌ لَا يُجِيبُهُ فَقَالَ عُثْمَانُ لَقَدْ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مَنِي بِمَنْزِلِهِ الْوَلَدِ الْعَاقِ لِأَبِيهِ إِنْ عَاشَ عَقَّهُ وَ إِنْ مَاتَ فَجَعَهُ فَلَوْ جَعَلْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ فَرْجًا إِمَّا عِدْوًا أَوْ صَيْدِيْقًا وَ لَمْ تَجْعَلْنَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْمَاءِ أَمَا وَ اللَّهُ لَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ فُلَانٍ وَ فُلَانٍ وَ إِنْ قَتَلْتَ لَا تَجِدُ مِثْلِي فَقَالَ مَرْوَانُ أَمَا وَ اللَّهُ لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَنَا حَتَّى تَتَوَاصَلَ سُيُوفُنَا وَ تُقَطَعَ أَرْحَامُنَا.

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ وَ قَالَ اسْكُتْ لَا سَكْتٌ وَ مَا يُدْخِلُكَ فِيمَا بَيْنَنَا

١٨٥٧

١- رَوَى شَيْخُنَا أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ وَ هُوَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ عَ أَنْكَرْتَ عَلِيَّ اسْتِعْمَالَ مُعَاوِيَةَ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ اسْتِعْمَلَهُ قَالَ عَلِيٌّ عَ نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ أَطْوَعَ لِعُمَرَ مِنْ يَزْفَأَ غُلَامِهِ إِنْ عُمَرَ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ عَامِلًا وَ طِئَى عَلِيَّ صِمَاحِهِ وَ إِنَّ الْقَوْمَ رَكِبُوكَ وَ غَلَبُوكَ وَ اسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَكَ فَسَكَتَ عُثْمَانُ

أسباب المنافسة بين علي و عثمان

قلت حدثني جعفر بن مكى الحاجب رحمه الله قال سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب و قد رأيت أنا محمدا هذا و كانت لى به معرفه غير مستحكمه و كان ظريفا

ص: ٢٤

أديبا و قد اشتغل بالرياضيات من الفلسفه و لم يكن يتعصب لمذهب بعينه قال جعفر سألت عما عنده فى أمر على و عثمان فقال هذه عداوه قديمه النسب بين عبد شمس و بين بنى هاشم و قد كان حرب بن أميه نافر عبد المطلب بن هاشم و كان أبو سفيان يحسد محمدا ص و حاربه و لم تزل الثنتان متباغضتين و إن جمعتهما المنافيه ثم إن رسول الله ص زوج عليا بابنته و زوج عثمان بابنته الأخرى و كان اختصاص رسول الله ص لفاطمه أكثر من اختصاصه للبنت الأخرى و للثانيه التى تزوجها عثمان بعد وفاه الأولى و اختصاصه أيضا لعلى و زياده قربه منه و امتزاجه به و استخلاصه إياه لنفسه أكثر و أعظم من اختصاصه لعثمان فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلبيهما و زاد فى التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مباغضه أو مشاجره أو كلام ينقل من إحداهما إلى الأخرى فيتكدر قلبها على أختها و يكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين البعيلين أيضا كما نشاهده فى عصرنا و فى غيره من الأعصار و قد قيل ما قطع من الأخوين كالزوجتين ثم اتفق أن عليا ع قتل جماعه كثيره من بنى عبد شمس فى حروب رسول الله ص فتأكد الشنثان و إذا استوحش الإنسان من صاحبه استوحش صاحبه منه ثم مات رسول الله ص فصبا إلى على جماعه يسيره لم يكن عثمان منهم و لا حضر فى دار فاطمه مع من حضر من المخلفين عن البيعه و كانت فى نفس على ع أمور من الخلافه لم يمكنه إظهارها فى أيام أبى بكر و عمر لقوه عمر و شدته و انبساط يده و لسانه فلما قتل عمر و جعل الأمر شورى بين الستة و عدل عبد الرحمن بها عن على إلى عثمان لم يملك على نفسه فأظهر ما كان كامنا و أبدى ما كان مستورا و لم يزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف و تفاقم و مع ذلك فلم يكن على ع لينكر من أمره إلا منكرا و لا ينهيه إلا كما تقتضى الشريعه نهيه عنه و كان عثمان مستضعفا فى نفسه رخوا قليل الحزم واهى العقده و سلم عنانه إلى

مروان يصرفه كيف شاء الخلافه له في المعنى و لعثمان في الاسم فلما انتقض على عثمان أمره استصرخ عليا و لاذ به و ألقى زمام أمره إليه فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع و ذب عنه حين لا يغنى الذب فقد كان الأمر فسد فسادا لا يرجى صلاحه.

قال جعفر فقلت له أ تقول إن عليا وجد من خلفه عثمان أعظم ممّا وجدته من خلفه أبي بكر و عمر فقال كيف يكون ذلك و هو فرع لهما و لولاهما لم يصل إلى الخلافه و لا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل و لا يخطر له ببال و لكن هاهنا أمر يقتضى في عثمان زياده المنافسه و هو اجتماعهما في النسب و كونهما من بنى عبد مناف و الإنسان ينافس ابن عمه الأدنى أكثر من منافسه الأبعد و يهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب.

قال جعفر فقلت له أ فتقول لو أن عثمان خلع و لم يقتل أ كان الأمر يستقيم لعلى ع إذا بويغ بعد خلعه فقال لا و كيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه و عثمان حى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله لأنه موجود يرجى و يتوقع عوده فإن كان محبوسا عظم البلاء و الخطب و هتف الناس باسمه فى كل يوم بل فى كل ساعه و إن كان مخلى سربه و ممكنا من نفسه و غير محول بينه و بين اختياره لجأ إلى بعض الأطراف و ذكر أنه مظلوم غصبت خلافته و قهر على خلع نفسه فكان اجتماع الناس عليه أعظم و الفتنة به أشدّ و أغلظ.

قال جعفر فقلت له فما تقول فى هذا الاختلاف الواقع فى أمر الإمامه من مبدأ الحال و ما الذى تظنه أصله و منعه فقال لا أعلم لهذا أصلا إلاّ- أمرين أحدهما أن رسول الله ص أهمل أمر الإمامه فلم يصرح فيه بأحد بعينه و إنّما كان هناك رمز و إيماء و كناية و تعريض لو أراد صاحبه أن يحتج به وقت الاختلاف و حال المنازعه

لم يقم منه صورته حجه تغنى ولا دلالة تحسب و تكفى و لذلك لم يحتج على ع يوم السقيفه بما ورد فيه لأنه لم يكن نسا جليا يقطع العذر و يوجب الحججه و عاداه الملووك إذا تمهد ملكهم و أرادوا العقد لولد من أولادهم أو ثقه من ثقاتهم أن يصرحوا بذكره و يخطبوا باسمه على أعناق المنابر و بين فواصل الخطب و يكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيده عنهم و الأفطار النائيه منهم و من كان منهم ذا سرير و حصن و مدن كثيره ضرب اسمه على صفحات الدنانير و الدراهم مع اسم ذلك الملك بحيث تزول الشبهه فى أمره و يسقط الارتياب بحاله فليس أمر الخلافه بهين و لا صغير ليترك حتى يصير فى مظنه الاشتباه و اللبس و لعله كان لرسول الله ص فى ذلك عذر لا نعلمه نحن إماما خشيه من فساد الأمر أو إرجاف المنافقين و قولهم إنها ليس بنبوه و إنما هى ملك به أوصى لذريته و سلالته و لما لم يكن أحد من تلك الذريه فى تلك الحال صالحا للقيام بالأمر لصغر السن جعله لأبيهم ليكون فى الحقيقه لزوجته التى هى ابنته و لأولاده منها من بعده.

و أمّا ما تقوله المعتزله و غيرهم من أهل العدل أن الله تعالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الأمر مهملا غير معين أقرب إلى فعل الواجب و تجنب القبيح قال و لعل رسول الله ص لم يكن يعلم فى مرضه أنه يموت فى ذلك المرض و كان يرجو البقاء فيمهد للإمامه قاعده واضحه و ممّا يدلّ على ذلك أنه لما نوزع فى إحضار الدواء و الكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده غضب و قال اخرجوا عنى لم يجمعهم بعد الغضب ثانيه و يعرفهم رشدهم و يهديهم إلى مصالحتهم بل أرجأ الأمر إرجاء من يرتقب الإفاقه و ينتظر العافيه.

قال فبتلك الأقوال المحججه و الكنايات المحتمله و الرموز المشتبهه مثل حديث

خَصَفُ النَّعِيلِ وَ مَنْزَلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَ مِنْ كُنْتِ مَوْلَاهُ وَ هَذَا يَعْسُوبُ الدِّينِ وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ وَ أَحَبَّ خَلْقَكَ إِلَيْكَ... وَ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى مِمَّا لَا يَفْصَلُ الْأَمْرَ وَ يَقْطَعُ الْعَذْرَ وَ يَسْكُتُ الْخِصْمَ وَ يَفْحَمُ الْمِنَازِعَ وَ تَبَّتِ الْأَنْصَارُ فَادَّعَتْهَا وَ وَثَبَ بَنُو هَاشِمٍ فَادْعُوهَا وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَايَعُوا عَمْرًا أَوْ أَبَا عَيْيِدَةَ وَ قَالَ الْعَبَّاسُ لَعَلِّي أَمْدَدُ يَدَكَ لِأَبَايَعِكَ وَ قَالَ قَوْمٌ مِمَّنْ رَعَفَ بِهِ الدَّهْرُ فِيمَا بَعْدَ وَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا حِينَئِذٍ إِنْ الْأَمْرَ كَانَ لِلْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ الْعَمُّ الْوَارِثُ وَ إِنْ أَبَا بَكْرٍ وَ عَمْرٌ غَضِبَاهُ حَقَّهُ فَهَذَا أَحَدُهُمَا.

وَ أَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي لِلْاِخْتِلَافِ فَهُوَ جَعَلَ عَمْرُ الْأَمْرَ شُورَى فِي السِّتَةِ وَ لَمْ يَنْصُ عَلِيٌّ وَاحِدًا بَعَيْنَهُ إِمَّا مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَبَقِيَ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَشِحَ لِلْخِلَافَةِ وَ أَهْلَ الْمَلِكِ وَ السُّلْطَنَةِ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِمْ وَ أَذْهَانِهِمْ مَصُورًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مُرْتَسِمًا فِي خِيَالِهِمْ مَنَازِعَهُ إِلَيْهِ نَفْسِهِمْ طَامِحَةً نَحْوَهُ عِيُونِهِمْ حَتَّى كَانَ مِنَ الشَّقَاقِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانَ مَا كَانَ وَ حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرَ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ وَ كَانَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ فِي قَتْلِهِ طَلْحَةُ وَ كَانَ لَا يَشْكُ أَنْ الْأَمْرَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَوْ جُوهَ مِنْهَا سَابِقَتَهُ وَ مِنْهَا أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ الْأَبِيِّ بَكْرٍ وَ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي نَفْسِ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْهَا الْآنَ وَ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ سَمِحًا جَوَادًا وَ قَدْ كَانَ نَازِعًا عَمْرًا فِي حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَ أَحَبَّ أَنْ يَفُوضَ أَبُو بَكْرٍ الْأَمْرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ فَمَا زَالَ يَفْتَلُ فِي الدُّرُوهِ وَ الْغَارِبِ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَ يَنْكُرُ لَهُ الْقُلُوبَ وَ يَكْدِرُ عَلَيْهِ النَّفُوسَ وَ يُعْرِى أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَ الْأَعْرَابَ وَ أَهْلَ الْأَمْصَارِ بِهِ وَ سَاعَدَهُ الزَّبِيرُ وَ كَانَ أَيْضًا يَرْجُو الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكُنْ رَجَاؤُهُمَا الْأَمْرَ بَدُونَ رَجَاءِ عَلِيٍّ بَلْ رَجَاؤُهُمَا كَانَ أَقْوَى لِأَنَّ عَلِيًّا دَخَضَهُ الْأَوْلَانَ وَ أَسْقَطَاهُ وَ كَسَرَا نَأْمُوسَهُ بَيْنَ النَّاسِ فَصَارَ نَسِيًّا مَنْسِيًّا وَ مَاتَ الْأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْرِفُ خِصَائِصَهُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ النَّبُوَّةِ وَ فَضْلَهُ وَ نَشَأَ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَهُ وَ لَا يَرُونَهُ إِلَّا رِجَالًا مِنْ عُرْضِ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَبْقَ لَهُ مِمَّا يَمُتُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ وَ زَوْجِ ابْنَتِهِ وَ أَبُو ٣٠ سَبْطِيهِ وَ نَسَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَ اتَّفَقَ لَهُ مِنْ بَغْضِ

قريش و انحرافها ما لم يتفق لأحد و كانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحه و الزبير لأن الأسباب الموجهه لبغضهم لم تكن موجوده فيهما و كانا يتألفان قريشا في أواخر أيام عثمان و يعدانهم بالعطاء و الإفضال و هما عند أنفسهما و عند الناس خليفتان بالقوه لا- بالفعل لأن عمر نص عليهما و ارتضاهما للخلافه و عمر متبع القول و مرضى الفعال موفق مؤيد مطاع نافذ الحكم في حياته و بعد وفاته فلما قتل عثمان أرادها طلحه و حرص عليها فلو لا الأشر و قوم معه من شجعان العرب جعلوها في على لم تصل إليه أبدا فلما فاتت طلحه و الزبير فتقا ذلك الفتق العظيم على على و أخرجا أم المؤمنين معها و قصدا العراق و آثارا الفتنة و كان من حرب الجمل ما قد علم و عرف ثم كانت حرب الجمل مقدمه و تمهيدا لحرب صفين فإن معاويه لم يكن ليفعل ما فعل لو لا طمعه بما جرى في البصره ثم أوهم أهل الشام أن عليا قد فسق بمحاربه أم المؤمنين و محاربه المسلمين و أنه قتل طلحه و الزبير و هما من أهل الجنه و من يقتل مؤمنا من أهل الجنه فهو من أهل النار فهل كان الفساد المتولد في صفين إلا فرعا للفساد الكائن يوم الجمل ثم نشأ من فساد صفين و ضلال معاويه كل ما جرى من الفساد و القبيح في أيام بني أميه و نشأت فتنه ابن الزبير فرعا من فروع يوم الدار لأن عبد الله كان يقول إن عثمان لما أيقن بالقتل نص على بالخلافه و لى بذلك شهود و منهم مروان بن الحكم أ فلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل و غصنا من شجره و جذوه من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض و كله من الشورى في الستة.

قال و أعجب من ذلك

١٨٥٨

١- قَوْلُ عُمَرَ وَ قَدْ قِيلَ لَهُ إِنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُوَيْبَانَ وَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَ مُعَاوِيَةَ وَ فُلَانًا وَ فُلَانًا مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنَ الطُّلَقَاءِ وَ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَ تَرَكْتَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ عَلِيًّا وَ الْعَبَّاسَ وَ الزُّبَيْرَ وَ طَلْحَةَ فَقَالَ أَمَّا عَلِيٌّ فَأَتْبَهُ مِنْ ذَلِكَ وَ أَمَّا هَؤُلَاءِ النَّفَرُ

ص: ٢٩

مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي الْبِلَادِ فَيَكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ

. فمن يخاف من تأميرهم لثلا- يطمعوا في الملك و يدعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم سته متساوين في الشورى مرشحين للخلافة و هل شيء أقرب إلى الفساد من هذا

١٨٥٩

وَ قَدْ رَوَى أَنَّ الرَّشِيدَ رَأَى يَوْمًا مُحَمَّدًا وَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَيْهِ يَلْعَبَانِ وَ يَضْحَكَانِ فَسِرَّ بِذَلِكَ فَلَمَّا غَابَا عَنْ عَيْنِهِ بَكَى فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ هَذَا مَقَامٌ حَيْدَلٍ لَا مَقَامَ حَزَنِ فَقَالَ أَمَا رَأَيْتَ لِعَبْهُمَا وَ مَوَدَّةَ بَيْنِهِمَا أَمَا وَاللَّهِ لَيَتَبَدَّلَنَّ ذَلِكَ بُغْضًا وَ شَنْفًا (١) وَ لَيَحْتَلِسَنَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَفْسَ صَاحِبِهِ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ. و كان الرشيد قد عقد الأمر لهما على ترتيب هذا بعد هذا فكيف من لم يرتبوا في الخلافة بل جعلوا فيها كأسنان المشط.

فقلت أنا لجعفر هذا كله تحكيه عن محمد بن سليمان فما تقول أنت فقال إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام (٢)

ص : ٣٠

١-١) الشنف: الكره.

٢-٢) قبله: فلو لا المزعجات من اللئالي لما ترك القطا طيب المنام نسبهما صاحب اللسان: (في رقص) للجيم بن صعب.

لَعَمَّ تَكُنْ بِيَعْتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَهُ وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ إِيْمَ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهًا .

الفلته الأمر يقع عن غير تدبر و لا رويه و فى الكلام تعريض ببيعه أبى بكر و قد تقدم لنا فى معنى قول عمر كانت بيعه أبى بكر فلته و فى الله شرها كلام .

و الخزامه حلقه من شعر تجعل فى أنف البعير و يجعل الزمام فيها .

و أعينونى على أنفسكم خذوها بالعدل و أقنعوها عن اتباع الهوى و اردعوها بعقولكم عن المسالك التى تردىها و توبقها فإنكم إذا فعلتم ذلك أعتمونى عليها لأنى أعظكم و آمركم بالمعروف و أنهاكم عن المنكر فإذا كبحتم أنفسكم بلجام العقل الداعى إلى ما أدعو إليه فقد أعتمونى عليها .

فإن قلت ما معنى قوله أريدكم لله و تريدوننى لأنفسكم .

قلت لأنّه لا- يريد من طاعتهم له إلا نصره دين الله و القيام بحدوده و حقوقه و لا يريدهم لحظ نفسه و أمّا هم فإنهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء و التقريب و الأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا.

و هذا الخطاب منه ع لجمهور أصحابه فأما الخواص منهم فإنهم كانوا يريدونه للأمر الذى يريدهم له من إقامة شرائع الدين و إحياء معالمه

ص: ٣٢

وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِيفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ
فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيْبَهُمْ مِنْهُ وَ إِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا- قَبْلُهُمْ وَ إِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحَكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ إِنْ مَعِيَ لَبِصَةٌ يَرْتَى مَا
لَبَسْتُ وَ لَا لِبَسَ (١) عَلَيَّ وَ إِنَّهَا لِلْفَيْئَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَ الْحَمَّةُ وَ الشُّبُهَةُ [الْمُغْدَفَةُ]

الْمُغْدَفَةُ وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَ قَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِهِ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحُهُ لَا يَصُدُّرُونَ
عَنْهُ بَرِيٌّ وَ لَا يُعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حِسِّي .

النصف الإنصاف قال الفرزدق و لكن نصفا لو سببت و سبني بنو عبد شمس من قريش و هاشم (٢) و هو على حذف المضاف
أى ذا نصف أى حكما منصفا عادلا يحكم بينى و بينهم و الطلبة بكسر اللام ما طلبته من شىء و لبست على فلان الأمر و لبس
عليه الأمر كلاهما بالتخفيف.

ص: ٣٣

١- (١) مخطوطه النهج بتشديد الباء.

٢- (٢) اللسان ١١: ٢٤٦.

و الحمأ الطين الأسود قال سبحانه مِنْ صِلَالٍ مِنْ حَمٍّ مَسِينٍ (١) و حمه العقرب سمتها أى فى هذه الفئه الباغيه الضلال و الفساد و الضرر و إذا أرادت العرب أن تعبر عن الضلال و الفساد قالت الحمء مثله الحمأه بالتاء و من أمثالهم ثأطه مدت بماء (٢) يضرب للرجل يشتد موقه و جهله و الثأطه الحمأه و إذا أصابها الماء ازدادت فسادا و رطوبه.

و يروى فيها الحمأ بألف مقصوره و هو كناية عن الزبير لأن كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا و أففاء و ما كان بسبب المرأه فهم الأخاتن فأما الأصهار فيجمع الجهتين جمعا و كان الزبير ابن عمه رسول الله ص و قد كان النبى ص أعلم عليا بأن فته من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه فكنى على ع عن الزوجه بالحمه و هى سم العقرب و يروى و الحمء يضرب مثلا- لغير الطيب و لغير الصافى و ظهر أن الحمء الذى أخبر النبى ص بخروجه مع هؤلاء البغاه هو الزبير ابن عمته و فى الحمأ أربع لغات حما مثل قفا و حمء مثل كمء و حمو مثل أبو و حم مثل أب.

قوله ع و الشبهه المغدفه أى الخفيه و أصله المرأه تغدف وجهها بقناعها أى تستره و روى المغدفه (٣) بكسر الدال من أغدف الليل أى أظلم .

و زاح الباطل أى بعد و ذهب و أزاحه غيره.

و عن نصابه عن مركزه و مقره و منه قول بعض المحدثين.

قد رجع الحق إلى نصابه

و أنت من دون الورى أولى به

و الشغب بالتسكين تهيج الشر شغب الحفد بالفتح شغبا و قد جاء بالتحريك فى لغه ضعيفه و ماضيها شغب بالكسر.

ص: ٣٤

١-١ (١) سورة الحجر ٢٦.

٢-٢ (٢) مجمع الأمثال للميدانى ١:١٥٣.

٣-٣ (٣) هى روايه مخطوطه النهج.

أى لأملأن يقال أفرطت المزاده أى ملأتها و غدير مفرط أى ملآن.

و الماتح بنقطتين من فوق المستقى من فوق و بالياء مالى الدلاء من تحت و العب الشرب بلا مص كما تشرب الدابّه و

١٨٦٠

فى الْحَدِيثِ الْكُبَادُ مِنَ الْعَبِّ (١).

و الحسى ماء كامن فى رمل يحفر عنه فيستخرج و جمعه أحساء .

يقول ع و الله ما أنكروا على أمرا هو منكر فى الحقيقه و إنما أنكروا ما الحجه عليهم فيه لا- لهم و حملهم على ذلك الحسد و حبّ الاستئثار بالدنيا و التفضيل فى العطاء و غير ذلك ممّا لم يكن أمير المؤمنين ع يراه و لا يستجيزه فى الدين قال و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا يعنى وسيطا يحكم و ينصف بل خرجوا عن الطاعه بغته و إنهم ليطلبون حقا تركوه أى يظهرن أنهم يطلبون حقا بخروجهم إلى البصره و قد تركوا الحق بالمدينه .قال و دما هم سفكوه يعنى دم عثمان و كان طلحه من أشدّ الناس تحريضا عليه و كان الزبير دونه فى ذلك.

١٨٦١

رَوَى أَنَّ عُمَانَ قَالَ وَيْلَى عَلَى ابْنِ الْحَضَرَمِيِّه يُعْنَى طَلَحَهُ أَعْطَيْتُهُ كَذَا وَ كَذَا بَهَاراً (٢) ذَهَباً وَ هُوَ يَرُومُ دَمِي يُحَرِّضُ عَلَى نَفْسِي
اللَّهُمَّ لَا تَمَتِّعْهُ بِهِ وَ لَقَّه عَوَاقِبَ بَغِيهِ (٣).

١٨٦٢

وَ رَوَى النَّاسُ الَّذِينَ صَبَّحُوا فِي وَاقِعِهِ الدَّارِ أَنَّ طَلَحَهُ كَانَ يَوْمَ قَيْلِ عُمَانَ مُقَنَّعاً بِثَوْبٍ قَدْ اسْتَتَرَ بِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ يَزِمِي الدَّارَ
بِالسَّهَامِ.

١٨٦٣

وَ رَوَوْا أَيْضاً أَنَّهُ لَمَّا امْتَنَعَ عَلَى الَّذِينَ

ص: ٣٥

١- (١) النهايه لابن الأثير ٤:٣. و الكباد: وجع الكبد.

٢- (٢) البهار: الحمل، قيل: هو ثلاثمائه رطل بالقبطه.

٣- (٣) انظر النهايه ١:١.١.

حَصَّيْرُوهُ الدُّخُولَ مِنْ بَابِ الدَّارِ حَمَلَهُمْ طَلْحَهُ إِلَى دَارٍ لِيَغْضِبَ الْأَنْصَارَ فَأَصْبَحَ عَدَهُمْ إِلَى سَيْطِحِهَا وَتَسَوَّرُوا مِنْهَا عَلَى عُثْمَانَ دَارَهُ فَقَتَلُوهُ.

١٨٦٤

وَ رَوَوْا أَيْضًا أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ يَقُولُ أَقْتَلُوهُ فَقَدْ بَدَلَ دِينَكُمْ فَقَالُوا إِنَّ ابْنَكَ يُحَامِي عَنْهُ بِالْبَابِ فَقَالَ مَا أَكْرَهُ أَنْ يُقْتَلَ عُثْمَانُ وَ لَوْ بُدِيَ بَابِي إِنَّ عُثْمَانَ لَجِيفَهُ عَلَى الصَّرَاطِ عَدَاً.

١٨٦٥

وَ قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ تَارِي وَ أَنَا أَرَاهُ وَ لَأَقْتُلَنَّ طَلْحَةَ بِعُثْمَانَ فَإِنَّهُ قَتَلَهُ ثُمَّ رَمَاهُ بِسَيْهِمْ فَأَصَابَ مَا بَضَهُ [\(١\)](#) فَتَزَفَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ .

ثم قال ع إن كنت شريكهم في دم عثمان فإن لهم نصيبهم منه فلا يجوز لهم أن يطلبوا بدمه و هم شركاء فيه و إن كانوا ولوه دوني فهم المطلوبون إذن به لا غيرهم.

و إنما لم يذكر القسم الثالث و هو أن يكون هوع وليه دونهم لأنه لم يقل به قائل فإن الناس كانوا على قولين في ذلك أحدهما أن عليا و طلحه و الزبير مسهم لطلخ من عثمان لا بمعنى أنهم باشروا قتله بل بمعنى الإغراء و التحريض و ثانيهما أن عليا ع برىء من ذلك و أن طلحه و الزبير غير بريئين منه .

ثم قال و إن أول عدلهم للحكم على أنفسهم يقول إن هؤلاء خرجوا و نقضوا البيعة و قالوا إنما خرجنا للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إظهار العدل و إحياء الحق و إماتة الباطل و أول العدل أن يحكموا على أنفسهم فإنه يجب على الإنسان أن يقضى على نفسه ثم على غيره و إذا كان دم عثمان قبلهم فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل إنكارهم على غيرهم.

ص: ٣٦

(١ - ١) المأبض: ما يثبت عليه الفخذ.

قال و إن معى لبصيرتى أى عقلى ما لبست على الناس أمرهم و لا لبس الأمر على أى لم يلبسه رسول الله ص على بل أوضحه لى و عرفنيه.

ثم قال و إنها للفئه الباغيه لام التعريف فى الفئه تشعر بأن نضا قد كان عنده أنه ستخرج عليه فئه باغيه و لم يعين له وقتها و لا كل صفاتها بل بعض علاماتها فلما خرج أصحاب الجمل و رأى تلك العلامات موجوده فيهم قال و إنها للفئه الباغيه أى و إن هذه الفئه أى الفئه التى وعدت بخروجها على و لو لا هذا لقال و إنها لفئه باغيه على التنكير.

ثم ذكر بعض العلامات فقال إن الأمر لو واضح كل هذا يؤكد به عند نفسه و عند غيره أن هذه الجماعه هى تلك الفئه الموعود بخروجها و قد ذهب الباطل و زاح (١) و خرس لسانه بعد شغبه.

ثم أقسم ليملأن لهم حوضا هو ماتحه و هذه كناية عن الحرب و الهيجاء و ما يتعقبهما من القتل و الهلاك لا يصدرون عنه برى أى ليس كهذه الحياض الحقيقه التى إذا وردها الظمان صدر عن رى و نقع غليله بل لا يصدرون عنه إلا و هم جزر السيوف و لا يعبون بعده فى حسى لأنهم هلكوا فلا يشربون بعده البارد العذب.

و كان عمرو بن الليث الصفار أمير خراسان أنفذ جيشا لمحاربه إسماعيل بن أحمد السامانى فانكسر ذلك الجيش و عادوا إلى عمرو بن الليث فغضب و لقى القواد بكلام غليظ فقال له بعضهم أيها الأمير إنه قد طبخ لك مرجل عظيم و إنما نلنا منه لهمه (٢) يسيره و الباقي مذخور لك فعلام تتركه اذهب إليهم فكله فسكت عمرو بن الليث عنه و لم يجب.

ص: ٣٧

١-١) زاح الأمر: ذهب.

٢-٢) اللهم: الجزء اليسير.

و مرادنا من هذه المشابهة و المناسبة بين الكنيتين مِنْهُ فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ
كَفَى فَبَسَطْتُمُوهَا وَ [نَارَعْتُكُمْ]

نَارَعْتُكُمْ يَدِي فَجَادَبْتُمُوهَا اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ نَكَنَّا بَيْنَعْتِي وَ أَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أُبْرَمَا وَ
أَرِهَمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَ عَمِلَا وَ لَقَدْ اسْتَبَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَعَمَطَا النَّعْمَةَ وَ رَدَّا الْعَافِيَةَ .

العود

النوق الحديثات النتاج الواحده عائد مثل حائل و حول و قد يقال ذلك للخيل و الظباء و يجمع أيضا على عودان مثل راع و
رعيان و هذه عائده بينه العئوذ و ذلك إذا ولدت عن قريب و هي فى عياذها أى بحدثان نتاجها (1).

و المطافيل جمع مطفل و هى التى زال عنها اسم العياد و معها طفلها و قد تسمى المطافيل عودا إلى أن يبعد العهد بالتناج مجازا
و على هذا الوجه قال أمير المؤمنين إقبال العوذ المطافيل و إلا فالاسمان معا لا يجتمعان حقيقه و إذا زال الأول ثبت الثانى .

قوله و ألبا الناس على أى حرضا يقال حسود مؤلب.

ص: ٣٨

(١- ١) فى اللسان: «و يقال: هى عائده بينه العئوذ، إذا ولدت عشره أيام أو خمسة عشر، ثم هى مطفل».

و استتبتهما بالثناء المعجمه بثلاث طلبت منهما أن يثوبا أى يرجعا و سمي المنزل مثابه لأن أهله ينصرفون فى أمورهم ثم يثوبون إليه و يروى و لقد استتبتهما أى طلبت منهما أن يتوبا إلى الله من ذنبيهما فى نقض البيعه.

و استأنيت بهما من الإناءه و الانتظار.

و الوقاع بكسر الواو مصدر واقعتهم فى الحرب وقاعاً مثل نازلتهم نزالا و قاتلتهم قتالا.

و غمط فلان النعمه إذا حقرها و أزرى بها غمطا و يجوز غمط النعمه بالكسر و المصدر غير محرك و يقال إن الكسر أفصح من الفتح .

يقول ع إنكم أقبلتم مزدحمين كما تُقبلُ التُّوقُ إلى أولادها تسألوننى البيعه فامتنعت عليكم حتى علمت اجتماعكم فبايعتكم ثم دعا على على طلحه و الزبير بعد أن وصفهما بالقطيعه و النكث و التأليب عليه بأن يحل الله تعالى ما عقدا و ألا يحكم لهما ما أبرما و أن يريهما المساءه فيما أملا و عملا.

فأما الوصف لهما بما وصفهما به فقد صدق ع فيه و أمّا دعاؤه فاستجيب له و المساءه التى دعا بها هى مساءه الدنيا لا مساءه الآخره فإن الله تعالى قد وعدهما على لسان رسوله بالجنه و إنما استوجباها بالتوبه التى ينقلها أصحابنا رحمهم الله فى كتبهم عنهما و لولاها لكانا من الهالكين

إشاره

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .

هذا إشاره إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان و هو الموعود به في الأخبار و الآثار و معنى يعطف الهوى يقهره و يثنيه عن جانب الإيثار و الإراده عاملا عمل الهدى فيجعل الهدى قاهرا له و ظاهرا عليه .

و كذلك قوله و يعطف الرأي على القرآن أى يقهر حكم الرأي و القياس و العمل بغلبه الظنّ عاملا عمل القرآن .

و قوله إذا عطفوا الهدى و إذا عطفوا القرآن إشاره إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام المشاقين له الذين لا يعملون بالهدى بل بالهوى و لا يحكمون بالقرآن بل بالرأى

مِنْهَا حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا حُلُومًا رِضَاعُهَا عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا أَلَا وَفِي غَدٍ وَ سَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا وَ تَخْرُجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ كِبِدِهَا وَ تُلْقَى إِلَيْهِ سَلْمًا مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السَّيْرِ وَ يُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ الشَّنَّةِ .

الساق الشده و منه قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ (١) .

و النواجذ أقصى الأضراس و الكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أن غايه الضحك أن تبدو النواجذ .

قوله مملوءه أخلافها و الأخلاف للناقه حلقات الضرع واحدها خلف و كذلك و قوله حلوا رضاعها علقما عاقبتها قد أخذه الشاعر فقال الحرب أول ما تكون فتيه

ص: ٤١

و هو الرضاع بالفتح و الماضى رضع بالكسر مثل سمع سماعا و أهل نجد يقولون رَضَعَ بالفتح يرَضَع بالكسر رضعا مثل ضرب يضرب ضربا و أنشدوا و ذموا لنا الدنيا و هم يرضعونها أفويق حتى ما يدر لها ثعل (١) بكسر الضاد

فصل فى الاعتراض و إيراد مثل منه

و قوله ألا و فى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضيه و هى قوله و سيأتى غد بما لا تعرفون و المراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه و مثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٢) فقوله تعالى إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ هو الجواب المتلقى به قوله فلا- أُقْسِمُ و قد اعترض بينهما قوله و إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ و اعترض بين هذا الاعتراض قوله لَوْ تَعْلَمُونَ لَأُنْكَ لَوْ تَعْلَمُونَ لأنك لو حذفته لبقى الكلام على إفادته و هو قوله و إِنَّهُ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ و المراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم و تأكيد إجلاله فى النفوس و لا سيما بقوله لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ .

و من ذلك قوله تعالى وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٣) فقوله سُبْحَانَهُ اعتراض و المراد التنزيه و كذلك قوله تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ف لَقَدْ عَلِمْتُمْ اعتراض و المراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة.

و كذلك قوله وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

ص: ٤٢:

١- ١) اللسان ٩: ٤٨٤، و نسبه إلى ابن همام السلولى.

٢- ٢) سورة الواقعة ٧٥-٧٧.

٣- ٣) سورة النحل ٥٧.

مُفْتَرٍ (١) فاعترض بين إذا و جوابها بقوله وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجِيبَهُمْ عَنْ دَعْوَاهُمْ فَجَعَلَ الْجَوَابَ اعْتِرَاضًا.

و من ذلك قوله وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلِيًّا وَهْنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِيُؤَدِّيكَ (٢) فاعترض بقوله حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلِيًّا وَهْنٌ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ بَيْنَ وَصَّيْنَا وَ بَيْنَ الْمُوصَى بِهِ وَ فَائِدَهُ ذَلِكَ إِذْكَارَ الْوَالِدِ بِمَا كَابَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي حَمَلِهِ وَ فَصَالِهِ.

و من ذلك قوله وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَكَلَّمْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا (٣) فقوله وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اعتراض بين المعطوف و المعطوف عليه و المراد أن يقرر في أنفس السامعين أنه لا ينفع البشر كتمانهم و إخفاؤهم لما يريد الله إظهاره.

و من الاعتراض في الشعر قول جرير و لقد أراني و الجديد إلى بلى في موكب بيض الوجوه كرام (٤) فقوله و الجديد إلى بلى اعتراض و المراد تعزيتة نفسه عما مضى من تلك اللذات.

و كذلك قول كثير لو أن الباخلين و أنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا (٥) فقوله و أنت منهم اعتراض و فائدته ألا تظن أنها ليست باخلة.

ص: ٤٣

١-١ (١) سورة النحل ١٠١.

٢-٢ (٢) سورة لقمان ١٤.

٣-٣ (٣) سورة البقرة ٧٣، ٧٤.

٤-٤ (٤) ديوانه ٥٥١، و الرواية فيه: «في فتيه طرف الحديث كرام».

٥-٥ (٥) ديوانه ١٥١: ١.

و من ذلك قول الشاعر (١) فلو سألت سراة الحى سلمى

فقوله على أن قد تلون بى زمانى.

اعتراض و فائدته الإخبار عن أن السن قد أخذت منه و تغيرت بطول العمر أوصافه.

و من ذلك قول أبى تمام رددت رونق وجهى فى صحيفته فقوله و خير القول أصدقه اعتراض و فائدته إثبات صدقه فى دعواه أنه لا يبالى أيهما حقن.

فأما قول أبى تمام أيضا و إن الغنى لى إن لحظت مطالبى من الشعر إلا فى مديحك أطوع (٢).

فإن الاعتراض فيه هو قوله... إلا فى مديحك.. و ليس قوله... إن لحظت مطالبى اعتراضا كما زعم ابن الأثير الموصلى (٣) لأن فائده البيت معلقه عليه لأنه لا يريد أن الغنى

ص: ٤٤

١-١ لسوار بن المضرب السعدى. ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ١:١٣٠.

٢-٢ سراة القوم: خيارهم.

٣-٣ زبونات، من الزبن، و هو الدفع. و التيحان: العريض المقدام.

لى على كل حال أطوع من الشعر و كيف يريد هذا و هو كلام فاسد مختل بل مراده أن الغنى لى بشرط أن تلحظ مطالبى من الشعر أطوع لى إلا- فى مديحك فى الشعر فى مديحك أطوع لى منه و إذا كانت الفائده معلقه بالشرط المذكور لم يكن اعتراضا و كذلك وهم ابن الأثير (١) أيضا فى قول إمرئ القيس فلو أن ما أسعى لأدنى معيشه

فقال إن قوله و لم أطلب اعتراض و ليس بصحيح لأن فائده البيت مرتبطه به و تقديره لو سعت لأن آكل و أشرب لكفانى القليل و لم أطلب الملك فكيف يكون قوله و لم أطلب الملك اعتراضا و من شأن الاعتراض أن يكون فضله ترد لتحسين و تكمله و ليست فائده أصلية.

و قد يأتى الاعتراض و لا فائده فيه و هو غير مستحسن نحو قول النابغه يقول رجال يجهلون خليقتى لعل زيادا لا أبا لك غافل (٢).

فقوله لا أبا لك اعتراض لا معنى تحته هاهنا و مثله قول زهير سئمت تكاليف الحياه و من يعيش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم (٣).

فإن جاءت لا أبا لك تعطى معنى يليق بالموضع فهى اعتراض جيد نحو قول أبى تمام عتابك عنى لا أبا لك و اقصدى.

فإنه أراد زجرها و ذمها لما أسرفت فى عتابه.

ص: ٤٥

١- (١) المثل السائر ١٨٦:٢.

٢- (٢) ديوانه ٣٩.

٣- (٣) ديوانه ٦١.

وقد يأتي الاعتراض على غايه من القبح والاستهجان و هو على سبيل التقديم و التأخير نحو قول الشاعر فقد و الشك بين لى
عناء بوشك فراقهم صرد فصيح (١) تقديره فقد بين لى صرد يصيح بوشك فراقهم و الشك عناء فلأجل قوله و الشك عناء بين
قد و الفعل الماضى و هو بين عد اعتراضا مستهجنا و أمثال هذا للعرب كثير قوله ع يأخذ الوالى من غيرها عمالها على مساوى
أعمالها كلام منقطع عما قبله و قد كان تقدم ذكر طائفه من الناس ذات ملك و أمره فذكر ع أن الوالى يعنى الإمام الذى يخلقه
الله تعالى فى آخر الزمان يأخذ عمال هذه الطائفه على سوء أعمالهم و على هاهنا متعلقه بيأخذ التى هى بمعنى يؤاخذ من قولك
أخذته بذنبه و أخذته و الهمز أفصح .

و الأقاليد جمع أفلاذ و أفلاذ جمع فلذ و هى القطعه من الكبد و هذا كناية عن الكنوز التى تظهر للقائم بالأمر

١٨٦٦

١٢- وَ قَدْ جَاءَ ذِكْرُ ذَلِكْ فِي خَبَرٍ مَرْفُوعٍ فِي لَفْظِهِ وَ قَمَاءَتْ لَهُ الْمَأْرُضُ أَفْلَاذَ كِبِدِهَا . وَ قَدْ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا (٢) بِذَلِكَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ .

و المقاليد المفاتيح منها كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَ فَحَصَّ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَيْهَا الضَّرُوسِ وَ فَرَشَ الْأَرْضَ
بِالرُّءُوسِ قَدْ فَعَرَّتْ فَاعْرُتُهُ وَ ثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَ طَأَّتُهُ بَعِيدَ الْجَوْلِ عَظِيمِ الصَّوْلِهِ

ص: ٤٦

١- (١) المثل السائر ١٩١: ٢.

٢- (٢) سورة الزلزله ٢.

وَاللّٰهُ لَيَشْرِدَنَّكُمْ فِيْ اطْرَافِ الْمَارِضِ حَتّٰى لَا يَبْقٰى مِنْكُمْ اِلَّا قَلِيْلٌ كَالْكَحْلِ فِي الْعَيْنِ فَلَا تَزَالُوْنَ كَذٰلِكَ حَتّٰى تَتُوْبَ اِلَى الْعَرَبِ
عَوَازِبُ اَحْلَامِهَا فَالزَّمُوْا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَ الْاَثَارَ الْبَيِّنَةَ وَ الْعَهْدَ الْقَرِيْبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي التُّبُوْهِ وَ اعْلَمُوْا اَنَّ الشَّيْطَانَ اِنَّمَا يُسَيِّئُ لَكُمْ
طُرُقَهُ لِيَتَّعِبُوْا عَقِبَهُ .

هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان و ظهوره بالشام و ملكه بعد ذلك العراق و ما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث و قتله أيام مصعب بن الزبير .

و نعق الراعى بغنمه بالعين المهملة و نعق الغراب بالغين المعجمه و فحص براياته هاهنا مفعول محذوف تقديره و فحص الناس براياته أى نحاهم و قلبهم يمينا و شمالا .

و كوفان اسم الكوفه و ضواحيها ما قرب منها من القرى و الضروس الناقه السيئه الخلق تعض حالبها قال بشر بن أبى خازم عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشبهاء لا يمشى الضراء رقيبها (١) .

و قوله و فرش الأرض بالراءوس غطاها بها كما يغطى المكان بالفراش .

و فغرت فاغرتة كأنه يقول فتح فاه و الكلام استعاره و فغر فعل يتعدى و لا يتعدى و ثقلت فى الأرض وطأته كناية عن الجور و الظلم .

بعيد الجوله

استعاره أيضا و المعنى أن تطواف خيوله و جيوشه فى البلاد أو جولان رجاله فى الحرب على الأقران طويل جدا لا يتعبه السكون إلا نادرا .

و بعيد منصوب على الحال و إضافته غير محضه .

ص: ٤٧

و عواذب أحلامها ما ذهب من عقولها عزب عنه الرأى أى بعد .

و يسنى لكم طرقه أى يسهل و العقب بكسر القاف مؤخر القدم و هى مؤنثه.

فإن قلت فإن قوله حتى تثوب يدل على أن غايه ملكه أن تثوب إلى العرب عواذب أحلامها و عبد الملك مات فى ملكه و لم يزل الملك عنه بأوبه أحلام العرب إليها فإن فائده حتى إلى و هى موضوعه للغايه.

قلت إن ملك أولاده ملكه أيضا و ما زال الملك عن بنى مروان حتى آبت إلى العرب عواذب أحلامها و العرب هاهنا بنو العباس و من اتبعهم من العرب أيام ظهور الدوله كقحطبه بن شبيب الطائى و ابنه حميد و الحسن و كبنى رزتنى بتقديم الراء المهمله الذين منهم طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبى و عدادهم فى خزاعه و غيرهم من العرب من شيعه بنى العباس و قد قيل إن أبا مسلم أيضا عربى أصله و كل هؤلاء و آبائهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين فى دوله بنى أميه لم ينهض منهم ناهض و لا وثب إلى الملك واثب إلى أن أفاء الله تعالى إلى هؤلاء ما كان عزب عنهم من إباثهم و حميتهم فغاروا للدين و المسلمين من جور بنى مروان و ظلمهم و قاموا بالأمر و أزالوا تلك الدوله التى كرهاها الله تعالى و أذن فى انتقالها .

ثم أمرهم ع بأن يلزموا بعد زوال تلك الدوله الكتاب و السنه و العهد القريب الذى عليه باقى النبوه يعنى عهده و أيامه ع و كأنه خاف من أن يكون بإخباره لهم بأن دوله هذا الجبار ستنقضى إذا آبت إلى العرب عواذب أحلامها كالأمر لهم باتباع و لاه الدوله الجديده فى كل ما تفعله فاستظهر عليهم بهذه الوصيه و قال لهم إذا ابتذلت الدوله فالزموا الكتاب و السنه و العهد الذى فارقتكم عليه

اشاره

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوِهِ حَقٌّ وَ صِدْقٌ لَهُ رَحِمٌ وَ عَائِدَةٌ كَرَمٌ فَاسْمِعُوا قَوْلِي وَ عُوا مَنْطِقِي عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا
الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِلْأَهْلِ الضَّالَّةِ وَ شِيعَةً لِلْأَهْلِ الْجَهَّالَةِ .

هذا من جملة كلام قاله ع لأهل الشورى بعد وفاه عمر

من أخبار يوم الشورى و توليه عثمان

و قد ذكرنا من حديث الشورى فيما تقدم ما فيه كفايه و نحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك و هو

١٨٦٧

١١٤-١- مِنْ رِوَايَةِ عَوَانَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي كِتَابِ الشُّورَى وَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَ قَدْ رَوَاهُ أَيْضاً أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ فِي زِيَادَاتِ كِتَابِ السَّقِيفَةِ قَالَ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ سِدَّتَيْهِ نَفَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ عُثْمَانُ
بْنُ عَفَّانَ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَ كَانَ

ص: ٤٩

طَلَحَهُ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ وَقَالَ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قُبِضَ وَ هُوَ عَن هَؤُلَاءِ رَاضٍ فَهَمُّ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ أَوْصَى صَهْبِئِبُ بْنُ سِنَانٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ وَ يُقَالُ إِنَّ أَضْيَلَهُ مِنْ حَيٍّ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ يُقَالُ لَهُمْ عَنزَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُصَيِّمَ بِالنَّاسِ حَتَّى يَرْضَى هَؤُلَاءِ القَوْمِ رَجُلًا مِنْهُمْ وَ كَانَ عُمَرُ لَا يَشْكُ أَنْ هَذَا الأَمْرُ صَائِرٌ إِلَى أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانَ وَ قَالَ إِنْ قَدِمَ طَلَحَهُ فَهُوَ مَعَهُمْ وَ إِلاَ- فَلتُخْتَرِ الخُمْسَهُ وَاحِدًا مِنْهَا وَ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَبِيلَ مَوْتِهِ أَخْرَجَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى وَ قَالَ الأَمْرُ فِي هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةِ وَ دَعُوا سَعْدًا عَلَى حَالِهِ أَمِيرًا بَيْنَ يَدَيِ الإِمَامِ ثُمَّ قَالَ وَ لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجِرَّاحِ حَيًّا لَمَا تَخَالَجَنِي فِيهِ الشُّكُوكُ فَإِنْ اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ عَلَى وَاحِدٍ فَكُونُوا مَعَ الثَّلَاثَةِ وَ إِنْ اخْتَلَفُوا فَكُونُوا مَعَ الجَانِبِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وَ قَالَ لِأَبِي طَلَحَةَ الأَنْصَارِيُّ يَا أَبَا طَلَحَةَ فَوَ اللَّهُ لَطَالَمَا أَعَزَّ اللَّهُ بِكُمْ الدِّينَ وَ نَصَرَ بِكُمْ الإِسْلَامَ اخْتَرْنَا مِنَ المُسْلِمِينَ خَمْسِينَ رَجُلًا فَأَنْتَ بِهِمْ هَؤُلَاءِ القَوْمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَاسْتَحْتُوهُمْ حَتَّى يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَ لِلأُمَّةِ رَجُلًا مِنْهُمْ .

ثُمَّ جَمَعَ قَوْمًا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَ الأَنْصَارِ فَأَعْلَمَهُمْ مَا أَوْصَى بِهِ وَ كَتَبَ فِي وَصِيَّتِهِ أَنْ يُوَلَّى الإِمَامَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ الكُوفَةَ وَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ لِأَنَّهُ كَانَ عَزَلَ سَعْدًا عَن سَخَطِهِ فَأَحَبَّ أَنْ يُطَلَّبَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِالأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ اسْتِزْضَاءً لِسَعْدٍ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ فَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهُمُهُ مِنَ الأَنْصَارِ وَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ الجَوْهَرِيُّ هُوَ سَهْلُ بْنُ سَعْدِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ مَشَيْتُ وَرَاءَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ وَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَمَشِي فِي جَانِبِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ ذَهَبَتْ مِنَّا وَ اللَّهُ فَقَالَ كَيْفَ عَلِمْتَ قَالَ أَلَا تَسْمَعُهُ يَقُولُ كُونُوا فِي الجَانِبِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَظِيرُ عُثْمَانَ وَ هُوَ صِهْرُهُ فَإِذَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ فَلَوْ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ

الْبَاقِيَيْنِ كَانَا مَعِيَ لَمْ يُغَيِّبَا عَنِّي شَيْئًا مَعَ أَنِّي لَسْتُ أَرْجُو إِلَّا أَحَدَهُمَا وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحَبَّ عُمَرُ أَنْ يُعْلِمَنَا أَنَّ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ عِنْدَهُ فَضْلًا عَلَيْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَيْنَا كَمَا لَمْ يَجْعَلْهُ لِأَوْلَادِهِمْ عَلَى أَوْلَادِنَا أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ عُمَرُ لَمْ يَمُتْ لَأَذْكَرْتُهُ مَا أَتَى إِلَيْنَا قَدِيمًا وَ لَأَعْلَمْتُهُ سُوءَ رَأْيِهِ فِيْنَا وَ مَا أَتَى إِلَيْنَا حَدِيثًا وَ لَئِنْ مَاتَ وَ لَيَمُوتَنَّ لَيَجْتَمِعَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفُوا هَذَا الْأَمْرَ عَنَّا وَ لَئِنْ فَعَلُوا وَ لَيَفْعَلَنَّ لَيَرَوُنِّي حَيْثُ يَكْرَهُونَ وَ اللَّهُ مَا بِي رَغْبَةٌ فِي السُّلْطَانِ وَ لَا حُبُّ الدُّنْيَا وَ لَكِنْ لِإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَ الْقِيَامِ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَنِ.

قَالَ ثُمَّ التَّفَتَ فَرَآنِي وَرَأَاهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ سَاءَهُ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَا تُرْعَ أَبَا حَسَنِ لَا وَ اللَّهُ لَا يَسْتَمِعُ أَحَدٌ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا مَا اضْطَحَبْنَا فِيهَا فَوَ اللَّهُ مَا سَمِعُهُ مِنِّي مَخْلُوقٌ حَتَّى قَبِضَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِلَى رَحْمَتِهِ.

قَالَ عَوَانُهُ فَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي الشَّعْبِيُّ قَالَ فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ وَ أَدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ ثُمَّ وَضِعَ لِيَصِدَّ لِي عَلَيْهِ تَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَامَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ فَقَامَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ عَلِيُّ ع هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ فَقَالَ عُثْمَانُ بَلْ هَكَذَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا أَسْرَعَ مَا اخْتَلَفْتُمْ يَا صُهِيبُ صَلِّ عَلَى عُمَرَ كَمَا رَضِيَ أَنْ تُصَلِّيَ بِهِمُ الْمَكْتُوبَةُ فَتَقَدَّمَ صُهِيبٌ فَصَلَّى عَلَى عُمَرَ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَ أَدْخَلَ أَهْلُ السُّورَى دَارًا فَأَقْبَلُوا يَتَجَادَلُونَ عَلَيْهَا وَ كُلُّهُمْ بِهَا ضَمِينٌ وَ عَلَيْهَا حَرِيصٌ إِمَّا لِالدُّنْيَا وَ إِمَّا لِآخِرِهِ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَنْ رَجُلٌ مِنْكُمْ يُخْرِجُ نَفْسَهُ عَن هَذَا الْأَمْرِ وَ يَخْتَارُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِنِّي طَيِّبُهُ نَفْسِي أَنْ أَخْرِجَ مِنْهَا وَ أَخْتَارَ لَكُمْ قَالُوا قَدْ رَضِينَا إِلَّا- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ أَتَاهُمْ وَ قَالَ أَنْظُرْ وَ أَرَى فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَيْهِ وَ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ارْضَ بِرَأْيِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ الْأَمْرُ لَكَ أَوْ لِغَيْرِكَ فَقَالَ عَلِيُّ أَعْطِنِي يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مُوثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتُؤْتِرَنَّ الْحَقَّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى

وَلَا تَمَلْ إِلَى صَهْرٍ وَلَا ذِي قَرَابَةٍ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا تَأَلُوْا هَيْدَةَ الْأُمَّةِ أَنْ تَخْتَارَ لَهَا خَيْرَهَا قَالَ فَحَلَفَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِأَجْتِهَدَنَّ لِنَفْسِي وَلَكُمْ وَلِلْأُمَّةِ وَلَا أَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا إِلَى صَهْرٍ وَلَا ذِي قَرَابَةٍ قَالَ فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُشَاوِرُ النَّاسَ ثُمَّ رَجَعَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَكَثُرُوا عَلَى الْبَابِ لَا يَشْكُونَ أَنَّهُ يُبَايِعُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ هَوَى قُرَيْشٍ كَافَّةً مَا عَدَا بَنِي هَاشِمٍ فِي عُثْمَانَ وَهَوَى طَائِفَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ عَلِيٍّ وَهَوَى طَائِفَةٍ أُخْرَى مَعَ عُثْمَانَ وَهِيَ أَقْلُ الطَّائِفَتَيْنِ وَطَائِفَةٌ لَا يُبَالُونَ أَيُّهُمَا بُوِيعَ.

قَالَ فَأَقْبَلَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اسْمِعُوا مَا أَقُولُ أَنَا الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو إِنَّكُمْ إِنْ بَايَعْتُمْ عَلِيًّا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَإِنْ بَايَعْتُمْ عُثْمَانَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيُّ فَنَادَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ إِنْ بَايَعْتُمْ عُثْمَانَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَإِنْ بَايَعْتُمْ عَلِيًّا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا فَقَالَ لَهُ الْمِقْدَادُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ رَسُولِهِ وَعَدُوَّ كِتَابِهِ وَمَتَى كَانَ مِثْلَكَ يَسْمَعُ لَهُ الصَّالِحُونَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ يَا ابْنَ الْحَلِيفِ الْعَسِيفِ (١) وَمَتَى كَانَ مِثْلَكَ يَجْتَرِي عَلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِ قُرَيْشٍ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرِيحٍ أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنْ أَرَدْتُمْ أَلَّا تَخْتَلِفَ قُرَيْشٌ فِيمَا بَيْنَهَا فَبَايَعُوا عُثْمَانَ فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ إِنْ أَرَدْتُمْ أَلَّا يَخْتَلِفَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَبَايَعُوا عَلِيًّا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرِيحٍ فَقَالَ يَا فَاسِقُ يَا ابْنَ الْفَاسِقِ أَأَنْتَ مِمَّنْ يَسْتَنْصِحُ حُهُ الْمُسْلِمُونَ أَوْ يَسْتَشِيرُ يَرُونَهُ فِي أُمُورِهِمْ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَنَادَى مُنَادٍ لَا يُدْرِي مَنْ هُوَ فَقُرَيْشٌ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَالْأَنْصَارُ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَجُلٌ طَوَالَ آدَمَ مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ افْرُغْ مِنْ أَمْرِكَ وَامْضِ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ فَإِنَّهُ الصَّوَابُ.

ص: ٥٢

قَالَ الشَّعْبِيُّ فَأَقْبَلَ عَزِيدُ الرَّحْمَنِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ وَ أَشَدُّ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ عَهْدٍ وَ مِيثَاقٍ إِنَّ بَايَعْتُكَ لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَنِهِ رَسُولِهِ وَ سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَقَالَ عَلِيُّ ع طَاقَتِي وَ مَبْلَغَ عِلْمِي وَ جَهْدَ رَأْيِي وَ النَّاسَ يَسْمَعُونَ.

فَأَقْبَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ نَعَمْ لَا- أَزُولُ عَنْهُ وَ لَا أَدْعُ شَيْئاً مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَ لِعُثْمَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ ذَلِكَ يُجِيبُ عَلِيُّ مِثْلَ مَا كَانَ أَجَابَ بِهِ وَ يُجِيبُ عُثْمَانُ بِمِثْلِ مَا كَانَ أَجَابَ بِهِ.

فَقَالَ ابْسُطْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَ قَامَ الْقَوْمُ فَخَرَجُوا وَ قَدْ بَايَعُوا إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُبَايِعِ.

قَالَ فَخَرَجَ عُثْمَانُ عَلَى النَّاسِ وَ وَجْهُهُ مَتَهَلَّلٌ وَ خَرَجَ عَلِيُّ وَ هُوَ كَأَسْفُ الْيَالِ مُظْلَمٌ وَ هُوَ يَقُولُ يَا ابْنَ عَوْفٍ لَيْسَ هَذَا بِأَوَّلِ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ عَلَيْنَا مِنْ دَفْعِنَا عَنْ حَقِّنَا وَ الْإِسْتِثْنَارِ عَلَيْنَا وَ إِنَّهَا لَسُنَّةٌ عَلَيْنَا وَ طَرِيقَةٌ تَرَكْتُمُوهَا.

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ سُعْبَةَ لِعُثْمَانَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بُويعَ غَيْرُكَ لَمَا بَايَعْنَاهُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَوْ بُويعَ غَيْرُهُ لَبَايَعْتَهُ وَ مَا أَنْتَ وَ ذَاكَ يَا ابْنَ الدَّبَاغَةِ وَاللَّهِ لَوْ وَلِيَهَا غَيْرُهُ لَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ الْآنَ تَقْرُبًا إِلَيْهِ وَ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا فَادْهَبْ لَا أَبَا لَكَ.

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لَوْ لَا مَكَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَسْمَعْتُكَ مَا تَكَرَّرَهُ وَ مَضِيَا.

قَالَ الشَّعْبِيُّ فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ رَحْلَهُ دَخَلَ إِلَيْهِ بَنُو أُمِّيَّةَ حَتَّى امْتَلَأَتْ بِهِمُ الدَّارُ ثُمَّ أَغْلَقُوهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَعِنْدَكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالُوا لَا قَالَ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ تَلَقَّوهَا تَلَقُّفَ الْكُرْهِ فَوَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ أَبُو سُفْيَانَ مَا مِنْ عَذَابٍ وَ لَا حِسَابٍ وَ لَا جَنَّةٍ وَ لَا نَارٍ وَ لَا بَعْثٍ وَ لَا قِيَامَةٍ.

قَالَ فَانْتَهَرَهُ عُثْمَانُ وَ سَاءَهُ بِمَا قَالَ وَ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ مَا صَبَّغْتَ فَوَاللَّهِ مَا وَفَّقْتَ حَيْثُ تَدْخُلُ رَحْلَكَ قَبْلَ أَنْ تَصْبِغَ عَبْدَ الْمِثْبَرِ فَتَحْمَدَ اللَّهَ وَ تُنَبِّئَ عَلَيْهِ وَ تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَعِدُ النَّاسَ خَيْرًا .

قَالَ فَخَرَجَ عُثْمَانُ فَصَعِدَ الْمِثْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا مَقَامٌ لَمْ نَكُنْ نَقُومُهُ وَ لَمْ نَعُدْ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُقَامُ بِهِ فِي مِثْلِهِ وَ سَأْهُيئُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ لَنْ أَلُوْ أُمَّهُ مُحَمَّدٍ خَيْرًا وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

ثُمَّ نَزَلَ .

قَالَ عَوَانَةُ فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ جَرِيرٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ شَقِيقِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا انْصَرَفَ إِلَى رَحْلِهِ قَالَ لِبَنِي أَبِيهِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ قَوْمَكُمْ عَادُواكُمْ بَعِيدَ وَفَاهِ النَّبِيِّ كَعِدَاوَتِهِمْ النَّبِيِّ فِي حَيَاتِهِ وَ إِنْ يُطِيعُ قَوْمُكُمْ لَا تَوَمَّرُوا أَبَدًا وَ وَاللَّهِ لَا يُنِيبُ هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا بِالسَّيْفِ قَالَ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلُ إِلَيْهِمْ قَدْ سَمِعَ الْكَلَامَ كُلَّهُ فَدَخَلَ وَ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَ تُرِيدُ أَنْ تُضْرِبَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالَ اسْكُتْ وَ يَحْكُكَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا أَبُوكَ وَ مَا رَكِبَ مِنِّي قَدِيمًا وَ حَيْدِيثًا مَا نَارَعَنِي ابْنُ عَفَّانَ وَ لَا ابْنُ عَوْفٍ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَخَرَجَ .

قَالَ وَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي أَمْرِ الْهُزْمَانِ وَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَ قَتْلِهِ إِيَّاهُ وَ بَلَغَ مَا قَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَامَ عُثْمَانُ فَصَبَّغَ عَبْدَ الْمِثْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَصَابَ الْهُزْمَانِ وَ هُوَ رَجُلٌ مِنْ

الْمُسْلِمِينَ وَ لَيْسَ لَهُ وَارِثٌ إِلَّا اللَّهُ وَ الْمُسْلِمُونَ وَ أَنَا إِمَامُكُمْ وَ قَدْ عَفَوْتُ أَوْ تَغْفُونَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ خَلِيفَتِكُمْ بِالْأَمْسِ قَالُوا نَعَمْ فَعَفَا عَنْهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا تَضَاحَكَ وَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ يَدَأُ بِهَا عُثْمَانُ أَوْ يَغْفُو عَنْ حَقِّ امْرِئٍ لَيْسَ بِوَالِيهِ تَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ قَالُوا فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ مِنْ عُثْمَانَ مِمَّا نَقِمَ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَ خَرَجَ الْمُقْتَدَادُ مِنَ الْعَمَدِ فَلَقِيَ عُبَيْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَ قَالَ إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ بِمَا صَيَّرْتَنِي وَجْهَ اللَّهِ فَأَتَابَكَ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَأَكْثِرْ اللَّهُ مَالَكَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اسْمِعْ رَحِمَكَ اللَّهُ اسْمِعْ قَالَ لَا أَسْمَعُ وَ اللَّهُ وَ حَيْذَبَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ وَ مَضَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ قُمْ فَقَاتِلْ حَتَّى نُقَاتِلَ مَعَكَ قَالَ عَلِيٌّ فَبِمَنْ أُقَاتِلُ رَحِمَكَ اللَّهُ وَ أَقْبَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يُنَادِي يَا نَاعِي الْإِسْلَامِ قُمْ فَأَنْعِهِ قَدْ مَاتَ عَوْفٌ وَ بَدَأَ نُكْرًا.

أَمْرًا وَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ لِي أَعْوَانًا لَقَاتَلْتُهُمْ وَ اللَّهُ لَئِنْ قَاتَلْتُهُمْ وَاحِدًا لَأَكُونَنَّ لَهُ ثَانِيًا فَقَالَ عَلِيٌّ يَا أَبَا الْيَقْظَانِ وَ اللَّهُ لَا أَجِدُ عَلَيْهِمْ أَعْوَانًا وَ لَا أَحِبُّ أَنْ أَعْرِضَكُمْ لِمَا لَا تُطِيقُونَ وَ بَقِيَ ع فِي دَارِهِ وَ عِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ لَيْسَ يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَخَافَةَ عُثْمَانَ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَ اجْتَمَعَ أَهْلُ السُّورَى عَلَى أَنْ تَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ لَمْ يُبَايِعْ فَقَامُوا إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا قُمْ فَبَايِعْ عُثْمَانَ قَالَ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالُوا نُجَاهِدُكَ قَالَ فَمَشَى إِلَى عُثْمَانَ حَتَّى بَايَعَهُ وَ هُوَ يَقُولُ صِدْقَ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ فَلَمَّا بَايَعَهُ أَتَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِ وَ قَالَ إِنَّ عُثْمَانَ أَعْطَانَا يَدَهُ وَ يَمِينَهُ وَ لَمْ تَفْعَلْ أَنْتَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَوَقَّعَ لِلْمُسْلِمِينَ فَجَعَلْتَهَا فِيهِ فَقَالَ إِيهَا عَنْكَ إِنَّمَا آثَرْتَهُ بِهَا لِتَنَالَهَا بَعْدَهُ دَقَّ اللَّهُ بَيْنَكُمَا عِطْرَ مَنْشِمٍ (١).

ص: ٥٥

١ - ١) منشم: امرأه عطاره من خزاعه؛ فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا؛ فضرب ذلك مثلاً لشده الأمر.

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَ قَدِمَ طَلْحَهُ مِنَ الشَّامِ بَعِيدَ مَرَا بُوَيْعَ عُثْمَانَ فَقِيلَ لَهُ رَدِّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَرَى فِيهِ رَأْيَكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ بَايَعْتُمْ شَرَّكُمْ لَرَضِيْتُ فَكَيْفَ وَ قَدْ بَايَعْتُمْ خَيْرَكُمْ قَالَ ثُمَّ عَدَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَ صَاحِبُهُ حَتَّى قَتَلَهُ ثُمَّ زَعَمَا أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ بَدَمِهِ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ فَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ النَّاسُ مِنَ الْمُنَاشَدَةِ وَ قَوْلِ عَلِيٍّ ع لِأَهْلِ الشُّورَى أ فَيْكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص كَذَبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْبَيْعَةِ وَ إِنَّمَا كَانَ بَعِيدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ دَخَلَ عَلِيٌّ ع عَلَى عُثْمَانَ وَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهُمْ أَهْلُ الشُّورَى وَ قَدْ كَانَ بَلَغَهُ عَنْهُمْ هَمَاتٌ وَ قَوَارِصٌ فَقَالَ لَهُمْ أ فَيْكُمْ كَمَلٌ ذَلِكَ يَقُولُونَ لَا- قَالَ لَكِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَمَا أَنْتَ يَا عُثْمَانُ فَفَرَرْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَ تَوَلَّيْتَ يَوْمَ النَّقِيِّ الْجَمْعَانِ وَ أَمَا أَنْتَ يَا طَلْحَةَ فَقُلْتَ إِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَنُوكِضَنَّ بَيْنَ خَلَاخِيلِ نِسَائِهِ كَمَا رَكِضَ بَيْنَ خَلَاخِيلِ نِسَائِنَا وَ أَمَا أَنْتَ يَا عَبِيدَ الرَّحْمَنِ فَصَاحِبُ قَرَارِيطٍ وَ أَمَا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَتَيْدِقُ عَنْ أَنْ تَذَكَرَ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ عُثْمَانُ أ مَا كَانَ فِيكُمْ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ قَالُوا وَ مَا مَنَعَكَ مِنْ ذَلِكَ وَ أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ تَفَرَّقُوا

١٨٤٨

١- قَالَ عَوَانَةُ قَالَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ الشَّعْبِيُّ فَخِذْ نَبِيَّ عَبِيدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ جُنْدَبِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا بِالْمَدِينَةِ حَيْثُ بُوَيْعَ عُثْمَانُ فَجِئْتُ فَجَلَسْتُ إِلَى الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو وَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُتِيَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ وَ كَانَ عَبِيدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ جَالِسًا فَقَالَ وَ مَا أَنْتَ وَ ذَاكَ يَا مِقْدَادُ قَالَ الْمِقْدَادُ إِنِّي وَ اللَّهُ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قُرَيْشٍ وَ تَطَاوُلِهِمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ انْتَرَاعِهِمْ سُلْطَانَهُ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ عَبِيدُ الرَّحْمَنِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي

ص: ٥٦

لَكُمْ قَالَ الْمَقْدَادُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ رَجُلًا مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي عَلَى قُرَيْشٍ أَعْوَانًا لَقَاتَلْتُهُمْ قِتَالِي إِيَّاهُمْ بِيَدِي وَ أَحَدٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ لَا يَسْمَعَنَّ هَذَا الْكَلَامَ النَّاسُ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَ فِتْنَةٍ وَ فُرْقَةٍ.

قَالَ الْمَقْدَادُ إِنَّ مَنْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ وَ أَهْلِهِ وَ وُلَاهِ الْأَمْرَ لَا يُكُونُ صَاحِبَ فِتْنَةٍ وَ لَكِنْ مَنْ أَقْحَمَ النَّاسَ فِي الْبَاطِلِ وَ آثَرَ الْهَوَى عَلَى الْحَقِّ فَذَلِكَ صَاحِبُ الْفِتْنَةِ وَ الْفُرْقَةِ.

قَالَ فَتَرَبَّدَ وَجْهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَالَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ إِيَّاي تَعْنِي لَكَانَ لِي وَ لَكَ شَأْنٌ.

قَالَ الْمَقْدَادُ إِيَّاي تُهَدِّدُ يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَامَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَانصَرَفَ.

قَالَ جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَبَعْتُهُ وَ قُلْتُ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنَا مِنْ أَعْوَانِكَ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُعْنِي فِيهِ الرَّجُلَانِ وَ لَا الثَّلَاثَةُ قَالَ فَدَخَلْتُ مِنْ فُورِي ذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ عَ فَلَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَ اللَّهُ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ بِصِرْفِ هَذَا الْأَمْرِ عَنْكَ فَقَالَ صَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَقُلْتُ وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَصَبُورٌ قَالَ فَإِنْ لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ قُلْتُ إِنِّي جَلَسْتُ إِلَى الْمَقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو أَنِفًا وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَا كَذًا وَ كَذًا ثُمَّ قَامَ الْمَقْدَادُ فَاتَّبَعْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ كَذًا فَقَالَ لِي كَذًا فَقَالَ عَلِيٌّ عَ لَقَدْ صَدَقَ الْمَقْدَادُ فَمَا أَصْنَعُ فَقُلْتُ تَقُومُ فِي النَّاسِ فَتَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِكَ وَ تُخْبِرُهُمْ أَنَّكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ صَ وَ تَسْأَلُهُمُ النَّصِيحَةَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُظَاهِرِينَ عَلَيْكَ فَإِنْ أَجَابَكَ عَشْرَةٌ مِنْ مَائِهِ شَدَّدْتَ بِهِمْ عَلَى الْبَاقِينَ فَإِنْ دَانُوا لَكَ فَذَاكَ وَ إِلَّا قَاتَلْتَهُمْ وَ كُنْتُ أَوْلَى بِالْعُدْرِ قُلْتُ أَوْ بَقِيَّتِ وَ كُنْتُ أَعْلَى عِنْدَ اللَّهِ حُجَّةً.

فَقَالَ أ تَرْجُو يَا جُنْدَبُ أَنْ يُبَايَعَنِي مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ وَاحِدٌ قُلْتُ أَرْجُو ذَلِكَ قَالَ لَكِنِّي لَا أَرْجُو ذَلِكَ لَا وَ اللَّهُ وَ لَا مِنْ الْمَائَةِ وَاحِدٌ وَ سَأُخْبِرُكَ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَنْظُرُونَ

إِلَى قُرَيْشٍ فَيَقُولُونَ هُمْ قَوْمٌ مُّحَمَّدٍ وَ قَسِيْلُهُ وَ أَمَّا قُرَيْشٌ بَيْنَهُمَا فَتَقُولُ إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ يَرُونَ لَهُمْ عَلَى النَّاسِ بُشُوْتَهُ فَضُلًّا وَ يَرُونَ أَنَّهُمْ
أَوْلِيَاءُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَ قُرَيْشٍ وَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَ هُمْ إِنْ وَلَّوْهُ لَمْ يَخْرُجِ السُّلْطَانُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَيْدَاءً وَ مَتَى كَانَ فِي غَيْرِهِمْ
تَدَاوَلَتْهُ قُرَيْشٌ بَيْنَهَا لَا وَ اللَّهُ لَا يَدْفَعُ النَّاسَ إِلَيْنَا هَذَا الْأَمْرَ طَائِعِينَ أَبَدًا.

فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِيمَا ذَاكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ لَقَدْ صَدَعْتَ قَلْبِي بِهَذَا الْقَوْلِ أَفَلَا أَرْجِعُ إِلَى الْمِصْرِ فَأُوذِنَ النَّاسُ بِمَقَالَتِكَ وَ أَدْعُو
النَّاسَ إِلَيْكَ فَقَالَ يَا جُنْدُبُ لَيْسَ هَذَا زَمَانَ ذَاكَ .

قَالَ فَانصَبْ رَفْتُ إِلَى الْعِرَاقِ فَكُنْتُ أَذْكَرُ فَضَلَ عَلَيَّ عَلَى النَّاسِ فَلَا أَعْدِمُ رَجُلًا يَقُولُ لِي مَا أَكْرَهُ وَ أَحْسَنُ مَا أَسْمَعُهُ قَوْلٌ مَنْ يَقُولُ
دَعْ عَنْكَ هَذَا وَ خُذْ فِيمَا يَنْفَعُكَ فَأَقُولُ إِنَّ هَذَا مِمَّا يَنْفَعُنِي وَ يَنْفَعُكَ فَيَقُومُ عَنِّي وَ يَدْعُنِي.

وَ زَادَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ حَتَّى رَفِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِي إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ أَيَّامَ وَلِينَا فَبَعَثَ إِلَيَّ فَحَبَسَنِي حَتَّى كَلَّمُ
فِي فَخْلِي سَبِيلِي.

وَ رَوَى الْجَوْهَرِيُّ قَالَ نَادَى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّا قَدْ كُنَّا وَ مَا كُنَّا نَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ قَلَّةً وَ ذَلِكَ فَاعزنا الله
بدينه وَ أكرمنا برسوله فَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِلَى مَتَى تَصِيرُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ تُحَوِّلُونَهُ هَاهُنَا
مَرَّةً وَ هَاهُنَا مَرَّةً مَا أَنَا آمِنٌ أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ مِنْكُمْ وَ يَضَعَهُ فِي غَيْرِكُمْ كَمَا نَزَعْتُمُوهُ مِنْ أَهْلِهِ وَ وَضَعْتُمُوهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ.

فَقَالَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغْبِرَةِ يَا ابْنَ سَمِيَّةَ لَقَدْ عَدَوْتَ طَوْرَكَ وَ مَا عَرَفْتَ قَدْرَكَ مَا أَنْتَ وَ مَا رَأَتْ قُرَيْشٌ لِأَنْفُسِهَا إِنَّكَ
لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهَا وَ إِمَارَاتِهَا فَتَنَحَّ عَنْهَا.

وَ تَكَلَّمْتُ قُرَيْشُ بِأَجْمَعِهَا فَصَاحُوا بِعَمَّارٍ وَ انْتَهَرُوهُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا زَالَ أَعْوَانُ الْحَقِّ أَذِلَّةً ثُمَّ قَامَ فَانصرف

اشاره

وَ إِنَّمَا يَتَّبِعِي لِأَهْلِ الْعَصِيَمَةِ وَ الْمَصِيْنُوْعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَ الْمَعْصِيَةِ بِهِ وَ يَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَ الْحِجَازَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعِيَابِ الَّتِي عَابَ أَخَاهُ وَ عَيْرَهُ بِلَوَاهُ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّتِي عَابَهُ بِهِ وَ كَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بَعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَ إِيْمَ اللَّهِ لَيْسَ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَ عَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ [لِجَزَائِهِ]

لِجَزَائِهِ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَ لَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عِلْمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَ لِيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ [عَيْرُهُ بِهِ]

بِهِ عَيْرُهُ .

ليس في هذا الفصل من غريب اللغة ما نشرح

و نحن نذكر ممّا ورد في الغيبه لمعا نافع على عادتنا في ذكر الشيء عند مرورنا على ما يقتضيه و يستدعيه.

و قد ورد في الكتاب العزيز ذم الغيبه قال سبحانه [□] وَ لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا (١) و

١٨٦٩

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا تَحَاسَدُوا وَ لَا تَبَاغُضُوا وَ لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا.

و

١٨٧٠

رَوَى جَابِرٌ وَ أَبُو سَعِيدٍ عَنْهُ ص إِيَّاكُمْ وَ الْغَيْبَةَ فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الرَّنَا إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي فَيُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ إِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ.

١٨٧١

وَ رَوَى أَنَسٌ عَنْهُ ص مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسَيْرِي بِى فَرَأَيْتُ قَوْمًا يَخْمِشُونَ وَ جُوهَهُمْ بِأَطَافِيرِهِمْ فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ عَنْهُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ.

١٨٧٢

١٤- وَ فِي حَدِيثِ سَيْلَمَانَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمْنِي خَيْرًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَالَ لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَ لَوْ أَرْفَضْتَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنْاءِ الْمُسْتَقِيِّ وَ الْقَى أَحَاكَ بِيَشْرٍ حَسَنٍ وَ لَا تَغْتَابَنَّهُ إِذَا أَدْبَرَ .

و

١٨٧٣

١٤- فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِي بُيُوتِهِنَّ فَقَالَ أَلَا- لَا- تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَ مَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ .

ص : ٦٠

١٤- فِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى فِي يَوْمِ صَوْمِ إِنْ فُلَانَهُ وَفُلَانَهُ كَانَتَا تَأْكُلَانِ الْيَوْمَ شَحْمَ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ يَغْنَى الْعَيْبَةَ فَمَرُّهُمَا فَلْتَقَيْنَا فَفَاءَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَقَهُ دَمٍ

(١)

١٤- فِي الصَّحَاحِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا أَنَّهُ عَمَّرَ بِقَبْرَيْنِ جَدِيدَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ بِكَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ وَ أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَنْتَزِعُ مِنَ الْبُؤْلِ وَ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَكَسَّرَهَا اثْنَتَيْنِ أَوْ قَالَ دَعَا بِجَرِيدَتَيْنِ ثُمَّ غَرَسَهُمَا فِي الْقَبْرَيْنِ وَقَالَ أَمَّا إِنَّهُ سَيُهَوَّنُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ .

١٤- فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ اغْتَابَا بِحَضْرَتِهِ رَجُلًا وَ هُوَ يَمْسِي ع وَ هُمَا يَمْسِيَانِ مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى جِيفِهِ فَقَالَ انْهَشَا مِنْهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ نَنْهَشُ الْجِيفَةَ فَقَالَ مَا أَصَبْتُمَا مِنْ أَحْيِكُمَا أَنْتُنْ مِنْ هَذِهِ

فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ أَكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ حَيًّا قُرِبَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ فِي الْآخِرَةِ فَقِيلَ لَهُ كُلَّهُ مِثًّا كَمَا أَكَلْتَهُ حَيًّا فَيَأْكُلُهُ وَ يَضِجُ وَ يَكْلَحُ .

وَ رُوِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَمَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ كَانَ مُخَنَّئًا فَتَرَكَ ذَلِكَ فَقَالَ لَقَدْ بَقِيَ عِنْدَهُ مِنْهُ شَيْءٌ فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّيَا مَعَ النَّاسِ وَ ذَلِكَ يَجُولُ فِي أَنْفُسِهِمَا فَأَتِيَا عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ فَسَأَلَاهُ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُعِيدَا الْوُضُوءَ وَ الصَّلَاةَ وَ إِنْ كَانَا صَائِمَيْنِ

أَنْ يَقْضِيَا صِيَامَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

١٨٧٩

وَعَنْ مُجَاهِدٍ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الْهُمَزَةُ الطَّعَانُ فِي النَّاسِ وَاللُّمَزَةُ التَّمَامُ.

١٨٨٠

وَعَنِ الْحَسَنِ وَاللَّهِ لِلْغَيْبِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلِ فِي الْجَسَدِ.

ص: ٦١

١-١) العلقه:القطعه من الدم.

بَعْضُهُمْ أَدْرَكْنَا السَّلْفَ وَهُمْ لَا يَرُونَ الْعِبَادَةَ فِي الصَّوْمِ وَلَا فِي الصَّلَاةِ وَلَكِنْ فِي الْكَفِّ عَنِ أَعْرَاضِ النَّاسِ.

إِبْنُ عَبَّاسٍ

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذُكَّرَ عُيُوبَ صَاحِبِكَ فَادُّكَّرْ عُيُوبَكَ. وَهَذَا مَشْتَقٌ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع .

أَبُو هُرَيْرَةَ

يُبْصِرُ أَحَدُهُمَا الْقَدَى فِي عَيْنِ أُخِيهِ وَلَا يُبْصِرُ الْجِدْعَ فِي عَيْنِ نَفْسِهِ. وَهَذَا كَالأُول.

الْحَسَنُ

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ قَضَيْتَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ فَلَا تَعِبِ النَّاسَ بِعَيْبٍ هُوَ فِيكَ حَتَّى تَبْدَأَ بِإِضْطِرَاحِ ذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ شُغْلُكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ مَنْ كَانَ هَكَذَا.

و

يُزَوَى أَنَّ الْمَسِيحَ عَمَّرَ عَلَى جِيفِهِ كَلْبٌ فَقَالَ بَعْضُ التَّلَامِيذِهِ مَا أَشَدَّ نَشْتَهُ فَقَالَ الْمَسِيحُ مَا أَشَدَّ بِيَاضَ أَسْنَانِهِ.

كَأَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ غَيْبِ الْكَلْبِ وَ نَبَهُهُمْ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَذَكَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَحْسَنَهُ.

و

٤- سَمِعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع رَجُلًا يَعْتَابُ آخَرَ فَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ إِدَامًا وَ إِدَامُ كِلَابِ النَّاسِ الْعَيْبَةُ .

و

فِي خُطْبِهِ حِجَّهِ الْوَدَاعِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَ أَمْوَالَكُمْ وَ أَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْغَيْبَةَ كَمَا حَرَّمَ الْمَالَ وَ الدَّمَّ.

عُمَرُ

:مَا يَمْنَعُكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَخْرِقُ أَعْرَاضَ النَّاسِ أَنْ تُعْرَبُوا عَلَيْهِ أَيْ تُقَبِّحُوا قَالُوا نَخَافُ سَيْفَهُ وَ سَرَّهُ قَالَ ذَلِكَ أَذْنِي أَلَّا تَكُونُوا شُهَدَاءَ.

أَنْسَ يَرْفَعُهُ مَنْ مَاتَ عَلَى الْغَيْبَةِ حُسْرَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُزْرَقَةً عَيْنَاهُ يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَ النَّدَامَةِ يَعْرِفُ أَهْلَهُ وَ لَا يَعْرِفُونَهُ.

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ وُلْدِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ أَنْبَغَ أَبَا وَهْبٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ

مَرَّ الشَّعْبِيُّ بِقَوْمٍ يَغْتَابُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَفِيهِمْ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ فَأَخَذَ بَعْضُ آدَتِي الْبَابِ وَقَالَ هَيْبًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مُخَايِمٍ لِعَزِهِ مَنْ
أَعْرَاضَنَا مَا اسْتَحَلَّتْ (١).

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَبْصَرُ النَّاسُ بِالْعَوَارِ الْمَعْوَارِ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ وَاجْرَأُ مَنْ رَأَيْتُ بَطْهَرَ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ دَوُو
الْعُيُوبِ.

قِيلَ لِشَيْبِ بْنِ شَبَّهٍ بْنِ عَقَّالٍ مَا بَالُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهْتَمِ يَغْتَابُكَ وَيَنْتَقِصُكَ قَالَ لِأَنَّهُ شَقِيقِي فِي النَّسَبِ وَجَارِي فِي الْبَلَدِ وَشَرِيكِي
فِي الصَّنْعَةِ.

دَخَلَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ وَعِنْدَهُ جُلَسَاؤُهُ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ كُلُّهُمْ كَانُوا فِي عَيْبَتِكَ مُنْذُ الْيَوْمِ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ لَمْ يَدْخُلْكَ غَيْرِي
فَقَالَ إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامَ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِنَائِمِهَا.

قَالَ بَعْضُهُمْ بْتُ بِالْبَصْرَةِ لَيْلَةً مَعَ الْمَسْجِدِيِّينَ فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ حَزَّ كُهُمْ وَاحِدٌ فَقَالَ إِلَى كَمْ هَذَا النَّوْمُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ.

وَقِيلَ لِشَاعِرٍ وَصَلَهُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ وَانْعَمَ عَلَيْهِ مَا صَنَعَ بِكَ فُلَانٌ قَالَ مَا وَفَتْ نِعْمَتُهُ بِإِسَاءَتِهِ مَنْعَنِي لَذَّةُ الثُّلْبِ وَحَلَاوَةُ الشُّكُوى.

أَعْرَابِيٌّ مَنْ عَابَ سَفِيلَهُ فَقَدْ رَفَعَهُ وَمَنْ عَابَ شَرِيفًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ.

نَظَرَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى رَجُلٍ يَعْتَابُ رَجُلًا وَقَالَ يَا هَذَا إِنَّكَ تُمَلِي عَلَيَّ حَافِظِيكَ كِتَابًا فَأَنْظُرُ مَاذَا تَقُولُ.

ابْنُ عَبَّاسٍ

مَا الْأَسَدُ الصَّارِي عَلَى فَرِيْسِهِ بِأَسْرَعٍ مِنَ الدَّنِيِّ فِي عَرْضِ السَّرِيِّ.

بَعْضُهُمْ

وَمَطْرُوفُهُ عَيْنَاهُ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ

فَإِنْ لَاحَ عَيْبٌ مِنْ أَخِيهِ تَبَصَّرَا.

وَقَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ إِذَا نَصَحَ الْإِنْسَانُ لِلَّهِ أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَسَاوِي عَمَلِهِ فَتَشَاغَلَ بِهَا عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِي خَلْقِهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ لِابْنِهِ يَا بَنِيَّ عَلَيْكَ بِالدِّينِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَا بَنَتْ شَيْئًا إِلَّا هَدَمَهُ الدِّينُ وَإِذَا بَنَى الدِّينُ شَيْئًا لَمْ تَسِرْ تَطِعِ الدُّنْيَا هَدَمَهُ أَلَا تَرَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَ مَا يَقُولُ فِيهِ حُطْبَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ دَمِهِ وَعَيْبِهِ وَعَيْبَتِهِ وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا يَأْخُذُونَ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ أَلَا تَرَاهُمْ كَيْفَ يَنْدُبُونَ مَوْتَاهُمْ وَيَزِيهِمْ شِعْرَاؤُهُمْ وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا يَنْدُبُونَ جَيْفَ الْحُمْرِ.

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ الْمَوْرَعِ فِي الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِأَنَّكَ إِذَا اسْتَوْدَعَكَ أَحْوَكَ مَالًا لَمْ تَجِدْ بِكَ نَفْسَكَ لِخِيَانَتِهِ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْدَعَكَ عِرْضَهُ وَأَنْتَ تَعْتَابُهُ وَلَا تُبَالِي.

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَبْرِينَ قَدْ جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَلِمًا اغْتَابَ أَحَدًا أَنْ يَتَّصِقَ بِدِينَارٍ وَكَانَ إِذَا مَدَحَ أَحَدًا قَالَ هُوَ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ وَإِذَا ذَمَّهُ قَالَ هُوَ كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ.

فِي خَلَّتَانِ لَا أَعْتَابُ جَلِيسِي إِذَا قَامَ عَنِّي وَلَا أَدْخُلُ بَيْنَ الْقَوْمِ فِيمَا لَمْ يُدْخِلُونِي فِيهِ.

قِيلَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ السَّيِّدِ فِيكُمْ قَالَ الَّذِي إِذَا أَقْبَلَ هَبْنَاهُ وَإِذَا أَدْبَرَ اعْتَبْنَاهُ.

قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ مَا تَرَكَ تَعِيبُ أَحَدًا فَقَالَ لَسْتُ رَاضِيًا عَلَى نَفْسِي فَأَتَفَرَّغَ لِذِكْرِ عُيُوبِ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ لِنَفْسِي أَبْكِي لَسْتُ أَبْكِي لِعَيْرِهَا لِنَفْسِي فِي نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلٌ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ

قُلْتُ لِسُفْيَانَ مَا أَبْعَدَ أَبَا حَنِيفَةَ مِنَ الْعَيْبَةِ مَا سَمِعْتُهُ يَعْتَابُ عَدُوًّا قَالَ هُوَ وَاللَّهِ أَعْقَلُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى حَسَنَاتِهِ مَا يَذْهَبُ بِهَا.

سُئِلَ فَضِيلٌ عَنْ غَيْبَةِ الْفَاسِقِ فَقَالَ لَا تَشْتَغِلْ بِذِكْرِهِ وَلَا تُعَوِّدْ لِسَانَكَ الْعَيْبَةَ أَشْغَلْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَإِيَّاكَ ذِكْرَ النَّاسِ فَإِنَّ ذِكْرَ النَّاسِ دَاءٌ وَذِكْرَ اللَّهِ دَوَاءٌ.

بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَلَسْتُ بِذِي نَيْرٍ فِي الصَّدِيقِ

وَكَانَ يُقَالُ الْعَيْبَةُ فَكَيْهَةُ الْقُرَاءِ.

وَقِيلَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ أَيُّ اللَّحْمَانِ أَطْيَبُ قَالَ لُحُومُ النَّاسِ هِيَ وَاللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ لُحُومِ الدَّجَاجِ وَالدَّرَاجِ (١) يَعْنِي الْعَيْبَةَ.

ابْنُ الْمُغِيرَةِ

لَا تَذْكُرِ الْمَيِّتَ بِسُوءٍ فَتَكُونَ الْأَرْضُ أَكْتَمَ عَلَيْهِ مِنْكَ.

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الْمَيِّتُ بِسُوءٍ يَقُولُ كُفُّوا عَنِّي أَسَارَى الثَّرَى.

و

١٩١٥

فِي الْأَثَرِ سَامِعُ الْغَيْبِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ.

ص: ٦٥

١ - ١) النيرب: العداوه.

أَبُو نُوَّاسٍ

: مَا حَطَّكَ الْوَأَشُونَ مِنْ رُثِيهِ

الْحَسَنُ

: ذُمَّ الرَّجُلُ فِي السَّرِّ مَدْحٌ لَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ.

عَلِيُّ ع

. الْغَيْبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ .

أَخَذَهُ الْمَسْتَبِيُّ فَقَالَ

وَأَكْبَرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَيْبِيهِ

وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَنْ مَا لَهُ جُهْدٌ (١).

بَلَغَ الْحَسَنُ أَنَّ رَجُلًا اغْتَابَهُ فَأَهْدَى إِلَيْهِ طَبَقًا مِنْ رُطْبٍ فَجَاءَهُ الرَّجُلُ مُعْتَذِرًا وَقَالَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ اغْتَبْتُكَ فَأَهْدَيْتَ لِي قَالَ إِنَّكَ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ حَسَنَاتِكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْفَيْتَكَ.

أَتَى رَجُلٌ عَمْرُو بْنَ عَبِيدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَسْوَارِيَّ لَمْ يَزَلْ أَمْسَ يَذُكُرُكَ وَيَقُولُ عَمْرُو الضَّالُّ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا وَاللَّهِ مَا رَعَيْتَ حَقَّ مُجَالَسَةِ الرَّجُلِ حِينَ نَقَلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ وَلَا رَعَيْتَ حَقِّي حِينَ بَلَغْتَ عَنِّي مَا أَكْرَهُهُ أَعْلَمُهُ أَنَّ الْمَوْتَ يُعْمِنَا وَالْبَعْثَ يَحْشُرُنَا وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا.

و اعلم أن العلماء ذكروا في حدّ الغيبه أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه مثل أن تقول الأقرع أو الأعمور أو في نسبه نحو أن تقول ابن النبطي و ابن الإسكاف أو الزبال أو الحائك أو خلقه نحو سيئ الخلق أو بخيل

ص: ٦٦

١-١ (١:٣٧٦).

أو متكبر أو في أفعاله الدينيه نحو قولك كذاب و ظالم و متهاون بالصلاه أو الدينويه نحو قولك قليل الأدب متهاون بالناس كثير الكلام كثير الأكل أو في ثوبه كقولك وسخ الثياب كبير العمامه طويل الأذيال.

و قد قال قوم لا غيبه في أمور الدين لأن المغتاب إنما ذم ما ذمه الله تعالى و احتجوا بما

١٩٢٢

١٤- رُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صِ امْرَأَةٌ وَ كَثُرَتْ صَوْمِيهَا وَ صِيَالَتِهَا وَ لَكِنِّيهَا تُؤْذِي جَارَتَهَا فَقَالَ هِيَ فِي النَّارِ وَ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ غَيْبَتُهُمْ إِيَّاهَا .

١٩٢٣

وَ رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً ذُكِرَتْ عِنْدَهُ عَ بِأَنَّهَا بَخِيلَةٌ فَقَالَ فَمَا خَيْرُهَا إِذْنِ .

و أكثر العلماء على أن الغيبه في أمور الدين محرمه أيضا و ادعوا الإجماع على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب سواء أ كان في الدين أو في غيره قالوا و المخالف مسبوق بهذا الإجماع و قالوا و

١٩٢٤

١٤- قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صِ أَنَّهُ قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ قَالُوا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ فَقَائِلٌ قَالَ أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي أَخِي قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدْ اِعْتَبْتَهُ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ

(١)

قالوا و

١٩٢٥

١٤- رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صِ فَقَالَ قَوْمٌ مَا أَعْجَزَهُ فَقَالَ عَ اِعْتَبْتُمْ صَاحِبَكُمْ فَقَالُوا قُلْنَا مَا فِيهِ فَقَالَ إِنْ قُلْتُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتُمُوهُ .

قالوا و ما احتج به الزاعمون أن لا غيبه في الدين ليس بحجه لأن الصحابه إنما ذكرت ذلك في مجلس رسول الله ص لحاجتها إلى تعرف الأحكام بالسؤال و لم يكن غرضها التنقص.

و اعلم أن الغيبه ليست مقصوره على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك

١-١) بهته، أى قذفته بالباطل.

نقص أحيك فهو غيبه فقد يكون ذلك باللسان و قد يكون بالإشارة و بالإيماء و بالمحاكاة نحو أن تمشى خلف الأعرج متعارجا و بالكتاب فإن القلم أحد اللسانين.

و إذا ذكر المصنّف شخصا في تصنيفه و هجن كلامه فهو غيبه فأما قوله قال قوم كذا فليس بغيبه لأنه لم يعين شخصا بعينه.

١٩٢٦

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا فَكَانَ لَا يُعَيِّنُ وَ يَكُونُ مَقْصُودُهُ وَاحِدًا بِعَيْنِهِ.

و أخبت أنواع الغيبه غيبه القراء المراءين و ذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان و التبذل فى طلب الحطام و قصده أن يفهم الغير عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبه فى مخرج الحمد و الشكر لله تعالى فيحصل من ذلك غيبه المسلم و يحصل منه الرياء و إظهار التعفف عن الغيبه و هو واقع فيها و كذلك يقول لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه و يكون كاذبا فى دعوى أنه ساءه و فى إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوه عقب صلواته و لو كان قد ساءه لساءه أيضا إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان.

و اعلم أن الإصغاء إلى الغيبه على سبيل التعجب كالغيبه بل أشدّ لأنه إنّما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبه فيندفع فيها حكاية يستخرج الغيبه منه بذلك و إذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبه و الباعث على الاستزاده منها

١٩٢٧

١٤- وَ قَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ ذَكَرَا إِنْسَانًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّهُ لَنُؤْمٌ ثُمَّ أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص خُبْزًا قَفَّارًا فَطَلَبَا مِنْهُ أَدَمًا (١) فَقَالَ قَدْ ائْتَدَمْتُمَا قَالَا مَا نَعْلَمُهُ قَالَ بَلَى بِمَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحْمِ صَاحِبِكُمَا .

فجمعهما فى الإثم و قد

ص: ٦٨

١- (١) الخبز القفّار: ما كان بغير آدم، و الأدم: ما يؤتدم به.

كان أحدهما قائلاً و الآخر مستمعا فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلمه و إن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك فإن قال بلسانه اسكت و هو يريد للغيبة بقلبه فذلك نفاق و لا يخرجه عن الإثم إلا أن يكرهه بقلبه و لا يكفي أن يشير باليد أى اكفف أو بالحاجب و العين فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يذب عنه صريحا

١٩٢٨

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ أَدْلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَ هُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ.

فصل فى الأسباب الباعثة على الغيبة

و اعلم أن الأسباب الباعثة على الغيبة على أمور منها شفاء الغيظ و ذلك أن يجرى من الإنسان سبب يغضب به عليه آخر فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساوئه و سبق إليها لسانه بالطبع إن لم يكن هناك دين وازع و قد يمنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوئ. و منها موافقه الأقران و مساعدتهم على الكلام فإنهم إذا اجتمعوا ربما أخذوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه و نفروا عنه فيساعدتهم و يرى ذلك من حسن المعاشرة و يظن أنه مجامله فى الصحبه و قد يغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة فى السراء و الضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب و المساوئ.

ص: ٦٩

و منها أن يستشعر من إنسان أنه سيذمه و يطول لسانه فيه و يقبح حاله عند بعض الرؤساء أو يشهد عليه بشهاده فيبادره قبل أن يقبح حاله فيطعن فيه ليستقط أثر شهادته عليه.

و قد يبتدئ بذكر بعض ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعد ذلك فيروج كذبه بالصدق الأول.

و منها أن ينسب إلى أمر فيريد التبرؤ منه فيذكر الذى فعله و كان من حقه أن يبرئ نفسه و لا يذكر الذى فعله لكنه إنما يذكر غيره تأكيداً لبراءه نفسه و كيلاً- يكون تبرؤاً مبتوراً و ربما يعتذر بأن يقول فلان فعله و كنت شريكاً فى بعض الأمر ليبرئ نفسه بعض البراءه.

و منها المباهاه و حبّ الرئاسة مثل أن يقول كلام فلان ركيك و معرفته بالفن الفلانى ناقصه و غرضه إظهار فضله عليه.

و منها الحسد و إرادته إسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساوئه لأنه يشق عليه ثناء الناس عليه و لا يجد سبيلاً إلى سد باب الثناء عليه إلا بذكر عيوبه.

و منها اللعب و الهزل و المطاييه و تزجيه الوقت بالضحك و السخرية فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على سبيل الهزاء و المحاكاه.

و اعلم أن الذى يقوى فى نفسى أن الغيبه لا تكون محرمة إلا إذا كانت على سبيل القصد إلى تنقص الإنسان فقط و غض قدره فأما إذا خرجت مخرجا آخر فليست بحرام كمن يظلمه القاضى و يأخذ الرشوه على إسقاط حقوقه فإن له أن يذكر حاله للسلطان متظلماً من حيف الحاكم عليه إذ لا يمكنه استيفاء حقوقه إلا بذلك

١٩٢٩

فَقَدْ قَالَ ص مَطْلُ الْغَيْبِ ظُلْمٌ.

١٩٣٠

وَ قَالَ لَيْ (١) الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَ عِرْضَهُ.

ص : ٧٠

(١-١) يقال: لى عن الأمر؛ إذا تناقل.

و كذلك النهى عن المنكر واجب و قد يحتاج الإنسان إلى الاستعانه بالغير على تغييره و ردّ القاضى إلى منهج الصلاح فلا بدّ له أن يشرح للغير حال ذلك الإنسان المرتكب المنكر و من ذكر الإنسان بلقب مشهور فعرف عن عيبه كالأعرج و الأعمش المحدثين لم يكن مغتابا إذا لم يقصد الغض و النقص.

و الصحيح أن المجاهر بالفسق لا غيبه له كصاحب الماخور و المخنث و من يدعو الناس إلى نفسه أبنه و كالعشار و المستخرج بالضرب فإن هؤلاء غير كارهين لما يذكرون به و ربما تفاخروا بذلك و

١٩٣١

قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ص مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غَيْبَةَ لَهُ.

١٩٣٢

وَ قَالَ عُمَرُ لَيْسَ لِفَاجِرٍ حُزْمَةٌ. و أراد المجاهر بالفسق دون المستتر.

١٩٣٣

وَ قَالَ الصَّلْتُ بْنُ طَرِيفٍ قُلْتُ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّجُلُ الْفَاجِرُ الْمُغْلَبُ بِالْفُجُورِ غَيْرُ مُرَاقِبٍ هَلْ ذَكَرِي لَهُ بِمَا فِيهِ غَيْبَةٌ فَقَالَ لَا وَ لَا كَرَامَةٌ لَهُ.

طريق التوبه من الغيبه

و اعلم أن التوبه من الغيبه تكفر عقابها و التوبه منها هى الندم عليها و العزم على ألا يعود فإن لم يكن الشخص المذكور قد بلغته الغيبه فلا حاجه إلى الاستحلال منه بل لا يجوز إعلامه بذلك هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله لأنه لم يؤلمه فيحتاج إلى أن يستوهب منه إثم ذلك الإيلام و فى إعلامه تضيق صدره و إدخال مشقه عليه و إن كان الشخص المذكور قد بلغته الغيبه وجب عليه أن يستحله و يستوهبه فإن كان قد مات سقط بالتوبه عقاب ما يختص بالبارئ سبحانه من ذلك الوقت و بقى ما يختص بذلك الميت لا يسقط حتى يؤخذ العوض له من المذنب يوم القصاص

ص: ٧١

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَحِبِّهِ وَثِقَهُ دِينَ وَ سَدَّادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّمَى وَ تُخَطِّئُ السَّهَامُ وَ يُحِيلُ الكَلَامَ وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يُبُورُ وَ اللّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الحَقِّ وَ البَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ فَسَدِّئْ عَ عَن مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَ وَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَ عَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ البَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَ الحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

هذا الكلام هو نهى عن التسرع إلى التصديق بما يقال من العيب و القدرح في حقّ الإنسان المستور الظاهر المشتهر بالصلاح و الخير و هو خلاصه قوله سبحانه إنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (١) ثم ضرب ع لذلك مثلاً فقال قد يرمى الرامى فلا يصيب الغرض و كذلك قد يطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحاً و ربما كان لغرض فاسد أو سمعه ممن له غرض

ص: ٧٢

فاسدا كالعدو و الحسود و قد يشتهب الأمر فيظن المعروف منكرا فيعجل الإنسان بقول لا يتحققه كمن يرى غلام زيدا يحمل في إناء مستور مغطى خلا فيظنه خمرا .

قال ع و يحيل الكلام أى يكون باطلا أحال الرجل فى منطقته إذا تكلم الذى لا حقيقته له و من الناس من يرويه و يحيك الكلام بالكاف من قولك ما حاك فيه السيف و يجوز أحاك بالهمزة أى ما أثر يعنى أن القول يؤثر فى العرض و إن كان باطلا و الروايه الأولى أشهر و أظهر .

و يبور يفسد و قوله و باطل ذلك يبور مثل قولهم للباطل جوله و للحق دوله و هذا من قوله تعالى وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (١) .

و الإصبع مؤنثه و لذلك قال أربع أصابع فحذف الهاء .

فإن قلت كيف يقول ع الباطل ما يسمع و الحق ما يرى و أكثر المعلومات إنما هى من طريق السماع كعلمنا الآن بنبوه محمد ص بما بلغنا من معجزاته التى لم نرها و إنما سمعناها .

قلت ليس كلامه فى المتواتر من الأخبار و إنما كلامه فى الأقوال الشاذه الوارده من طريق الآحاد التى تتضمن القدر فىمن قد غلبت نزاهته فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك

ص: ٧٣

و لَيْسَ لَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَهُ اللَّئَامَ وَ ثَنَاءَ الْأَشْرَارِ وَ مَقَالَهُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ مَا أَجُودَ يَدُهُ وَ هُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَ لِيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَ لِيُنْفِكَ بِهِ الْأَسِيرَ وَ الْعَانِيَّ وَ لِيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَ الْغَارِمَ وَ لِيُصْبِرَ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَ النَّوَابِ اِبْتِغَاءَ الثَّوَابِ فَإِنَّ فَوْزًا بِهِذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَ دَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذا الكلام يتضمن ذم من يخرج ماله إلى الفتيان و الأقران و الشعراء و نحوهم و يتغى به المدح و السمع و يعدل عن إخراجه في وجوه البر و ابتغاء الثواب قال ع ليس له من الحظ إلا محمده اللئام و ثناء الأشرار و قولهم ما أجود يده أى ما أسمحه و هو بخيل بما يرجع إلى ذات الله يعنى الصدقات و ما يجرى مجراها من صلة الرحم و الضيافة و فك الأسير و العانى و هو الأسير بعينه و إنما اختلف اللفظ .

و الغارم من عليه الديون و يقال صبر فلان نفسه على كذا مخففا أى حبسها قال تعالى وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ (١)

و قال عترة يذكر حربا فصبرت عارفه لذلك حره ترسو إذا نفس الجبان تطلع (٢)

١٩٣٤

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي رَجُلٍ أَمْسَكَ رَجُلًا وَقَتَلَهُ آخِرُ فَقَالَ عِ اقْتُلُوا الْقَاتِلَ وَ اصْبِرُوا الصَّابِرَ .

أى احبسوا الذى حبسه للقتل إلى أن يموت .

و قوله فإن فوزا أفصح من أن يقول فإن الفوز أو فإن فى الفوز كما قال الشاعر إن شواء و نشوه و لم يقل إن الشواء و النشوه و السرف فى هذا أنه كأنه يجعل هذا الشواء شخصا من جملة أشخاص داخله تحت نوع واحد و يقول إن واحدا منها أيها كان فهو من لذه العيش و إن لم يحصل له كل أشخاص ذلك النوع و مراده تقرير فضيله هذه الخصال فى النفوس أى متى حصل للإنسان فوز ما بها فقد حصل له الشرف و هذا المعنى و إن أعطاه لفظه الفوز بالألف و اللام إذا قصد بها الجنيه إلا أنه قد يسبق إلى الذهن منها الاستغراق لا الجنيه فأتى بلفظه لا توهم الاستغراق و هى اللفظه المنكره و هذا دقيق و هو من لباب علم البيان

ص: ٧٥

١-١) سورة الكهف ٢٨.

٢-٢) اللسان ١٠٧:٦، بقول: حبست نفسا صابره.

أَلَا- وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُوَلِّدُكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ وَمَا أَصَابَتْهُمَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِيَرْكَيْهِمَا تَوَجُّعًا لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً
إِلَيْكُمْ وَلَا- لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ أَمَرْتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعْتَا وَأُقِيمْتَا عَلَى حُدُودِ مَصِيحَةِ الْحُكْمِ فَقَامْتَا إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ
الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَ حَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَ إِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيُتُوبَ تَائِبٌ وَ يُقْلَعَ مُقْلَعٌ وَ يَتَذَكَّرُ مَتَذَكِّرٌ وَ يَزِدَّ جَزْ
مُزْدَجِرٌ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِتَدْوِيرِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ إِسْتِغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا (١) فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَ اسْتَقَالَ
خَطِيئَتَهُ وَ يَا أَدْرَ مَيْتَتَهُ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ وَ بَعِيدِ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوَالِدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَ
رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَ نِقْمَتِكَ

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَلاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ أَلْجَأْنَا الْمَضَائِقَ الْوَعْرَةَ وَ أَجَاءْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَهُ وَ أَعْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَهُ وَ تَلَاخَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضِيْعِبَهُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْإِلَهَ الَّذِي لاَ تَرُدُّنَا خَائِبِينَ وَ لاَ تَقْلِبُنَا وَاجِمِينَ وَ لاَ تُخَاطِبُنَا بِعَدُوِّنَا وَ لاَ تُقَابِسِنَا بِأَعْمَالِنَا اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَ بَرِّكْتَكَ وَ رِزْقَكَ وَ رَحْمَتَكَ وَ اسْقِنَا سِقْمًا نَاقِعَهُ مُرْوِيَهُ مُعْشِبَهُ تُنْبِتُ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ وَ تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ نَافِعَهُ الْحَيَا كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى تُرْوَى بِهَا الْقَيْعَانَ وَ تُسِيلُ الْبُطْنَانَ وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَيَّ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

تظلكم

تعلو عليكم و قد أظلتني الشجره و استظللت بها و الزلفه القربه يقول إن السماء و الأرض إذا جاءتا بمنافعكم أما السماء فبالمطر و أميا الأرض فبالنبات فإنهما لم تأتيا بذلك تقربا إليكم و لا رحمه لكم و لكنهما أمرتا بِنفعكم فامتثلتا الأمر لأنه أمر من تجب طاعته و لو أمرتا بغير ذلك لفعلتاه و الكلام مجاز و استعاره لأن الجماد لا يؤمر و المعنى أن الكل مسخر تحت القدره الإلهيه و مراده تمهيد قاعده الاستسقاء كأنه يقول إذا كانت السماء و الأرض أيام الخصب و المطر و النبات لم يكن ما كان منهما محبه لكم و لا رجاء منفعه منكم بل طاعه الصانع الحكيم سبحانه فيما سخرهما له

ص: ٧٧

فكذلك السماء والأرض أيام الجذب و انقطاع المطر و عدم الكلال ليس ما كان منهما بغضا لكم و لا استدفاع ضرر يخاف منكم بل طاعه الصانع الحكيم سبحانه فيما سخرهما له و إذا كان كذلك فبالحرى ألا نأمل السماء و لا الأرض و أن نجعل آمالنا معلقه بالملك الحق المدير لهما و أن نسترحمه و ندعوه و نستغفره لا كما كانت العرب فى الجاهليه يقولون مطرنا بنوء كذا و قد سخط النوء الفلانى على بنى فلان فأمحلوا .

ثم ذكر ع أن الله تعالى يتلى عباده عند الذنوب بتضييق الأرزاق عليهم و حبس مطر السماء عنهم و هذا الكلام مطابق للقواعد الكلاميه لأن أصحابنا يذهبون إلى أن الغلاء قد يكون عقوبه على ذنب و قد يكون لطفًا للمكلفين فى الواجبات العقليه و هو معنى قوله ليتوب تائب إلى آخر الكلمات و يقلع يكف و يمسك .

ثم ذكر أن الله سبحانه جعل الاستغفار سببا فى درور الرزق و استدلل عليه بالآيه التى أمر نوح ع فيها قومه بالاستغفار يعنى التوبه عن الذنوب و قدم إليهم الموعد بما هو واقع فى نفوسهم و أحب إليهم من الأمور الآجله فمناهم الفوائد العاجله ترغيبا فى الإيمان و بركاته و الطاعه و نتائجها كما قال سبحانه للمسلمين و أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ (١) فوعدهم بمحبوب الأنفس الذى يرونه فى العاجل عيانا و نقدا لا جزاء و نسيئه و قال تعالى فى موضع آخر وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ (٢) و قال سبحانه وَ لَوْ أَنَّهْمُ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهْم مِنْ رَبِّهْم لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ (٣)

ص: ٧٨

١-١) سورة الصف ١٣.

٢-٢) سورة الأعراف ٩٦.

٣-٣) سورة المائدة ٦٦.

وقال تعالى وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١)

الثواب والعقاب عند المسلمين و أهل الكتاب

و كل ما فى التوراه من الوعد و الوعيد فهو لمنافع الدنيا و مضارها أما منافعها فمثل أن يقول إن أطعتم باركت فيكم و كثرت من أولادكم و أطلت أعماركم و أوسعت أرزاقكم و استبقيت اتصال نسلكم و نصرتكم على أعدائكم و إن عصيتم و خالفتم اخترمتكم و نقصت من آجالكم و شتت شملكم و رميتكم بالجوع و المحل و أذلت أولادكم و أشمت بكم أعداءكم و نصرت عليكم خصومكم و شردتكم فى البلاد و ابتليتكم بالمرض و الذل و نحو ذلك.

و لم يأت فى التوراه وعد و وعيد بأمر يتعلق بما بعد الموت و أما المسيح ع فإنه صرّح بالقيامه و بعث الأبدان و لكن جعل العقاب روحانيا و كذلك الثواب أما العقاب فالوحشه و الفرع و تخيل الظلمه و خبث النفس و كدرها و خوف شديد و أما الثواب فما زاد على أن قال إنهم يكونون كالملائكه و ربما قال يصعدون إلى ملكوت السماء و ربما قال أصحابه و علماء ملته الضوء و اللذه و السرور و الأمن من زوال اللذه الحاصله لهم هذا هو قول المحققين منهم و قد أثبت بعضهم نارا حقيقيه لأن لفظه النار وردت فى الإنجيل فقال محققوهم نار قلبيه أى نفسه روحانيه و قال الأفلون نار كهذه النار و منهم من أثبت عقابا غير النار و هو بدنى فقال الرعده و صرير الأسنان فأما الجنه بمعنى الأكل و الشرب و الجماع فإنه لم يقل منهم قائل به أصلا و الإنجيل صرح بانتفاء ذلك فى القيامه تصریحا لا يبقى بعده ريب لمرتاب و جاء خاتم الأنبياء محمد

ص: ٧٩

ص فأثبت المعاد على وجه محقق كامل أكمل ممّا ذكره الأولان فقال إن البدن و النفس معا مبعوثان و لكل منهما حظ في الثواب و العقاب.

و قد شرح الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا هذا الموضوع في رساله له في المعاد تعرف بالرساله الأصحوبه شرحا جيدا فقال إن الشريعه المحمديه أثبتت في القيامه رد النفس إلى البدن و جعلت للمثاب و المعاقب ثوابا و عقابا بحسب البدن و النفس جميعا فكان للمثاب لذات بدنيه من حور عين و ولدان مخلدين و فاكهه يشتهون و كأس لا يُصدَّعون عنها و لا يُنزفون و جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ من لبن و عسل و خمر و ماء زلال و سرر و أرائك و خيام و قباب فرشها من سُندسٍ و إِسْتَبْرَقٍ و ما جرى مجرى ذلك و لذات نفسانيه من السرور و مشاهده الملكوت و الأمن من العذاب و العلم اليقيني بدوام ما هم فيه و أنه لا يتعبه عدم و لا زوال و الخلو عن الأحزان و المخاوف و للمعاقب عقاب بدني و هو المقامع من الحديد و السلاسل و الحريق و الحميم و الغسلين و الصراخ و الجلود التي كلما نضجت بدلوا جلودا غيرها و عقاب نفساني من اللعن و الخزي و الخجل و الندم و الخوف الدائم و اليأس من الفرج و العلم اليقيني بدوام الأحوال السيئه التي هم عليها.

قال فوفت الشريعه الحكمه حقها من الوعد الكامل و الوعيد الكامل و بهما ينتظم الأمر و تقوم المله فأما النصارى و ما ذهبوا إليه من أمر بعث الأبدان ثم خلوها في الدار الآخره من المطعم و الملبس و المشرب و المنكح فهو أرك ما ذهب إليه أرباب الشرائع و أسخفه و ذلك أنه إن كان السبب في البعث هو أن الإنسان هو البدن أو أن البدن شريك النفس في الأعمال الحسنه و السيئه فوجب أن يبعث فهذا القول بعينه إن أوجب ذلك فإنه يوجب أن يثاب البدن و يعاقب بالثواب و العقاب البدني المفهوم عند العالم و إن كان الثواب و العقاب روحانيا فما الغرض في بعث الجسد ثم ما ذلك

الثواب و العقاب الروحانيان و كيف تصور العامه ذلك حتى يرغبوا و يهربوا كلاب لم تصور لهم الشريعه النصرانيه من ذلك شيئاً غير أنهم يكونون فى الآخره كالملائكه و هذا لا- يفى بالترغيب التام و لا- ما ذكروه من العقاب الروحانى و هو الظلمه و خبث النفس كاف فى الترهيب و الذى جاءت به شريعه الإسلام حسن لا زياده عليه انقضى كلام هذا الحكيم.

فأما كون الاستغفار سبباً لنزول القطر و درور الرزق فإن الآيه بصريحها ناطقه به لأنها أمر و جوابه قال إِسْتِغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً كما تقول قم أكرمك أى إن قمت أكرمتك

١٩٣٥

وَ عَنِ عُمَرَ أَنَّهُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي فَمَا زَادَ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ فَقِيلَ لَهُ مَا رَأَيْتَكَ اسْتَسْقَيْتَ فَقَالَ لَقَدْ اسْتَسْقَيْتُ بِمَجَادِيحِ (١) السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ.

١٩٣٦

وَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَيْهِ الْجَدْبَ فَقَالَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ فَشَكَاَ آخَرٌ إِلَيْهِ الْفَقْرَ وَ آخَرُ قَلَّ النَّسْلُ وَ آخَرُ قَلَّ رَيْحُ أَرْضِهِ فَأَمَرَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ رِجَالٌ أَتَوْكَ يَشْكُونَ أَبْوَاباً وَ يَشْكُونَ أَنْوَاعاً فَأَمَرْتَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ فَتَلَا لَهُ الْآيَةَ .

قوله استقبل توبته أى استأنفها و جدها و استقال خطيئته طلب الإقاله منها و الرحمه و بادر منيته سابق الموت قبل أن يدهمه.

ص: ٨١

١ - ١) النهايه لابن الأثير ١:١٤٦. قال: «المجاديح، واحدها مجدح، و الياء زائده للإشباع، و القياس أن يكون واحدها «مجداح»؛ فأما «مجدح» فجمعه مجادح، و المجدح: نجم من النجوم؛ قيل: هو الدبران، و قيل: هو ثلاثه كواكب كالأنافى تشبها بالمجدح الذى له ثلاث شعب؛ و هو عند العرب من الأنواء الداله على المطر، فجعل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبه لهم بما يعرفون، لا قولاً بالأنواء، و جاء بلفظ الجمع؛ لأنه أراد الأنواء جميعها التى يزعمون أن من شأنها المطر».

قوله ع لا تهلكنا بالسنين جمع سنه و هي الجذب و المحل قال تعالى وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ (١) و

١٩٣٧

قَالَ النَّبِيُّ ص يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنَى يُوسُفَ .

و السنه لفظ محذوف منه حرف قيل إنه الهاء و قيل الواو فمن قال المحذوف هاء قال أصله سنهه مثل جبهه لأنهم قالوا نخله سنهه أى تحمل سنه و لا تحمل أخرى و قال بعض الأنصار فليست بسنهاء و لا رجييه و لكن عرايا فى السنين الجوائح (٢) .

و من قال أصلها الواو احتج بقولهم أسنى القوم يسنون إسناء إذا لبثوا فى المواضع سنه فأما التصغير فلا يدل على أحد المذهبيين بعينه لأنه يجوز سنيه و سنيهه و الأكثر فى جمعها بالواو و النون سنون بكسر السين كما فى هذه الخطبه و بعضهم يقول سنون بالضم .

و المضايق الوعره بالتسكين و لا يجوز التحريك و قد وعر هذا الشيء بالضم و عوره و كذلك توعر أى صار و عرا و استوعرت الشيء استصعبته .

و أجاأتنا

أَجَأْنَا قَالَ تَعَالَى فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ (٣) .

و المقاحط المجدبه السنون الممحله جمع مقحطه .

و تلاحمت اتصلت .

و الواجم الذى قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام و الماضى وجم بالفتح يجم و جوما .

قوله و لا- تخاطبنا بذنوبنا و لا- تقايسنا بأعمالنا أى لا- تجعل جواب دعائنا لك ما تقتضيه ذنوبنا كأنه يجعله كالمخاطب لهم و المجيب عما سألوه إياه كما يفاوض الواحد

ص: ٨٢

١-١ (١) سورة الأعراف ١٣٠.

٢-٢ (٢) اللسان(سنه)،و نسبه إلى سويد بن الصامت الأنصارى.

٣-٣ (٣) سورة مريم ٢٣.

منا صاحبه و يستعطفه فقد يجيبه و يخاطبه بما يقتضيه ذنبه إذا اشتدت موجدته عليه و نحوه.

و لا تقايسنا بأعمالنا

قست الشيء بالشيء إذا حدوته و مثلته به أى لا تجعل ما تجيبنا به مقاييسا و مماثلا لأعمالنا السيئه .

قوله سقيا ناعفه هى فعلى مؤنثه غير مصروفه .

و الحيا المطر و ناعفه مرويه مسكنه للعطش نفع الماء العطش نفعا و نقوعا سكنه و فى المثل الرشف أنقع أى أن الشراب الذى يرشف قليلا قليلا أنجع و أقطع للعطش و إن كان فيه بطاء .

و كثيره المجتنى أى كثيره الكلاء و الكلاء الذى يجتنى و يرعى و القيعان جمع قاع و هو الفلاه .

و البطنان جمع بطن و هو الغامض من الأرض مثل ظهر و ظهران و عبد و عبدان

ص: ٨٣

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَهُ لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَ مَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَ لَكِنْ لِيُنَبِّئَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَ الْعِقَابُ بَوَاءً أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاْسِيَةُ خُونٌ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَ بَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَ وَضَعَهُمْ وَ أَعْطَانَا وَ حَزَمَهُمْ وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسِيَتَعَطَى الْهُدَى وَ يُسِيَتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

أول الكلام مأخوذ من قوله سبحانه رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (١) و قوله تعالى وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (٢) .

فإن قلت فهذا يناقض مذهب المعتزله في قولهم بالواجبات عقلا و لو لم تبعث الرسل.

قلت صحه مذهبهم تقتضى أن تحمل عموم الألفاظ على أن المراد بها الخصوص فيكون التأويل لثلا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ فيما لم يدلّ العقل على وجوبه و لا قبحه كالشرعيات و كذلك و مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا عَلَى مَا لَمْ يَكُنِ الْعَقْلُ دَلِيلًا عَلَيْهِ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا .

الإعذار

تقديم العذر ثم قال إن الله تعالى كشف الخلق بما تعبدهم به من الشرعيات على ألسنه الأنبياء و لم يكن أمرهم خافيا عنه فيحتاج إلى أن يكشفهم بذلك و لكنه أراد ابتلاءهم و اختبارهم ليعلم أيهم أحسن عملاً فيعاقب المسيء و يثيب المحسن.

فإن قلت الإشكال قائم لأنه إذا كان يعلم أيهم يحسن و أيهم يسيء فما فائده الابتلاء و هل هو إلا محض العبث قلت فائده الابتلاء إيصال نفع إلى زيد لم يكن ليصح إيصاله إليه إلا بواسطة هذا الابتلاء و هو ما يقوله أصحابنا إن الابتلاء بالثواب قبيح و الله تعالى يستحيل أن يفعل القبيح .

قوله و للعقاب بواء أى مكافأه قالت ليلي الأخيلية فإن تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر (١).

و أبأت القاتل بالقتيل و استبأته أيضا إذا قتلته به و قد باء الرجل بصاحبه أى قتل به

ص: ٨٥

و فى المثل باءت عرار بكحل (١) و هما بقرتان قتلت إحداهما بالأخرى و قال مهلهل لبيجر لما قتل بؤ بشسع نعل كليب. قوله ع أين الذين زعموا هذا الكلام كناية و إشاره إلى قوم من الصحابه كانوا ينازعونه الفضل فمنهم من كان يدعى له أنه أفرض و منهم من كان يدعى له أنه أقرأ و منهم من كان يدعى له أنه أعلم بالحلال و الحرام هذا مع تسليم هؤلاء له أنه ع أفضى الأمة و أن القضاء يحتاج إلى كل هذه الفضائل و كل واحده منها لا تحتاج إلى غيرها فهو إذن أجمع للفقه و أكثرهم احتواء عليه إلا أنه ع لم يرض بذلك و لم يصدق الخبر الذى قيل أفرضكم فلان إلى آخره فقال إنه كذب و افتراء حمل قوما على وضعه الحسد و البغى و المنافسه لهذا الحى من بنى هاشم أن رفعم الله على غيرهم و اختصهم دون من سواهم.

□
و أن هاهنا للتعليل أى لأن فحذف اللام التى هى أداء التعليل على الحقيقه قال سبحانه لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (٢) و قال بعض النحاه لبعض الفقهاء الزاعمين أن لا- حاجه للفقه إلى النحو ما تقول لرجل قال لزوجته أنت طالق إن دخلت الدار فقال لا يقع إلا بالدخول فقال فإن فتح الهمزه قال كذلك فعرفه أن العريه نافعه فى الفقه و أن الطلاق منجز لا معلق إن كان مراده تعليل الطلاق بوقوع الدخول لاشتراطه به .

ثم قال بنا يستعطى الهدى أى يطلب أن يعطى و كذلك يستجلى أى يطلب جلاؤه .

ثم قال إن الأئمه من قريش إلى آخر الفصل

ص: ٨٦

١ - ١) المثل فى اللسان ١٠٣:١٤، قال: و من أمثالهم: «بءت عرار بكحل»؛ إذا قتل القاتل بمقتوله؛ يقال: كانتا بقرتين فى بنى إسرائيل، قتلت إحداهما بالأخرى. و نقل عن ابن برى: كحل بمنزله «دعد» يصرف و لا ينصرف.
٢ - ٢) سوره المائده ٨٠.

وقد (١) اختلف الناس فى اشتراط النسب فى الإمامه فقال قوم من قدماء أصحابنا إن النسب ليس بشرط فيها أصلا و إنها تصلح فى القرشئى و غير القرشئى إذا كان فاضلا مستجمعا للشرائط المعتميره و اجتمعت الكلمه عليه و هو قول الخوارج. و قال أكثر أصحابنا و أكثر الناس إن النسب شرط فيها و إنها لا تصلح إلا فى العرب خاصه و من العرب فى قريش خاصه و قال أكثر أصحابنا معنى

١٩٣٨

قَوْلِ النَّبِيِّ ص

الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ .

أن القرشئيه شرط إذا وجد فى قريش من يصلح للإمامه فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشئيه شرطا فيها.

و قال بعض أصحابنا معنى الخبر أنه لا تخلو قريش أبدا ممن يصلح للإمامه فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها فى كل عصر و زمان.

و قال معظم الزيديه إنها فى الفاطميين خاصه من الطالبين لا تصلح فى غير البطينين و لا تصح إلا بشرط أن يقوم بها و يدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس و بعض الزيديه يجيز الإمامه فى غير الفاطميين من ولد على ع و هو من أقوالهم الشاذه.

و أما الراونديه فإنهم خصصوها بالعباس رحمه الله و ولده من بين بطون قريش كلها و هذا القول هو الذى ظهر فى أيام المنصور و المهدي و أما الإمامئيه فإنهم جعلوها ساريه فى ولد الحسين ع فى أشخاص مخصوصين و لا تصلح عندهم لغيرهم.

و جعلها الكيسانيه فى محمّد بن الحنفئيه و ولده و منهم من نقلها منه إلى ولد غيره.

فإن قلت إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزله و أصولهم فما قولك فى هذا

ص: ٨٧

الكلام و هو تصريح بأن الإمامه لا تصلح من قريش إلا فى بنى هاشم خاصه و ليس ذلك بمذهب للمعتزله لا متقدميهم و لا متأخريهم.

قلت هذا الموضوع مشكل و لى فيه نظر و إن صح أن عليا ع قاله قلت كما قال لأنه ثبت عندى

١٩٣٩

أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ إِنَّهُ مَعَ الْحَقِّ وَ أَنَّ الْحَقَّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ.

و يمكن أن يتأول و يطبق على مذهب المعتزله فيحمل على أن المراد به كمال الإمامه كما حمل

١٩٤٠

قَوْلُهُ ص لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ.

على نفى الكمال لا على نفى الصحه منها آثروا عاجلاً و آخروا آجلاً و تركوا صافياً و شربوا آجناً كأننى أنظر إلى فاسدتهم و قد صحب المنكر فألفه و بسى به و وافقه حتى شابت عليه مفارقة و صبغت به خلانقه ثم أقبل مُزبداً كالتيار لا يُبالي ما غرق أو كوفع النار في الهتيم لا يخفل ما حرق أين العقول المستصبحه بمصايح الهدى و الأبصار اللامحه إلى منازل التقوى أين القلوب التى وهبت لله و عوقدت على طاعه الله ازدحموا على الحطام و تشاحوا على الحرام و رقع لهم علم الجنه و النار فصيرفوا عن الجنه و جوههم و أقبلوا إلى النار بأعمالهم و دعاهم ربهم فنفرُوا و ولوا و دعاهم الشيطان فاستجابوا و أقبلوا .

ص : ٨٨

اختاروا و أخرجوا تركوا الآجن الماء المتغير أجن الماء يأجن و يأجن .

و بسىء به ألفه و ناقه بسوء ألفت الحالب و لا (1) تمنعه و شابت عليه مفارقة طال عهده به مذ زمن الصبا حتى صار شيخا و صبغت به خلأئقه ما صارت طبعا لأن العاده طبيعه ثانيه .

مزبدا

أى ذو زبد و هو ما يخرج من الفم كالرغوه يضرب مثلا للرجل الصائل المقتحم.

و التيار معظم اللجه و المراد به هاهنا السيل و الهشيم دقاق الحطب .

و لا يحفل بفتح حرف المضارعه لأن الماضى ثلاثى أى لا يبالى .

و الأبصار اللامحه الناظره و تشاحوا تضايقوا كل منهم يريد ألا يفوته ذلك و أصله الشح و هو البخل.

فإن قلت هذا الكلام يرجع إلى الصحابه الذين تقدم ذكرهم فى أول الخطبه.

قلت لا و إن زعم قوم أنه عناهم بل هو إشاره إلى قوم ممن يأتى من الخلف بعد السلف ألا تراه قال كأتى أنظر إلى فاسقهم قد صحب المنكر فألفه و هذا اللفظ إنما يقال فى حق من لم يوجد بعد كما قال فى حق الأ-تراك كأتى أنظر إليهم قوما كأنّ وجوههم المجان و كما قال فى حق صاحب الزنج كأتى به يا أحنف قد سار فى الجيش و كما قال فى الخطبه التى ذكرناها آنفا- كأتى به قد نعق بالشام يعنى به عبد الملك و حوشى ع أن يعنى بهذا الكلام الصحابه لأنهم ما آثروا العاجل و لا أخرجوا الآجل و لا- صحبوا المنكر و لا- أقبلا كالتيار لا- يبالى ما غرق و لا- كالنار لا تبالى ما أحرقت و لا ازدحموا على الحطام و لا تشاحوا على الحرام و لا صرفوا عن الجنه وجوههم و لا أقبلا

ص: ٨٩

إلى النار بأعمالهم و لا دعاهم الرحمن فولوا و لا دعاهم الشيطان فاستجابوا و قد علم كل أحد حسن سيرتهم و سداد طريقتهم و إعراضهم عن الدنيا و قد ملكوها و زهدهم فيها و قد تمكنوا منها و لو لا قوله كآتي أنظر إلى فاسقهم لم أبعث أن يعنى بذلك قوما ممن عليه اسم الصحابه و هو ردىء الطريقه كالمغيره بن شعبه و عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و معاويه و جماعه معدوده أحبوا الدنيا و استغواهم الشيطان و هم معدودون فى كتب أصحابنا و من اشتغل بعلوم السيره و التواريخ عرفهم بأعيانهم

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَرَضٌ تَتَّضِلُ فِيهِ الْمَنَائِمَا مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصِيصٌ لَا تَتَّالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى وَ لَا يُعَمَّرُ مَعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ وَ لَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ وَ لَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَ لَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَ قَدْ مَضَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءٌ فُرُوعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ .

الغرض ما ينصب ليرمى و هو الهدف و تتضصل فيه المنايا تترامى فيه للسبق و منه الانتضال بالكلام و بالشعر (١) كأنه يجعل المنايا أشخاصا تتناضل بالسهام من الناس من يموت قتلا و منهم من يموت غرقا أو يتردى فى بئر أو تسقط عليه حائط أو يموت على فراشه .

ثم قال مع كل جرعه شرق و فى كل أكلة غصص بفتح الغين مصدر قولك غصصت يا فلان بالطعام و روى غصص جمع غصه و هى الشجا و هذا مثل قول بعضهم المنحه فيها مقرونه بالمحنه و النعمه مشفوعه بالنقمه

ص: ٩١

و قد بالغ بعض الشعراء فى الشكوى فأتى بهذه الألفاظ لكنه أسرف فقال.

حظى من العيش أكل كله غصص

مر المذاق و شرب كله شرق

و مراد أمير المؤمنين ع بكلامه أن نعيم الدنيا لا يدوم فإذا أحسنت أساءت و إذا أنعمت أنقمت .

ثم قال لا ينالون منها نعمه إلا بفراق أخرى هذا معنى لطيف و ذلك أن الإنسان لا يتهيأ له أن يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها فى وقت فحال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا و حال ما يشرب لا يأكل و حال ما يركب للقنص و الرياضة لا يكون جالسا على فراش وثير ممهد و على هذا القياس لا يأخذ فى ضرب من ضروب الملاذ إلا و هو تارك لغيره منها .

ثم قال و لا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله و هذا أيضا لطيف لأن المسرور ببقائه إلى يوم الأحد لم يصل إليه إلا بعد أن قضى يوم السبت و قطعه و يوم السبت من أيام عمره فإذا قد هدم من عمره يوما فيكون قد قرب إلى الموت لأنه قد قطع من المسافة جزءا .

ثم قال و لا- تجدد له زياده فى أكله إلا- بنفاد ما قبلها من رزقه و هذا صحيح فإن فسرنا الرزق بما وصل إلى البطن على أحد تفسيرات المتكلمين فإن الإنسان لا يأكل لقمه إلا و قد فرغ من اللقمه التى قبلها فهو إذا لا يتجدد له زياده فى أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه .

ثم قال و لا يحيا له أثر إلا مات له أثر و ذلك أن الإنسان فى الأعم الأغلب لا ينتشر صيته و يشيع فضله إلا عند الشيخوخه و كذلك لا تعرف أولاده و يصير لهم اسم فى الدنيا إلا بعد كبره و علو سنه فإذا ما حيا له أثر إلا بعد أن مات له أثر و هو قوته و نشاطه و شيبته و مثله قوله و لا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد .

ثم قال و لا تقوم له نابتة إلا و تسقط منه محصوده هذه إشاره إلى ذهاب الآباء عند حدوث أبنائهم فى الأعم الأغلب و لهذا قال و قد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله و قد نظر الشعراء إلى هذا المعنى فقالوا فيه و أكثروا نحو قول الشاعر فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب و قال الشاعر فعددت آبائي إلى عرق الثرى و قد صرح أبو العتاهيه بالمعنى فقال كل حياه إلى ممات منها و ما أحدثت بدعه إلا ترك بها سنه فاتقوا البدع و الزموا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها و إن أحدثاتها شرارها.

البدعه كل ما أحدث ممّا لم يكن على عهد رسول الله ص فمنها الحسن كصلاه التراويح و منها القبيح كالمنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافه العثمانيه و إن كانت قد (١) تكلفت الأعذار عنها.

و معنى قوله ع ما أحدثت بدعه إلا ترك بها سنه أن من السنه ألا تحدث البدعه فوجود البدعه عدم للسنه لا محاله .

و المهيح الطريق الواضح من قولهم أرض هيعه أى مبسوطه واسعه و الميم مفتوحه و هى زائده .

و عوازم الأمور ما تقادم منها من قولهم عجوز عوزم أى مسنه قال الراجز لقد غدوت خلق الثياب

و يجمع فوعل على فواعل كدورق و هوجل و يجوز أن يكون عوازم جمع عازمه و يكون فاعل بمعنى مفعول أى معزوم عليها أى مقطوع معلوم بيقين صحتها و مجيء فاعله بمعنى مفعوله كثير كقولهم عَيْشَه رَاضِيَه بمعنى مرضيه و الأول أظهر عندى لأن فى مقابلته قوله و إن محدثاتها شرارها و المحدث فى مقابلته القديم

ص: ٩٤

١-١) ساقط من ا.

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصِيرُهُ وَلَا سِدِّدًا لَهُ بِكَثْرِهِ وَلَا بِقَلِّهِ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَآمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ
طَلَعَ حَيْثُمَا (١) طَلَعَ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ وَ مَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ يَجْمَعُهُ
وَيَضُمُّهُ فَإِنْ انْقَطَعَ النُّظَامُ تَفَرَّقَ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدِّافِيرِهِ أَبَدًا وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهَمَّ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ
بِالاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْبًا وَ اسْتِدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَ أَصِلْ لَهُمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ
الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مِثْلُ تَدْعٍ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنْ أَلْعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ
غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصِيلُ الْعَرَبِ فَإِذَا انْقَطَعَتْهُمُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ
الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدْدِهِمْ فَإِنَّا
لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَ الْمَعُونَةِ.

نظام العقد الخيط الجامع له و تقول أخذته كله بحذافيره أى بأصله و أصل الحذافير أعالي الشيء و نواحيه الواحد حذفار .

و أَصْلِهِمْ نَارَ الْحَرْبِ

اجعلهم صالين لها يقال صَلَّيْتُ اللحم و غيره أصلية صَلِيًّا مثل رميته أرميه رميا إذا شويته

١٩٤١

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صُ أُتِيَ بِشَاهٍ مَصْلِيَّهِ

(١)

أى مشويه و يقال أيضا صَلَّيْتُ الرجل نارا إذا أدخلته النار و جعلته يصلها فإن ألقته فيها كأنك تريد الإحراق قلت أصليته بالألف و صلتيه تصليه و قرئ و يصلى سعيرا (٢) و من خفف فهو من قولهم صَلَّيَ فلان بالنار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٣) و يقال أيضا صلى فلان بالأمر إذا قاسى حره و شدته قال الطهوى و لا تبلى بسالتهم و إن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين (٤) .

و على هذا الوجه يحمل كلام أمير المؤمنين ع و هو مجاز من الإحراق و الشيء الموضوع لها هذا اللفظ حقيقه .

و العورات الأحوال التى يخاف انتقاضها فى ثغر أو حرب قال تعالى يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ (٥) و الكلب الشر و الأذى

يوم القادسيه

و اعلم أن هذا الكلام قد اختلف فى الحال التى قاله فيها لعمر فقيل قاله له فى

ص: ٩٦

١-١) النهايه لابن الأثير ٢:٢٧٣.

٢-٢) سورة الانشقاق ١٢، و هى قراءه الحرميين و ابن عامر و الكسائى. تفسير القرطبي ١٩:٢٧٠.

٣-٣) سورة مريم ٧٠.

٤-٤) لأبى الغول الطهوى، ديوان الحماسه، بشرح المرزوقى: ١:٤١.

٥-٥) سورة الأحزاب ١٣.

غزاه القادسيه و قيل فى غزاه نهاوند و إلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبري فى التاريخ الكبير و إلى القول الأول ذهب المدائنى فى كتاب الفتوح و نحن نشير إلى ما جرى فى هاتين الوقعتين إشاره خفيفه على مذهبنا فى ذكر السير و الأيام.

فأما وقعه القادسيه فكانت فى سنه أربع عشره للهجره استشار عمر المسلمين فى أمر القادسيه فأشار عليه على بن أبى طالب

١٩٤٢

١- فى روايته أبى الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى ألا- يخرج بنفسه و قال إنك إن تخرج لا- يكون للعجم همهم إلا استئصالك لعلمهم أنك قطب رضى العرب فلا- يكون للإسلام بعيدها دوله و أشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه فأخذ برأى على ع .

و روى غير المدائنى أن هذا رأى أشار به عبد الرحمن بن عوف

١٩٤٣

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري لما بدا لعمر فى المقام بعد أن كان عزم على الشخص بن نفسه أمر سعد بن أبى وقاص على المسلمين و بعث يزيد جرد رستم الأرمي أميراً على الفرس فأرسل سعد النعمان بن مقرن رسولا إلى يزيد جرد فدخل عليه و كلمه بكلام غليظ فقال يزيد جرد لولا- أن الرسل لا تقتل لقتلتك ثم حمله وقرأ من تراب على رأسه و ساقه حتى أخرج من باب من أبواب المدائن و قال ارجع إلى صاحبك فقد كتبت إلى رستم أن يدفعه و جنده من العرب فى خندق القادسيه ثم لأشغلن العرب بعدها بأنفسهم و لأصيبتهم بأشد مما أصابهم به سابور ذو الأكتاف فرجع النعمان إلى سعد فأخبره فقال لا تخف فإن الله قد ملكنا أرضهم تفاؤلا بالتراب.

قال أبو جعفر و تبط رستم عن القتال و كرهه و أثر المسالمه و استتبعه يزيد جرد مرارا و استتحنه على الحرب و هو يدافع بها و يرى المطاوله و كان عسكره مائه و عشرين ألفاً

ص: ٩٧

وَ كَانَ عَشْكَرُ سَعْدٍ بَضْعًا وَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَ أَقَامَ رُسْتُمُ بَرِيدًا مِنَ الرِّجَالِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ إِلَى جَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْمَدَائِنِ كُلَّمَا تَكَلَّمَ رُسْتُمُ كَلِمَةً أَذَاهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَى سَمْعِ يَزْدَجِرْدَ فِي وَقْتِهَا وَ شَهِدَ وَقَعَهُ الْقَادِسِيَّةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ طَلِيحَهُ بِنُ خَوْلِيدٍ وَ عَمْرُو بِنُ مَعْدِيكَرِبٍ وَ الشَّمَاخُ بِنُ ضَرَارٍ وَ عَبْدَةُ بِنُ الطَّيِّبِ الشَّاعِرِ وَ أَوْسُ بِنُ مَعْنٍ الشَّاعِرِ وَ قَامُوا فِي النَّاسِ يُنْشِدُونَهُمُ الشُّعْرَ وَ يُحَرِّضُونَهُمْ وَ قَرَنَ أَهْلُ فَارِسَ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّلَاسِلِ لِئَلَّا يَهْرُبُوا فَكَانَ الْمُقَرَّنُونَ مِنْهُمْ نَحْوَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَ التَّحَمَ الْفَرِيقَانِ فِي الْيَوْمِ الْمَأْوَلِ فَحَمَلَتِ الْفَيْلَةُ الَّتِي مَعَ رُسْتُمِ عَلَى الْخَيْلِ فَطَحَنَتْهَا وَ ثَبَّتَ لَهَا جَمْعٌ مِنَ الرِّجَالِ وَ كَانَتْ ثَلَاثَةَ وَ ثَلَاثِينَ فَيْلًا مِنْهَا فَيْلُ الْمَلَائِكِ وَ كَانَ أُبَيْضٌ عَظِيمًا فَضَرَبَتْ الرِّجَالُ خَرَاطِيمَ الْفَيْلَةِ بِالسُّيُوفِ فَقَطَعَتْهَا وَ ارْتَفَعَ عَوَاوُهَا وَ أَصَيْبٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَ هُوَ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ أَلْفَانِ مِنَ الْفُرْسِ وَ وَصَلَ فِي الثَّانِي أَبُو عُبَيْدَةَ بِنُ الْجَرَّاحِ مِنَ الشَّامِ فِي عَسَاكِرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ مَدَدًا لِسَعْدٍ وَ كَانَ هَذَا الْيَوْمُ عَلَى الْفُرْسِ أَشَدَّ مِنْ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ وَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ وَ أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَلَى الْقِتَالِ وَ كَانَ عَظِيمًا عَلَى الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ مَعًا وَ صَبَرَ الْفَرِيقَانِ وَ قَامَتِ الْحَرْبُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ جَمْعَاءَ لَا يَنْطِقُونَ كَلَامَهُمْ الْهَرِيرُ فَسُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ .

وَ انْقَطَعَتِ الْأَخْبَارُ وَ الْأَصْوَاتُ عَنْ سَعْدٍ وَ رُسْتُمِ وَ انْقَطَعَ سَعْدٌ إِلَى الصَّلَاةِ وَ الدُّعَاءِ وَ الْبُكَاءِ وَ أَصْبَحَ النَّاسُ حَسِيرَى لَمْ يَعْصُوا لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا وَ الْحَرْبُ قَائِمَةٌ بَعْدَ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا عَاصِفَةً فَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَمَلَتِ الْعُبَارَ وَ النَّقْعَ عَلَى الْعَجَمِ فَانْكَسَرُوا وَ وَصَلَتِ الْعَرَبُ إِلَى سِيرِيرِ رُسْتُمِ وَ قَدْ قَامَ عَنْهُ لِيُرَكَّبَ جَمَلًا وَ عَلَى رَأْسِهِ الْعَلَمُ فَضَرَبَ هِلَالَ بِنُ عَلَقَمَةَ الْحَمَلِ الَّذِي رُسْتُمُ فَوْقَهُ فَقَطَعَ حِبَالَهُ وَ وَقَعَ عَلَى هِلَالِ أَحَدِ الْعَدْلَيْنِ فَأَزَالَ فَقَارَ ظَهْرِهِ وَ مَضَى رُسْتُمُ نَحْوَ الْعَتِيقِ فَرَمَى نَفْسَهُ فِيهِ وَ افْتَحَمَ هِلَالَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ

بِرِجْلِهِ وَخَرَجَ بِهِ يَجْرُهُ حَتَّى أَلْقَاهُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْخَيْلِ وَقَدْ قَتَلَهُ وَصَيَّعِدَ السَّرِيرِ فَنَادَى أَنَا هِلَالٌ أَنَا قَاتِلُ رُسَيْمٍ فَانْهَزَمَتِ الْفُرْسُ وَتَهَاوَنُوا (١) فِي الْعَقِيقِ فَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَنُهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَسْلَابُهُمْ وَكَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا وَأَخَذَتِ الْعَرَبُ مِنْهُمْ كَافُورًا كَثِيرًا فَلَمْ يَعْبُؤُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ وَيَاغُوهُ مِنْ قَوْمٍ بِمِلْحٍ كَثِيلًا بِكَيْلٍ وَسَيَّرُوا بِعَذْلِكَ وَقَالُوا أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِلْحًا طَيِّبًا وَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ مِلْحًا غَيْرَ طَيِّبٍ وَأَصَابُوا مِنَ الْجَامَاتِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَا يَفِئَعُ عَلَيْهِ الْعَيْدُ لِكَثْرَتِهِ فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَعْزِضُ جَامَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ جَامًا وَاحِدًا مِنْ فِضَّةٍ يُعْجِبُهُ بِيَاضِهَا وَيَقُولُ مَنْ يَأْخُذُ صَفْرَاوَيْنِ بَيْنِيضَاءَ.

وَبَعَثَ سَيِّعِدٌ بِالْأَنْفَالِ وَالْعَنَائِمِ إِلَى عَمْرِ فَكَتَبَ إِلَى سَيِّعِدٍ لَا تَتَّبِعِ الْفُرْسَ وَقِفْ مَكَانَكَ وَاتَّخِذْهُ مَنْزِلًا فَتَزَلْ مَوْضِعَ الْكُوفَةِ الْيَوْمَ وَاحْتَطَّ مَسْجِدَهَا وَبَنَى فِيهَا الْخَطَّ لِلْعَرَبِ (٢).

يَوْمُ نَهَاوَنْدَ

١٩٤٤

١- فَأَمَّا وَقَعُهُ نَهَاوَنْدَ فَإِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ذَكَرَ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ (٣) أَنَّ عَمَرَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ الْعَجَمَ وَجِيُوشَ كِسْرَى وَهِيَ مُجْتَمِعَةٌ بِنَهَاوَنْدَ اسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ فَقَامَ عُثْمَانُ فَتَشَهَّدَ فَقَالَ أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَيَسِيرُوا مِنْ شَامِهِمْ وَتَكْتُبَ إِلَى أَهْلِ أَلْيَمَنِ فَيَسِيرُوا مِنْ يَمِينِهِمْ ثُمَّ تَسِيرُ أَنْتَ بِأَهْلِ هَدَيْنِ الْحَرَمَيْنِ إِلَى الْمِصْرَيْنِ الْبُصْرَةِ وَالْكَوْفَةِ فَتَلْقَى جَمْعَ الْمُشْرِكِينَ بِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّكَ إِذَا سَرَتْ

ص: ٩٩

١- ١) تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٤).

٢- ٢) تهافت على الشيء: تساقط و تتابع؛ و أكبر استعماله في الشعر.

٣- ٣) تاريخه (حوادث سنة ٢١).

بِمَنْ مَعَكَ وَ مِنْ عِنْدِكَ قَلَّ فِي نَفْسِكَ مَا تَكَاتَرَ مِنْ عَدَدِ الْقَوْمِ وَ كُنْتَ أَعَزَّ عِزًّا وَ أَكْثَرَ إِنْكَ لَا تَسْتَبْقِي مِنْ نَفْسِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ (١) بِإِقْبِهِ وَ لَا تَمْتَعِ مِنَ الدُّنْيَا بَعَزِيرٍ وَ لَا تَكُونُ مِنْهَا فِي حِزِّ حَرِيرٍ إِنْ هَذَا الْيَوْمَ لَهُ مَا بَعْدَهُ فَاشْهَدْ بِنَفْسِكَ وَ رَأْيِكَ وَ أَعْوَانِكَ وَ لَا تَغِبْ عَنْهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَامَ طَلَحَهُ فَقَالَ أَمَا بَعِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَعَدَّ أَحْكَامَتَكَ الْأُمُورَ وَ عَجَمَتَكَ الْبَلَايَا وَ حَنَكَتَكَ (٢) التَّجَارِبُ وَ أَنْتَ وَ شَأْنُكَ وَ أَنْتَ وَ رَأْيُكَ لَا تَنْبُو فِي يَدَيْكَ وَ لَا نِكَلُ أَمْرَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فَأَمْرُنَا نُجِبُ وَ ادْعَانَا نَطْعُ وَ احْمِلْنَا نَزَكَبُ وَ قُعدْنَا نَنْقُدُ فَإِنَّكَ وَلِيُّ هَذَا الْأَمْرِ وَ قَدْ بَلَوْتَ وَ جَرَّبْتَ وَ اخْتَبَرْتَ فَلَمْ يَنْكَشِفْ شَيْءٌ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ لَكَ إِلَّا عَنْ خِيَارٍ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصِيرُهُ وَ لَا خِدْلَانُهُ بِكَثْرِهِ وَ لَا قَلِّهِ إِنَّمَا هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَ جُنْدُهُ الَّذِي أَعَزَّهُ وَ أَمِيدُهُ بِالْمَلَائِكَةِ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ فَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ وَ إِنْ مَكَانَكَ مِنْهُمْ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْحَرَزِ يَجْمَعُهُ وَ يُمَسِّكُهُ فَإِنْ انْحَلَّ تَفَرَّقَ مَا فِيهِ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ أَبَدًا وَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ عَزِيزٌ بِالْإِسْلَامِ أَقِمِ مَكَانَكَ وَ اكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ أَعْلَامُ الْعَرَبِ وَ رُؤَسَاؤُهُمْ وَ لِيُشَخَّصْ مِنْهُمْ الثُّلثَانِ وَ لِيُتِمَّ الثُّلُثُ وَ اكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ أَنْ يُبَدِّدُوهُمْ بِبَعْضِ مَنْ عِنْدَهُمْ وَ لَا تُشَخَّصِ الشَّامَ وَ لَا الْيَمِينَ إِنْكَ إِنْ أَشَخَّصْتَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ شَامِهِمْ سَيَارَتِ الرُّومِ إِلَى ذَرَارِيِّهِمْ وَ إِنْ أَشَخَّصْتَ أَهْلَ الْيَمِينَ مِنْ يَمِينِهِمْ سَيَارَتِ الْحَبَشَةِ إِلَى ذَرَارِيِّهِمْ وَ مَتَى شَخَّصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَ أَطْرَافِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْعُورَاتِ وَ الْعِيَالِ إِنْ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا

ص: ١٠٠

(١ - ١) الطبري: «العرب».

(٢ - ٢) الطبري: «و احتنكتك».

إِلَيْكَ غَدًا قَالُوا هَذَا أَمِيرُ الْعَرَبِ وَاضِلُهُمْ فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَ أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ أَكْرَهُ لِسَيْرِهِمْ مِنْكَ وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَ أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عِدْدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيَمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالصَّبْرِ وَ النَّصْرِ.

فَقَالَ عُمَرُ أَجَلُ هَذَا الرَّأْيِ وَ قَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَتَابِعَ عَلَيْهِ فَأَشْتَرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ أَوْلِيهِ ذَلِكَ الشُّعْرُ قَالُوا أَنْتَ أَفْضَلُ رَأْيًا فَقَالَ أَشْتَرُوا عَلَيَّ بِهِ وَ اجْعَلُوهُ عِرَاقِيًّا قَالُوا أَنْتَ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ قَدْ وَقَدُوا عَلَيْكَ فَرَأَيْتَهُمْ وَ كَلَّمْتَهُمْ قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لِلْأُولَيْنِ أَمْرُهُمْ رَجُلًا يَكُونُ عَمْدًا لِلْأَوَّلِ الْأَسَنَةِ قِيلَ وَ مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنٍ قَالُوا هُوَ لَهَا.

وَ كَانَ النُّعْمَانُ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَوْلًا أَمَرَ الْجَيْشَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ سِرًّا إِلَى نَهَاوَنْدَ فَقَدَّ وَ لَيْتُكَ حَزَبَ الْفَيْرُوزَانَ وَ كَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَى جُبُوشِ كَسْرِي فَإِنْ حَدَّثَ بِكَ حَدِيثٌ فَعَلَى النَّاسِ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ فَإِنْ حَدَّثَ بِهِ حَدَّثَ فَعَلَى النَّاسِ نُعَيْمُ بْنُ مُقَرَّنٍ فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْسِمِ عَلَى النَّاسِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَرْفَعِ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْئًا وَ إِنْ نَكَثَ الْقَوْمُ فَلَا تَرَانِي وَ لَا أَرَاكَ وَ قَدْ جَعَلْتُ مَعَكَ طَلِيحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ وَ عَمْرُو بْنَ مَعْدِيكَرِبَ لِعَلْمِهِمَا بِالْحَرْبِ فَاسْتَشِرْهُمَا وَ لَا تُولِّهِمَا شَيْئًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَسَارَ النُّعْمَانُ بِالْعَرَبِ حَتَّى وَافَى نَهَاوَنْدَ وَ ذَلِكَ فِي أَلْسِنَةِ السَّابِعِ مِنْ خِلَافِهِ عُمَرُ وَ تَرَاءَى الْجَمْعَانِ وَ نَشِبَ الْقِتَالُ وَ حَجَزَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي خَنَادِقِهِمْ وَ اعْتَصَمُوا بِالْحُصُونِ وَ الْمُدُنِ وَ شَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ فَأَسَارَ طَلِيحَةَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَرَى أَنْ تَبْعَثَ خَيْلًا يَبْغِضُ الْقَوْمَ وَ تَحْمِسَهُمْ (١) فَإِذَا اسْتَحْمَسُوا خَرَجَ بَعْضُهُمْ وَ اخْتَلَطُوا بِكُمْ

ص: ١٠١

فَاسْتَطَرُّدُوا لَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَطْمَعُونَ بِذَلِكَ ثُمَّ تَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِمَا يُحِبُّ.

فَفَعَلَ النَّعْمَانُ ذَلِكَ فَكَانَ كَمَا ظَنَّ طَلِيحَهُ وَانْقَطَعَ الْعَجَمُ عَنْ حُصُونِهِمْ بَعْضُ الْإِنْقِطَاعِ فَلَمَّا أَمْعَنُوا فِي الْإِنْكَشَافِ لِلْمُسْلِمِينَ حَمَلَ النَّعْمَانُ بِالنَّاسِ فَاقْتُلُوا قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ مِثْلَهُ وَزَلِقَ بِالنَّعْمَانِ فَرَسُهُ فَضْرِعَ وَ أَصِيبَ وَ تَنَاوَلَ الرَّايَةَ نُعَيْمٌ أَخُوهُ فَأَتَى حَيْدِيفَهُ لَهَا فَمَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَ كَتَمَ الْمُسْلِمُونَ مُصِيبَ أَمِيرِهِمْ وَ اقْتُلُوا حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَ رَجَعُوا وَ الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَهُمْ فَعَمِيَ عَلَيْهِمْ قَصْدُهُمْ فَتَرَكُوهُ وَ غَشِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسُّيُوفِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى وَ أَدْرَكَ الْمُسْلِمُونَ الْفَيْرُوزَانَ وَ هُوَ هَارِبٌ وَ قَدِ انْتَهَى إِلَى ثِيَبِهِ مَشْحُونَهُ (١) بِبَغَالٍ مُوقَرِهِ عَسَلًا فَحَبَسْتَهُ عَلَى أَجَلِهِ فَقَتِلَ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْ عَسَلٍ.

وَ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ نَهَاوْنِدَ فَاخْتَوَوْا عَلَى مَا فِيهَا وَ كَانَتْ أَنْفَالُ هَذَا الْيَوْمِ عَظِيمَةً فَحِمَلَتْ إِلَى عُمَرَ فَلَمَّا رَأَاهَا بَكَى فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ سُرُورٍ وَ حَيْدَلٍ فَمَا بُكَأُوكَ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى هَذَا (٢) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا لِخَيْرٍ أَرَادَهُ بِهِمَا وَ لَا أَرَاهُ فَتَحَهُ عَلَى إِلَّا لِشَرٍّ أُرِيدُ بِي إِنَّ هَذَا الْمَالُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَفْتِنَ النَّاسَ.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو وَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي وَ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي يَقُولُهَا مَرَارًا ثُمَّ قَسَمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ آخِرِهِ

ص: ١٠٢

١- ١) يقال: شحن المدينة بالخيل أو البغال؛ إذا ملأها.

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ص بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَ أَحْكَمَهُ لِيُعَلِّمَ الْعِبَادَ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوا وَ لِيُقَرِّبُوا بِهِ بَعِيدَ إِذْ جَحَدُوا وَ لِيُثَبِّتُوا بَعِيدَ إِذْ أَنْكَرُوا فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ خَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَ كَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ وَ اخْتَصَدَّ مَنْ اخْتَصَدَّ بِالنَّقِمَاتِ .

الأوثان

جمع وثن و هو الصنم و يجمع أيضا على وثن مثل أسد و آساد و أسد و سمي و ثنا لانتصابه و بقائه على حال واحده من قولك وثن فلان بالمكان فهو واثن و هو الثابت الدائم .

قوله فتجلى سبحانه لهم أى ظهر من غير أن يرى بالبصر بل بما نبههم عليه فى القرآن من قصص الأولين و ما حل بهم من النقمه عند مخالفه الرسل .

و المثلثات بضم التاء العقوبات.

فإن قلت ظاهر هذا الكلام أن الرسول ع بعث إلى الناس ليقروا بالصانع و يثبتوه و هذا خلاف قول المعتزله لأن فائده الرساله عندهم هى إلفاف

ص: ١٠٣

المكلفين بالأحكام الشرعية المقربة إلى الواجبات العقلية و المبعده من المقبحات العقلية و لا مدخل للرسول في معرفه البارئ سبحانه لأن العقل يوجبها و إن لم يبعث الرسل.

قلت إن كثيرا من شيوخنا أوجبوا بعثه الرسل إذا كان في حثهم المكلفين على ما فى العقول فائده و هو مذهب شيخنا أبى على رحمه الله فلا- يمتنع أن يكون إرسال محمد ص إلى العرب و غيرهم لأن الله تعالى علم أنهم مع تنبيهه إياهم على ما هو واجب فى عقولهم من المعرفه أقرب إلى حصول المعرفه فحيثذ يكون بعثه لطفًا و يستقيم كلام أمير المؤمنين و إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتَهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظْتَهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ وَ صَاحِبَانِ مُضِيَّ طَرِيقٍ وَ أَحَدٌ لَا يُؤْوِيهِمَا مَوْوٍ فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَنَّمَهُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَ زَبْرَهُ وَ مِنْ قَبْلِ مَا [مَثَلُوا]

مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلِهِ وَ سَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً وَ جَعَلُوا

فِي الْحَسَنِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَعْيِبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةَ وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقْمَةُ .

أخبر ع أنه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا و كذا و قد رأيناه و رآه من كان قبلنا أيضا قال شعبه إمام المحدثين تسعه أعشار الحديث كذب.

و قال الدارقطني ما الحديث الصحيح في الحديث إلا كالشعره البيضاء في الثور الأسود و أما غلبه الباطل على الحق حتى يخفى الحق عنده فظاهره .

و أبور أفسد من بار الشيء أى هلك و السلعة المتاع و نبذ الكتاب ألقاه و لا يؤويهما لا يضمهما إليه و ينزلهما عنده .

و الزبر مصدر زبرت أزبر بالضم أى كتبت و جاء يزبر بالكسر و الزبر بالكسر الكتاب و جمعه زبور مثل قدر و قدور و قرأ بعضهم وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا (١) أى كتبا و الزبور بفتح الزاى الكتاب المزبور فعول بمعنى مفعول و قال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول أنا أعرف بزبرتي (٢) أى خطي و كتابتي .

و مثلوا بالصالحين بالتخفيف نكلوا بهم مثلت بفلان أمثل بالضم مثلا بالفتح و سكون التاء و الاسم المثلث بالضم و من روى مثلوا بالتشديد أراد جدعوهم بعد قتلهم .

و على فى قوله و سموا صدقهم على الله فريه ليست متعلقه بصدقهم بل بفريه

ص: ١٠٥

١-١) سورة الإسراء ٥٥.

٢-٢) الصحاح ٦٦٧:٢.

أى و سموا صدقهم فريه على الله فإن امتنع أن يتعلق حرف الجر به لتقدمه عليه و هو مصدر فليكن متعلقا بفعل مقدر دل عليه هذا المصدر الظاهر و روى و جعلوا فى الحسنه العقوبه السيئه و الروايه الأولى بالإضافه أكثر و أحسن .

و الموعود هاهنا الموت و القارعه المصيبه تفرع أى تلقى بشده و قوه أيها الناس إنه من استنصح الله وفق و من اتخذ قوله دليلاً هدى للتي هي أقوم فإن حيار الله آمن و عيوده حائف و إنه لا يتبغى لمن عرف عظمه الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمت أن يتواضعوا له و سلامه الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجر و الباري من ذى السقم و اعلّموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه و لن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى بيده فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم و موت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم و صمتهم عن منطقتهم و ظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين و لا يختلّفون فيه فهو بينهم شاهد صادق و صامت ناطق .

من استنصح الله

من أطاع أوامره و علم أنه يهديه إلى مصالحه و يرده عن مفسده و يرشده إلى ما فيه نجاته و يصرفه عما فيه عطبه .

ص: ١٠٦

و التي هي أقوم يعنى الحاله و الخله التي اتباعها أقوم و هذا من الألفاظ القرآنيه قال سبحانه إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (١) و المراد بتلك الحاله المعرفه بالله و توحيده و وعد له .

ثم نهى ع عن التكبر و التعظم و قال إن رفعه القوم الذين يعرفون عظمه الله أن يتواضعوا له و ما هاهنا بمعنى أى شىء و من روى بالنصب جعلها زائده و قد ورد فى ذم التعظم و التكبر ما يطول استقصاؤه و هو مذموم على العباد فكيف بمن يتعظم على الخالق سبحانه و إنه لمن الهالكين

١٩٤٥

وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَمَّا افْتَخَرَ أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ ثُمَّ قَالَ وَ لَا فَخْرَ .

فجهر بلفظه الافتخار ثم أسقط استطاله الكبر و إنما جهر بما جهر به لأنه أقامه مقام شكر النعمه و التحدث بها و

١٩٤٦

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْهُ ص أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَ فَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ النَّاسِ بَنُو آدَمَ وَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ مُؤْمِنٍ تَقِيٌّ وَ فَاجِرٌ شَقِيٌّ لِيُنْتَهَيْنَ أَقْوَامٌ يَفْخَرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمٍ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ جُعْلَانٍ تَدْفَعُ التَّنَّ بِأَنْفِهَا .

قوله و اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشده حتى تعرفوا الذى تركه فيه تنبيه على أنه يجب البراءه من أهل الضلال و هو قول أصحابنا جميعهم فإنهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد و العدل و هم الأكثرون أو مفسق و هم الأقلون و ليس أحد منهم معذورا عند أصحابنا و إن ضل بعد النظر كما لا نعذر اليهود و النصارى إذا ضلوا بعد النظر .

ثم قال ع فالتمسوا ذلك عند أهله هذا كناية عنه ع و كثيرا ما يسلك هذا المسلك و يعرض هذا التعريض و هو الصادق الأمين العارف بأسرار الإلهيه .

ص: ١٠٧

ثم ذكر أن هؤلاء الذين أمر باتباعهم ينبيء حكمهم عن علمهم و ذلك لأن الامتحان يظهر خبيئه الإنسان .

ثم قال و صمتهم عن نطقهم صمت العارف أبلغ من نطق غيره و لا يخفى فضل الفاضل و إن كان صامتا .

ثم ذكر أنهم لا يخالفون الدين لأنهم قوامه و أربابه و لا يختلفون فيه لأن الحق فى التوحيد و العدل واحد فالدين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق .

و صامت ناطق

لأنه لا ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم فهو صامت فى الصورة و هو فى المعنى أنطق الناطقين لأن الأوامر و النواهي و الآداب كلها مبنيه عليه و متفرعه عليه

ص : ١٠٨

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ وَلَا يَمِيدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ
ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ وَ عَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ وَ اللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قَامَتِ
الْفَيْئَةُ الْبَاغِيَهُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ قَدْ سِئِنْتَ لَهُمُ السُّنَنُ وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ وَ لِكُلِّ ضَلَّهِ عَلَيْهِ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُجْبَهُ وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسِيَتَمِعِ
اللَّدْمِ يَسْمَعُ النَّاعِي وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ .

ضمير التثنيه راجع إلى طلحه و الزبير رضى الله عنهما و يمتان يتوسلان الماضى ثلاثى مت يمت بالضم و الضب الحقد و
المحتسبون طالبو الحسبه و هى الأجر و مستمع اللدم كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد فتتخذل و
تكف

جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها يقول لا أكون مقرا بالضميم راغنا (١) أسمع الناعى المخبر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة و أتباعه فلا يكون عندى من التغيير و الإنكار لذلك إلا أن أسمع و أحضر الباكين على قتلاهم .

و قوله لكل ضله عله و لكل ناكث شبهه هو جواب سؤال مقدر كأنه يقول إن قيل لأى سبب خرج هؤلاء فإنه لا بد أن يكون لهم تأويل فى خروجهم و قد قيل إنهم يطالبون بدم عثمان فهوع قال كل ضلاله فلا بد لها من عله اقتضتها و كل ناكث فلا بد له من شبهه يستند إليها .

و قوله لينتزعن هذا نفس هذا قول صحيح لا- ريب فيه لأن الرئاسه لا يمكن أن يدبرها اثنان معا فلو صح لهما ما أراداه لوثب أحدهما على الآخر فقتله فإن الملك عقيم

١٩٤٧

وَ قَدْ ذَكَرَ أَرْيَابُ السَّيْرِهِ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ اخْتَلَفَا مِنْ قَبْلِ وَقُوعِ الْحَرْبِ فَإِنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي الصَّلَاةِ فَأَقَامَتْ عَائِشَةُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي هَذَا يَوْمًا وَ هَذَا يَوْمًا إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الْحَرْبُ.

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ادَّعَى أَنَّ عُثْمَانَ نَصَّ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الدَّارِ وَ اخْتِجَّ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الصَّلَاةِ وَ اخْتِجَّ تَارَةً أُخْرَى بِنَصِّ صَبْرِيحِ زَعَمَهُ وَ ادَّعَاهُ وَ طَلَبَ طَلْحَةَ مِنْ عِيَاشَةَ أَنْ يُسَلِّمَ النَّاسَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ وَ أَذْلَى إِلَيْهَا بِالتَّمِيمَةِ وَ أَذْلَى الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا بِأَسْمَاءَ أُخْتِهَا فَأَمَرَتِ النَّاسَ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَيْهِمَا مَعًا بِالْإِمْرَةِ.

وَ اخْتَلَفَا فِي تَوَلَّى الْقِتَالِ فَطَلَبَهُ كُلُّ مِنْهُمَا أَوْلًا ثُمَّ نَكَلَ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْهُ وَ تَفَادَى (٢) مِنْهُ. وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْأَجْزَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ قِطْعَهُ صَالِحَهُ مِنْ أَخْبَارِ الْجَمَلِ

ص: ١١٠

١-١) يقال: رغن إليه، إذا أصغى.

٢-٢) تفادى منه: تحاماه.

١،٢،٣- وَرَوَى أَبُو مَخْنَفٍ قَالَ لَمَّا تَزَاخَفَ النَّاسُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَالتَّقُوا قَالَ عَلِيٌّ ع لِأَصِيحَابِهِ لَا يَزِمِينَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ بِسَيِّئِهِمْ وَلَا يَطْعَنَنَّ أَحَدُكُمْ فِيهِمْ بِرُمْحٍ حَتَّى أُحْدِثَ إِلَيْكُمْ وَحَتَّى يَبْدَأَ بِكُمْ بِالْقِتَالِ وَبِالْقَتْلِ فَرَمَى أَصِيحَابُ الْجَمَلِ عَسِيكَرَ عَلِيٍّ ع بِالنَّبْلِ رَمِيًّا شَدِيدًا مُتَّبِعًا فَضَحَّ إِلَيْهِ أَصِيحَابُهُ وَقَالُوا عَقَرْنَا سَهْمَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجِيءَ بِرَجُلٍ إِلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِي فُسْطَاطٍ لَهُ صَغِيرٍ فَقِيلَ لَهُ هَذَا فُلَانٌ قَدْ قُتِلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثُمَّ قَالَ أَعْذَرُوا إِلَى الْقَوْمِ فَأَتَى بِرَجُلٍ آخَرَ فَقِيلَ وَهَذَا قَدْ قُتِلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَعْذَرُوا إِلَى الْقَوْمِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ وَهُوَ مِنْ أَصِيحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَحْمِلُ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ بَدَيْلٍ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ ع وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَخِي قَدْ قُتِلَ فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَرْجَعَ عَلِيٌّ ع وَدَعَا بِدِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ ص ذَاتِ الْفُضُولِ فَلَبَسَهَا فَتَيَدَّلَتْ بِطَنُهَا فَرَفَعَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ فَحَزَمَ وَسَيْطَهُ بِعِمَامِهِ وَتَقَلَّدَ ذَا الْفُقَارِ وَدَفَعَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ رَأْيَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص السُّودَاءَ وَتَعَرَّفَ بِالْعِقَابِ وَقَالَ لِحَسَنِ وَحُسَيْنٍ ع إِنَّمَا دَفَعْتُ الرَّأْيَةَ إِلَى أَخِيكُمَا وَتَرَكْتُكُمَا لِمَكَانِكُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَطَافَ عَلِيٌّ ع عَلَى أَصِيحَابِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا بَأَتْكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَتْلِكُمْ مَسْتَهْمُمُ النَّبَأِ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (١)

ص: ١١١

ثُمَّ قَالَ أَفَرَعَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ عَلَيْنَا الصَّبْرَ وَ أَعَزَّنَا لَنَا وَ لَكُمْ ظَهيراً فِي كُلِّ أَمْرٍ ثُمَّ رَفَعَ مُضِيحاً بِيَدِهِ فَقَالَ مَنْ
يَأْخُذُ هَذَا الْمُضِيحَ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ وَ لَهُ الْجَنَّةُ فَقَامَ غُلامٌ شَابٌّ اسْمُهُ مُسْلِمٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ أَيْضُ فَقَالَ أَنَا آخِذُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَ
قَالَ يَا فَتَى إِنْ آخَذْتَهُ فَإِنَّ يَدَكَ الْيُمْنَى تُقَطِّعُ فَتَأْخُذُهُ بِيَدِكَ الْيُسْرَى فَتَقَطِّعُ ثُمَّ تُضْرَبُ بِالسَّيْفِ حَتَّى تُقْتَلَ فَقَالَ لَا صَبْرَ لِي عَلَى
ذَلِكَ فَنَادَى عَلِيٌّ ثَانِيَةً فَقَامَ الْغُلامُ وَ أَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَ أَعَادَ الْغُلامُ الْقَوْلَ مَراراً حَتَّى قَالَ الْغُلامُ أَنَا آخِذُهُ وَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ فِي
اللَّهِ قَلِيلٌ فَأَخِذْهُ وَ انْطَلَقَ فَلَمَّا خَالَطَهُمْ نَادَاهُمْ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ فَضْرَبَهُ رَجُلٌ فَقَطَّعَ يَدَهُ الْيُمْنَى فَتَنَاوَلَهُ بِالْيُسْرَى فَضْرَبَهُ
أُخْرَى فَقَطَّعَ الْيُسْرَى فَاحْتَضَنَهُ فَضْرَبُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى قُتِلَ فَقَالَتْ أُمُّ ذَرِيحِ الْعَبْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ (١) يَا رَبِّ إِنْ مُسْلِماً أَتَاهُمْ (٢)

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ عَلِيٌّ عَ وَ لَدَهُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَحْمِلَ الرَّايَةَ فَحَمَلَ وَ حَمَلَ مَعَهُ النَّاسُ وَ اسْتَحَرَّ الْقَتْلَ فِي الْفَرِيقَيْنِ وَ قَامَتِ
الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ

ص: ١١٢

١-١) الأبيات و الخبر في تاريخ الطبري (حوادث سنة ٣٦) مع اختلاف في الرواية و ترتيب الأبيات.

٢-٢) في الطبري: «لا هم إن مسلماً دعاهم».

قَالَ فَأَمَّا طَلْحَةُ فَإِنَّ أَهْلَ الْجَمَلِ لَمَّا تَضَعَضَ عُمُو قَالَ مَرْوَانُ لَا أَطْلُبُ ثَارَ عُثْمَانَ مِنْ طَلْحَةَ بَعِيدَ الْيَوْمِ فَاتْتَحَى لَهُ بِسَيْهِمْ فَأَصَابَ سَاقَهُ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ (١) فَجَعَلَ الدَّمُ يَبِضُّ (٢) فَاسْتَدْعَى مِنْ مَوْلَى لَهُ بَعْلَهُ فَرَكِبَهَا وَ أَدْبَرَ وَقَالَ لِمَوْلَاهُ وَيْحَكَ أَمَا مِنْ مَكَانٍ أَقْدِرُ فِيهِ عَلَى النُّزُولِ فَقَدْ قَتَلَنِي الدَّمُ فَيَقُولُ لَهُ مَوْلَاهُ انْجُ وَإِلَّا لِحَقِّكَ الْقَوْمُ فَقَالَ بِاللَّهِ (٣) مَا رَأَيْتُ مَضْرِعَ شَيْخٍ أَضْيَعُ مِنْ مَضْرِعِي هَذَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ فَنَزَلَهَا وَ مَاتَ بِهَا.

وَ قَدْ رَوَى أَنَّهُ رُمِيَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَهُ مَرْوَانُ وَ جُرِحَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ جَسَدِهِ.

١- وَ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ عَلِيًّا عَمَّرَ بِطَلْحَةَ وَ هُوَ يَكِيدُ (٤) بِنَفْسِهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِلْبَغِضِ أَنْ أَرَائِمُ مَضْرِعِينَ فِي الْبِلَادِ وَ لَكِنْ مَا حَتَمَ وَاقِعَ ثُمَّ تَمَثَّلَ وَ مَا تَدْرِي إِذَا أَرْمَعْتَ أَمْرًا

١-١) الأكل: عرق في الذراع.

٢-٢) يبض: يسيل قليلا قليلا.

٣-٣) ج د: «تالله».

٤-٤) يقال: هو يكيد بنفسه، أى يوجد بها؛ و فى الحديث أن النبى صلى الله عليه و سلم دخل على سعد ابن معاذ، و هو يكيد بنفسه، فقال: «جزاك الله من سيد قوم، فقد صدقت الله ما وعدته، و هو صادقك ما وعدك».

وَمَا تَدْرِي إِذَا أُلْقَتْ شَوْلًا (١)

أَتُنْجِعُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمَّ تُحِيلُ (٢)

و أما الزبير فقتله ابن جرmoz غيله بوادی السباع و هو منصرف عن الحرب نادم على ما فرط منه و تقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق.

١٩٥١

و رَوَى الْكَلْبِيُّ قَالَ كَانَ الْعُرْقُ الَّذِي أَصَابَهُ السَّهْمُ إِذَا أَمْسِكَ طَلَحَهُ بِيَدِهِ اشْتَمَسَكَ وَإِذَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُ سَالَ فَقَالَ طَلَحَهُ هَذَا سِيَّهِمْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ دَمَ فُرْشِي أُضِيعَ.

قَالَ وَ كَانَ الْحَسَنُ الْبُصْرِيُّ إِذَا سَمِعَ هَذَا وَ حُكِيَ لَهُ يَقُولُ ذُقْ عَقَقُ (٣).

١٩٥٢

و رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ يَقُولُ أَنَا قَتَلْتُ طَلَحَةَ .

و قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ قَدْ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لَوْ لَا أَنَّ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَمَى طَلَحَةَ فَقَتَلَهُ مَا تَرَكْتُ تَيْمِيًّا إِلَّا قَتَلْتُهُ بِعُثْمَانَ قَالَ يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَ طَلَحَةَ قَتَلَاهُ وَ كَانَا تَيْمِيَّيْنِ.

١٩٥٣

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَرَرْتُ بِطَلَحَةَ وَ إِنَّ مَعَهُ عَصَابَهُ يُقَاتِلُ بِهِمْ وَ قَدْ فَشَتْ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَ كَثَرَهُمُ النَّاسُ فَرَأَيْتُهُ جَرِيحًا وَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ وَ أَصْحَابُهُ يَتَصَدَّعُونَ (٤) عَنْهُ رَجُلًا فَرَجُلًا وَ اثْنَيْنِ فَاثْنَيْنِ وَ أَنَا أَسْمَعُهُ وَ هُوَ يَقُولُ عِبَادَ اللَّهِ الصَّبْرُ الصَّبْرُ فَإِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرَ وَ الْأَجْرَ

ص: ١١٤

١- (١) الشول من النوق: التي خف لبنها و ارتفع ضرعها، و أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها، فلم يبق في ضروعها إلا شوال من اللبن أو بقيه.

٢- (٢) تحيل: لم تلتحق.

٣- (٣) العقق، كثعلب: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب، و جناحه أكبر من جناحي الحمامة، و العرب تضرب به المثل فيما لا يحمده.

٤- (٤) يتصدعون: يتفرقون، و في د«ينصدعون».

فَقُلْتُ لَهُ النَّجَاءَ النَّجَاءَ ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ فَوَاللَّهِ مَا أَجِزْتُ وَلَا نُصِرْتُ وَلَا لِكِنِّكَ وَزُرْتُ وَخَسِرْتُ ثُمَّ صَحْتُ بِأَصْحَابِهِ فَاذْعَرُوا عَنْهُ وَ
لَوْ شِئْتُ أَنْ أَطْعَمَهُ لَطَعْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَجَدَلْتُكَ فِي هَذَا الصَّعِيدِ (١) فَقَالَ وَاللَّهِ لَهَلَكْتَ هَلَاكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِذَنْ
فَقُلْتُ لَهُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَمْسَيْتَ وَإِنَّ دَمَكَ لِحَالٍ وَإِنَّكَ لِمِنَ النَّادِمِينَ فَاَنْصِرْ وَمَعَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ وَمَا أَذْرِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ إِلَّا أَنِّي
أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ.

وَ رُوِيَ أَنَّ طَلْحَةَ قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيْنَا وَ اتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (٢).

١٩٥٤

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ قَالَ لَمَّا أُذْبِرَ طَلْحَةُ وَ هُوَ جَرِيحٌ يَرْتَادُ مَكَانًا يَنْزِلُهُ (٣) جَعَلَ يَقُولُ لِمَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع أَنَا طَلْحَةُ مَنْ
يُجِيرُنِي يُكْرِرُهَا قَالَ فَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ يَقُولُ لَقَدْ كَانَ فِي جِوَارِ عَرِيضِ

ص: ١١٥

١-١) الصعید: التراب.

٢-٢) سورة الأنفال ٢٥.

٣-٣) ب: «يرتاد منزله».

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ كَمَا أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا
الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٍ مَخْزُونٍ أَمَا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ مُحَمَّدًا صَ فَلَا تُضَيِّعُوا سِيَّتَهُ أَقِيمُوا هِدْيَيْنِ
الْعُمُودَيْنِ وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمًّا مَا لَمْ تَشْرُدُوا حَمْلَ كُلِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وَ خُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٌ وَ
دِينٌ قَوِيمٌ وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ أَنَا بِالْأَمْسِ صَ احْبُكُم وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ إِنْ ثُبَّتِ الْوِطْأَةُ فِي هَيْدِهِ
الْمَزَلَةَ فَذَاكَ وَ إِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ وَ [مَهَبٌ]

مَهَابٌ رِيَّاحٌ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَ عَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُومُهَا وَ إِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوِرَكُمْ بِيَدَيْ أَيَّامٍ وَ
سُتَعْتَبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءَ سَاكِنَةٍ بَعْدَ حَرَائِكِ وَ صَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ [لِيَعْظُكُمْ هُدُوءِي]

لِيَعْظُكُمْ هُدُوءِي وَ خُفُوتُ إِطْرَاقِي وَ سُكُونُ أَطْرَافِي فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلِيغِ وَ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ

وَدَاعَى لَكُمْ وَدَاعَى امْرِئٍ مُزْصِدٍ لِلتَّلَاقِ غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي وَ يُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي وَ تَعْرِفُونَنِي بَعِيدَ خُلُوقِ مَكَانِي وَ قِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

أطردت الرجل إذا أمرت بإخراجه و طرده و طردته إذا نفيته و أخرجته فالإيطراد أدل على العز و القهر من الطرد و كأنه ع جعل الأيَّام أشخاصا يأمر بإخراجهم و إبعادهم عنه أى ما زلت أبحث عن كيفية قتلى و أى وقت يكون بعينه و فى أى أرض يكون يوما يوما فإذا لم أجده فى اليوم أطردته و استقبلت غده فأبحث فيه أيضا فلا أعلم فأبعده و أطرده و أستأنف يوما آخر هكذا حتى وقع المقدور و هذا الكلام يدل على أنه لم يكن يعرف حال قتله معرفه مفصله من جميع الوجوه و أن رسول الله ص أعلمه بذلك علما مجملا لأنه قد ثبت

١٩٥٥

١٤,١- أَنَّهُ ص قَالَ لَهُ سَتُضْرَبُ عَلَى هَذِهِ وَ أَشَارَ إِلَى هَامَتِهِ فَتَخَضَّبُ مِنْهَا هَذِهِ وَ أَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ .

و ثبت

١٩٥٦

أَنَّهُ ص قَالَ لَهُ أ تَعْلَمُ مَنْ أَشَقَى الْمَأْوِلِينَ قَالَ نَعَمْ عِاقِرُ النَّاقَةِ فَقَالَ لَهُ أ تَعْلَمُ مَنْ أَشَقَى الْمَأْخِرِينَ قَالَ لَا قَالَ مَنْ يَضْرِبُكَ هَاهُنَا فَيَخْضِبُ هَذِهِ .

و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنه يموت من ضربته أ لا تراه يقول إن ثبت الوطأه فى هذه المزله فذاك و إن تدحض فإنما كنا فى أفياء أغصان و مهاب رياح أى إن سلمت فذاك الذى تطلبونه يخاطب أهله و أولاده و لا ينبغي أن يقال فذاك ما أطلبه لأنه ع كان يطلب الآخره

ص: ١١٧

وَ فِي كَلَامِهِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ مَا يُؤَكِّدُ مَا قُلْنَا وَ هُوَ قَوْلُهُ

إِنْ عِشْتُ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وَإِنْ مِتُّ فَضَرْبُهُ بِضَرْبِي

و ليس قوله ع و أنا اليوم عبره لكم و غدا مفارقكم و ما يجري مجراه من ألفاظ الفصل بناقض (١) لما قلناه و ذلك لأنه لا يعنى غدا بعينه بل ما يستقبل من الزمان كما يقول الإنسان الصحيح أنا غدا ميت فما لى أحرص على الدنيا و لأن الإنسان قد يقول فى مرضه الشديد لأهله و ولده ودعتكم و أنا مفارقكم و سوف يخلو منزلى منى و تتأسفون على فراقى و تعرفون موضعى بعدى كله على غلبه الظنّ و قد يقصد الصالحون به العظه و الاعتبار و جذب السامعين إلى جانب التقوى و ردعهم عن الهوى و حبّ الدنيا.

فإن قلت فما تصنع

١- بِقَوْلِهِ ع لِابْنِ مُلْجَمٍ أُرِيدُ جِبَاءَهُ وَ يُرِيدُ قَتْلِي عَدِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ (٢).

وَ قَوْلُ الْحُلَاصِ مِنْ شِيعَتِهِ فَهَلَّا تَقْتُلُهُ فَقَالَ فَكَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي وَ تَارَهُ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي فَكَيْفَ أَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ .

وَ كَيْفَ

قَالَ فِي الْبَطِّ الصَّائِحِ خَلَفَهُ فِي الْمَسْجِدِ لَيْلَهُ ضَرْبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ دَعَوْهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ .

وَ كَيْفَ

قَالَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ

إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ وَ قُلْتُ مَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَ اللَّدِّ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ أْبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أْبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي .

و كيف

١٩٤١

قَالَ

إِنِّي لَا أُقْتَلُ مُحَارِبًا وَ إِنَّمَا أُقْتَلُ فَتَكًا وَ غِيْلَةً يَفْتُلْنِي رَجُلٌ خَامِلٌ الذُّكْرَ .

و قد جاء عنه ع من هذا الباب آثار كثيرة.

قلت كل هذا لا يدلّ على أنّه كان يعلم الأمر مفصلا من جميع الوجوه ألا ترى أنه

ص: ١١٨

١-١) د: «بمناقض».

٢-٢) من أبيات في اللآلي ٦٣، نسبها إلى عمرو بن معديكرب؛ و روايته فيها: «أريد حياته».

ليس فى الأخبار والآثار ما يدلّ على الوقت الذى يقتل فيه بعينه ولا على المكان الذى يقتل فيه بعينه و أما ابن ملجم فمن الجائز أن يكون علم أنه هو الذى يقتله و لم يعلم علما محققا أن هذه الضربه تزهق نفسه الشريفه منها بل قد كان يجوز أن يبل و يفيق منها ثم يكون قتله فيما بعد على يد ابن ملجم و إن طال الأمد و ليس هذا بمستحيل و قد وقع مثله فإن عبد الملك جرح عمرو بن سعيد الأشدق فى أيام معاويه على منافره كانت بينهما فعفا عمرو عنه ثم كان من القضاء و القدر أن عبد الملك قتل عمرا أيضا بيده ذبحا كما تذبح الشاه.

و أما

١٩٦٢

قَوْلُهُ فِي الْبَطِّ

دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ .

فلعله علم أنه تلك الليله يصاب و يجرح و إن لم يعلم أنه يموت منه و النوائح قد ينحن على المقتول و قد ينحن على المجروح و المنام و الدعاء لا يدلّ على العلم بالوقت بعينه و لا يدلّ على أن إجابته دعائه تكون على الفور لا محاله .

ثم نعود إلى الشرح أما قوله كل امرئ لاق ما يفر منه فى فراره أى إذا كان مقدورا و إلا فقد رأينا من يفر من الشىء و يسلم لأنه لم يقدر و هذا من قوله تعالى وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (١) و قوله لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ (٢) و من قوله تعالى قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ (٣) و فى القرآن العزيز مثل هذا كثير .

قوله و الأجل مساق النفس أى الأمر الذى تساق إليه و تنتهى عنده و تقف إذا بلغت فلا يبقى له حينئذ أكله فى الدنيا.

ص: ١١٩

١-١) سورة النساء ٧٨.

٢-٢) سورة آل عمران ١٥٤.

٣-٣) سورة الجمعة ٨.

قوله و الهرب منه موافاته هذا كلام خارج مخرج المبالغه فى عدم النجاه و كون الفرار غير مغن و لا عاصم من الموت يقول الهرب بعينه من الموت موافاه للموت أى إتيان إليه كأنه لم يرتض بأن يقول الهارب لا بدّ أن ينتهى إلى الموت بل جعل نفس الهرب هو ملاقاه الموت.

قوله أبحثها أى أكشفها و أكثر ما يستعمل بحث معدى بحرف الجر و قد عداه هاهنا إلى الأيام بنفسه و إلى مكنون الأمر بحرف الجر و قد جاء بحثت الدجاجة التراب أى نبشته .

قوله فأبى الله إلا إخفاءه هيهات علم مخزون تقديره هيهات ذلك مبتدأ و خبره هيهات اسم للفعل معناها بعد أى علم هذا العيب علم مخزون مصون لم أطلع عليه.

فإن قلت ما معنى قوله كم أطردت الأيام أبحثها و هل علم الإنسان بموته كيف يكون و فى أى وقت يكون و فى أى أرض يكون ممّا يمكن استدراكه بالنظر و الفكر و البحث.

قلت مراده ع أنى كنت فى أيام رسول الله ص أسأله كثيرا عن هذا الغيب فما أنبأنى منه إلا بأمر إجماليه غير مفصله و لم يأذن الله تعالى فى اطلاعى على تفاصيل ذلك .

قوله فالله لا تُشركوا به شيئاً الروايه المشهوره فالله بالنصب و كذلك محمداً بتقدير فعل لأن الوصيه تستدعى الفعل بعدها أى وحدوا الله و قد روى بالرفع و هو جائز على المبتدأ و الخبر .

قوله أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين و خلاكم ذمّ ما لم تشردوا كلام داخل فى باب الاستعاره شبه الكتاب و السنه بعمودى الخيمه و بمصباحين

يستضاء بهما و خلا- كم ذم كلمه جاريه مجرى المثل معناها و لا ذم عليكم فقد أعذرتكم و ذم مرفوع بالفاعليه معناه عداكم و سقط عنكم.

فإن قلت إذا لم يشركوا بالله و لم يضيعوا سنه محمد ص فقد قاموا بكل ما يجب و انتهوا عن كل ما يقبح فأى حاجه له إلى أن يستثنى و يقول ما لم تشرودوا و إنما كان يحتاج إلى هذه اللفظه لو قال وصيتى إليكم أن توحيدوا الله و تؤمنوا بنبوه محمد ص كان حينئذ يحتاج إلى قوله ما لم تشرودوا و يكون مراده بها فعل الواجبات و تجنب المقبحات لأنه ليس فى الإقرار بالوحدانيه و الرساله العمل بل العمل خارج عن ذلك فوجب إذا أوصى أن يوصى بالاعتقاد و العمل كما

١٩٦٣

١٤- قَالَ عُمَرُ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي وَاقِعِهِ أَهْلِي الرَّدِّهِ كَيْفَ تُقْسَاتِلُهُمْ وَ هُمْ مُقَرَّبُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَمَرْتُ بِأَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّهُ قَالَ تَبِمَهُ هَذَا فَإِذَا هُمْ قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَ أَدَاءِ الرَّكَاهِ مِنْ حَقِّهَا .

قلت مراده بقوله ما لم تشرودوا ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال خلاكم ذم إن وحدتم الله و اتبعتم سنه رسوله و دتمتم على ذلك و لا شبهه أن هذا الكلام منتظم و أن اللفظتين الأوليين ليستا بمعنيين عن اللفظه الثالثه (١) و بتقدير أن يغنيا عنه فإن فى ذكره مزيد تأكيد و إيضاح غير موجودين لو لم يذكر و هذا كقوله تعالى وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشِ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢) و ليس لقائل أن يقول من لا- يخشى الله لا- يكون مطيعا لله و الرسول و أى حاجه به إلى ذكر ما قد أغنى اللفظ الأول عنه قوله حمل كل امرئ مجهوده و خفف عن الجهله هذا كلام متصل بما قبله

ص: ١٢١

١- ١) ب: «اللفظ الثالث».

٢- ٢) سورة النور ٥٢.

لأنه لما قال ما لم تشرّدوا أنبأ عن تكليفهم كل ما وردت به السنه النبويّه و أن يدوموا عليه و هذا فى الظاهر تكليف أمور شاقه فاستدرك بكلام يدلّ على التخفيف فقال إن التكاليف على قدر المكلفين فالعلماء تكليفهم غير تكليف العامّه و أرباب الجهل و المبادئ كالنساء و أهل البادية و طوائف من الناس الغالب عليهم البلاده و قله الفهم كأقاصى الحبشه و الترك و نحوهم و هؤلاء عند المكلفين غير مكلفين إلاّ بحمل التوحيد و العدل بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المفصله و حل المشكلات الغامضه و قد روى حمل على صيغه الماضى و مجهوده بالنصب و خفف على صيغه الماضى أيضا و يكون الفاعل هو الله تعالى المقدم ذكره و الروايه الأولى أكثر و أليق .

ثم قال رب رحيم أى ربكم ربّ رحيم و دين قويم أى مستقيم و إمام عليم يعنى رسول الله ص و من الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على روايه من رواها فعلا ماضيا و ليس بمستحسن لأن عطف الدين عليه يقتضى أن يكون الدين أيضا مخففا و هذا لا يصحّ.

ثمّ دعا لنفسه و لهم بالغفران.

ثمّ قسم الأيام الماضيه و الحاضره و المستقبله قسمه حسنه فقال أنا بالأمس صاحبكم و أنا اليوم عبره لكم و غدا مفارقكم إنّما كان عبره لهم لأنهم يرونه بين أيديهم ملقى صريعا بعد أن صرع الأبطال و قتل الأقران فهو كما قال الشاعر أكال أشلاء الفوارس بالقتنا أضحى بهن و شلوه مأكول.

و يقال دحضت قدم فلان أى زلت و زلقت.

ثمّ شبه وجوده فى الدنيا بأفياء الأغصان و مهاب الرياح و ظلال الغمام لأن ذلك كله سريع الانقضاء لا ثبات له .

قوله اضمحل فى الجو متلفقها و عفا فى الأرض مخطها اضمحل ذهب و الميم زائده و منه الضحل و هو الماء القليل و اضمحل السحاب تقشع و ذهب و فى لغه الكلايين امضحل الشىء بتقديم الميم و متلفقها مجتمعها أى ما اجتمع من الغيوم فى الجو و التلفيق الجمع و عفا درس و مخطها أثرها كالخطه .

قوله و إنما كنت جارا جاوركم بدننى أياما فى هذا الكلام إشعار بما يذهب إليه أكثر العقلاء من أمر النفس و أن هويه الإنسان شىء غير هذا البدن .

و قوله ستعقبون منى أى إنما تجدون عقيب فقدى جثه يعنى بدنا خلاء أى لا روح فيه بل قد أفقر من تلك المعانى التى كنتم تعرفونها و هى العقل و النطق و القوّه و غير ذلك ثم وصف تلك الجثه فقال ساكنه بعد حراك بالفتح أى بعد حركه و صامته بعد نطق و هذا الكلام أيضا يشعر (1) بما قلناه من أمر النفس بل يصرح بذلك ألا تراه قال ستعقبون منى جثه أى تستبدلون بى جثه صفتها كذا و تلك الجثه جثته ع و محال أن يكون العوض و المعوض عنه واحدا فدل على أن هويته ع التى أعقبنا منها الجنه غير الجثه .

قوله ليعظكم هدى أى سكونى و خفوت إطراقى مثله خفت خفوتا سكن و خفت خفاتا مات فجأه و إطراقه إرخاؤه عينيه ينظر إلى الأرض لضعفه عن رفع جفنه و سكون أطرافه يده و رجلاه و رأسه ع .

قال فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ و القول المسموع و صدق ع فإن خطبا أخرج ذلك اللسان و هد تلك القوى لخطب جليل و يجب أن يتعظ العقلاء به و ما عسى يبلغ قول الواعظين بالإضافة إلى من شاهد تلك الحال بل بالإضافة إلى من سمعها و أفكر فيها فضلا عن مشاهدتها عيانا و فى هذا الكلام شبه من كلام الحكماء الذين تكلموا عند تابوت الإسكندر فقال أحدهم
حركنا بسكونه

ص: ١٢٣

وقال الآخر قد كان سيفك لا- يجف و كانت مراقبك لا ترام و كانت نعماتك لا تؤمن و كانت عطايك يفرح بها و كان ضياؤك لا ينكشف فأصبح ضوؤك قد خمد و أصبحت نعماتك لا تخشى و عطايك لا ترجى و مراقبك لا تمنع و سيفك لا يقطع.

وقال الآخر انظروا إلى حلم المنام كيف انجلى و إلى ظل الغمام كيف انسلى و قال آخر ما كان أحوجه إلى هذا الحلم و إلى هذا الصبر و السكون أيام حياته و قال آخر القدره العظيمه التى ملأت الدنيا العريضه الطويله طويت فى ذراعين.

و قال الآخر أصبح أسر الأسراء أسيرا و قاهر الملوك مقهورا كان بالأمس مالكا فصار اليوم هالكا .

ثم قال ع ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاقى أرصدته لكذا أى أعدده له

١٩٦٤

وَفِي الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ أَرُصِدَهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ. و التلاقى هاهنا لقاء الله و يروى وداعكم أى وداعى إياكم و الوداع مفتوح الواو .

ثم قال غدا ترون أيامى و يكشف لكم عن سرائرى و تعرفوننى بعد خلو مكانى و قيام غيرى مقامى هذا معنى قد تداوله الناس قديما و حديثا قال أبو تمام راحت وفود الأرض عن قبره

و قال أبو الطيب و ندمهم و بهم عرفنا فضله و بضدها تتبين الأشياء (١).

ص: ١٢٤

(١-١) ديوانه ١:٢١، و روايته: «و نديمهم».

و من أمثالهم الضد يظهر حسنه الضد.

و منها أيضا لو لا مراره المرض لم تعرف حلاوه العافيه.

و إنما قال ع و يكشف لكم عن سرائرى لأنهم بعد فقده و موته يظهر لهم و يثبت عندهم إذا رأوا و شاهدوا إمره من بعده أنه
إنما كان يريد بتلك الحروب العظيمة وجه الله تعالى و ألا يظهر المنكر فى الأرض و إن ظنّ قوم فى حياته أنه كان يريد الملك
و الدنيا

ص: ١٢٥

وَ أَخَذُوا يَمِينًا وَ شِمَالًا ظَنَنَّا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ وَ تَزَكَّا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ وَ لَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ
الْغَدُّ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَ دَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانٌ وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ وَ دُنُوٌّ مِنْ
طَلَعِهِ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَلَا وَ إِنْ مِنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَ يَحْذُو فِيهَا عَلَيَّ مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيُحِلَّ فِيهَا رَبَّنَا وَ يُعْتَقَ فِيهَا رِقًّا
وَ يَصْدَعَ شَعْبًا وَ يَشَعَبَ صَدْعًا فِي سُتْرِهِ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ ثُمَّ لَيْشَحَدَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَدَ الْقَيْنِ النَّصْلَ
تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَ يُزْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَ يُعْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ .

يذكر ع قوما من فرق الضلال أخذوا يميناً و شمالاً أى ضلوا عن الطريق الوسطى التى هى منهاج الكتاب و السنه و ذلك لأن كل فضيله و حقّ فهو محبوس بطرفين خارجين عن العدالة و هما جانبا الإفراط و التفريط كاللفطانه التى هى محبوسه

بالجرزیه و الغباوه و الشجاعه التى هى محبوسه بالتهور و الجبن و الجود المحبوس بالتبذير و الشح فمن لم يقع على الطريق الوسطى و أخذ يمينا و شمالا فقد ضل.

ثم فسر قوله أخذ يمينا و شمالا فقال ظعنوا ظعننا فى مسالك الغى و تركوا مذاهب الرشده تركا و نصب تركا و ظعننا على المصدريه و العامل فيهما من غير لفظهما (١) و هو قوله أخذوا .

ثم نهاهم عن استعجال ما هو معد و لا بد من كونه و وجوده و إنما سماه كائنا لقرب كونه كما قال تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٢) و نهاهم أن يستبطنوا ما يجيء فى الغد لقرب وقوعه كما قال و إن غدا للناظرين قريب.

و قال الآخر غدا ما غدا ما أقرب اليوم من غدا.

و قال تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٣) .

ثم قال كم من مستعجل أمرا و يحرص عليه فإذا حصل و د أنه لم يحصل قال أبو العتاهيه من عاش لاقى ما يسوء

و قال آخر فلا تتمنين الدهر شيئا فكم أمنيته جلبت منيه.

ص: ١٢٧

١ - ١) ب: «لفظها».

٢ - ٢) سورة الزمر ٣٠.

٣ - ٣) سورة هود ٨١.

و قال تعالى وَ عَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١) و تبشير الصبح أوائله .

ثم قال يا قوم قد دنا وقت القيامة و ظهور الفتن التي تظهر أمامها.

و إبان الشىء بالكسر و التشديد وقته و زمانه و كنى عن تلك الأحوال بقوله و دنو من طلعه ما لا تعرفون لأن تلك الملاحم و الأشرار الهائله غير معهود مثلها نحو دابه الأرض و الدجال و فتنته و ما يظهر على يده من المخاريق و الأمور الموهمه و واقعه السفينى و ما يقتل فيها من الخلائق الذين لا يحصى عددهم .

ثم ذكر أن مهدي آل محمّد ص و هو الذى عنى بقوله و إن من أدركها منا يسرى فى ظلمات هذه الفتن بسراج منير و هو المهديّ و أتباع الكتاب و السنه .

و يحذو فيها

يقتفى و يتبع مثال الصالحين ليحل فى هذه الفتن و ربقا أى حبلا معقودا .

و يعتق رقا

أى يستفك أسرى و ينقذ مظلومين من أيدي ظالمين و يصدع شعبا أى يفرق جماعه من جماعات الضلال و يشعب صدعا يجمع ما تفرق من كلمه أهل الهدى و الإيمان .

قوله ع فى ستره عن الناس هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الإنسان المشار إليه و ليس ذلك بنافع للإماميه فى مذهبهم و إن ظنوا أنّه تصريح بقولهم و ذلك لأنّه من الجائر أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى فى آخر الزمان و يكون مستترا مدّه و له دعاه يدعون إليه و يقررون أمره ثم يظهر بعد ذلك الاستتار و يملك الممالك

ص: ١٢٨

و يقهر الدول و يمهد الأرض كما ورد في قوله لا يبصر القائف أى هو فى استتار شديد لا يدركه القائف و هو الذى يعرف الآثار و الجمع قافه و لا يعرف أثره و لو استقصى فى الطلب و تابع النظر و التأمل .

و يقال شحذت السكين أشحذه شحذا أى حددته يريد ليحرضن فى هذه الملاحم قوم على الحرب و قتل أهل الضلال و لتشحذن عزائمهم كما يشحذ الصيقل السيف و يرقق حده .

ثم وصف هؤلاء القوم المشحوذى العزائم فقال تجلى بصائرهم بالتنزيل أى يكشف الرين و الغطاء عن قلوبهم بتلاوه القرآن و إلهامهم تأويله و معرفه أسراره .

ثم صرّح بذلك فقال و يرمى بالتفسير فى مسامعهم أى يكشف لهم الغطاء و تخلق المعارف فى قلوبهم و يلهمون فهم الغوامض و الأسرار الباطنه و يغبقون كأس الحكم بعد الصبوح أى لا تزال المعارف الربانيه و الأسرار الإلهيه تفيض عليهم صباحا و مساء فالغبوق كناية عن الفيض الحاصل لهم فى الآصال و الصبوح كناية عما يحصل لهم منه فى الغدوات و هؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد و الحكمة و الشجاعه و حقيق بمثلهم أن يكونوا أنصارا لولى الله الذى يجتبيه و يخلقه فى آخر أوقات الدنيا فيكون خاتمه أوليائه و الذى يلقى عصا التكليف عنده منها و طال الأمد بهم ليستكملوا الخزي و يستوجبوا الغير حتى إذا خلوق

الْأَجَلُ وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتْنِ وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ وَ لَمْ يَسْتَغْضُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ وَ دَانُوا لِزُبَيْهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ .

هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضى رحمه الله و هو وصف فئه ضاله قد استولت و ملكت و أملى لها الله سبحانه قال ع و طال الأمد بهم ليستكملوا الخزي و يستوجبوا الغير أى النعم (١) التى يغيرها بهم من نعم الله سبحانه كما قال وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْزَنَّا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (٢) و كما قال تعالى سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٣)

حتى إذا اخلوق الأجل

أى قارب أمرهم الانقضاء من قولك اخلوق السحاب أى استوى و صار خليقا بأن يمطر و اخلوق الرسم استوى مع الأرض .

و استراح قوم إلى الفتنة

أى صبا قوم من شيعتنا و أوليائنا إلى هذه الفئه و استراحوا إلى ضلالها و فتنها و اتبعوها .

و اشتالوا عن لقاح حربهم

أى رفعوا أيديهم و سيوفهم عن أن يشبوا الحرب بينهم و بين هذه الفئه مهاده لها و سلما و كراهيه للقتال يقال شال فلان كذا أى رفعه و اشتال افتعل هو فى نفسه كقولك حجم زيد عمرا و احتجم هو نفسه و لقاح حربهم هو بفتح اللام مصدر من لقحت الناقه .

قوله لم يمنوا هذا جواب قوله حتى إذا و الضمير فى يمنوا راجع إلى

ص: ١٣٠

١-١ (١) كذا فى د، و فى ا، ب: «و النعم».

٢-٢ (٢) سورة الإسراء ١٦.

٣-٣ (٣) سورة الأعراف ١٨٢.

العارفين الذين تقدم ذكرهم فى الفصل السابق ذكره يقول حتى إذا ألقى هؤلاء السلام إلى هذه الفئة عجزا عن القتال و استراحوا من منابذتهم بدخولهم فى ضلالتهم و فتنتهم إما تقيه (١) منهم أو لشبهه دخلت عليهم أنهض الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خصهم بحكمته و أطلعهم على أسرار ملكوته فنهضوا و لم يمنوا على الله تعالى بصبرهم و لم يستعظموا أن يبذلوا فى الحق نفوسهم قال حتى إذا وافق قضاء الله تعالى و قدره كى ينهض هؤلاء بقضاء الله و قدره فى انقضاء مده تلك الفئة و ارتفاع ما كان شمل الخلق من البلاء بملكها و إمرتها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم و هذا معنى لطيف يعنى أنهم أظهروا بصائرهم و عقائدهم و قلوبهم للناس و كشفوها و جردوها من أجفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكانها شىء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف و لا ريب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للأبصار فكذلك ما يكون محمولا عليها و من الناس من فسر هذا الكلام فقال أراد بالبصائر جمع بصيره و هو الدم فكأنه أراد طلبوا ثأرهم و الدماء التى سفكتها هذه الفئة و كأن تلك الدماء المطلوب ثأرها محموله على أسيافهم التى جردوها للحرب و هذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه راحوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتد و أى (٢).

و فسرهُ أبو عمرو بن العلاء فقال يريد أنهم تركوا دم أبيهم و جعلوه خلفهم أى لم يثأروا به و أنا طلبت ثأرى و كان أبو عبيده معمر بن المثنى يقول فى هذا البيت البصيره الترس أو الدرع و يرويه حملوا بصائرهم

ص: ١٣١

١- ١) كذا فى ج، و فى ا، ب: «بقية»، و فى د: «بفته».

٢- ٢) البيت فى الصحاح ٥٩٢: ٢، و نسبه إلى الأسعر الجعفى، و هو أيضا فى اللسان ١٣٣: ٥.

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي
أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسْيَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي عَمْرِهِ قَدْ مَارُوا فِي
الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةِ مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

رجعوا على الأعقاب تركوا ما كانوا عليه قال سبحانه وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً (١) .

و غالتهم السبل

أهلكهم اختلاف الآراء و الأهواء غاله كذا أى أهلكه و السبل الطرق.

و الولائج جمع وليجه و هى البطنانہ يتخذها الإنسان لنفسه قال سبحانه وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجْهَ
(٢) .

و وصلوا غير الرحم

أى غير رحم رسول الله ص فذكرها ع

ص: ١٣٢

١-١) سورة آل عمران ١٤٤.

٢-٢) سورة التوبة ١٦.

ذكرنا مطلقاً غير مضاف للعلم بها كما يقول القائل أهل البيت فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول . و هجروا السبب يعنى أهل البيت أيضا و هذه إشاره إلى

١٩٦٥

قَوْلِ النَّبِيِّ ص خَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ عِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ .

فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبي ص قال حبلان و السبب فى اللغه الحبل.

عنى بقوله أمرؤا بمودته قول الله تعالى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ .

قوله و نقلوا البناء عن رص أساسه الرّص مصدر رصت الشىء أرصه أى ألصقت بعضه ببعض و منه قوله تعالى كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ ﴿٢﴾ و تراص القوم فى الصف أى تلاصقوا فبنوه فى غير موضعه و نقلوا ﴿٣﴾ الأمر عن أهله إلى غير أهله .

ثمّ ذمهم ع و قال إنهم معادن كل خطيئه و أبواب كل ضارب فى غمره الغمره الضلال و الجهل و الضارب فيها الداخلى المعتمد لها .

قد ماروا فى الحيره

مار يمرور إذا ذهب و جاء فكأنهم يسبحون فى الحيره كما يسبح الإنسان فى الماء.

و ذهل فلان بالفتح يذهل على سنه من آل فرعون أى على طريقه و آل فرعون أتباعه قال تعالى أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤﴾

ص: ١٣٣

١-١) سورة الشورى ٢٣.

٢-٢) سورة الصف ٥.

٣-٣) ب: «و نقلوا»، و ما أثبتته من د.

٤-٤) سورة غافر ٤٦.

لا هم له غيرها راكن مخلص إليها قال الله تعالى **وَ لَا تَزَكُّنَا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا (١)** أو مفارق للدين مباين **(٢)** مزابل.

فإن قلت أي فرق بين الرجلين وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلا مفارقا للدين قلت قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين وليس براكن إلى الدنيا ولا منقطع إليها كما نرى كثيرا من أخبار النصارى و رهبانهم.

فإن قلت أليس هذا **(٣)** الفصل صريحا في تحقيق مذهب الإمامية قلت لا بل نحمله على أنه عنى ع أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أئمة العرب في أيام صفين وهم الذين نقلوا البناء و هجروا السبب و وصلوا غير الرحم و اتكلوا على الولاة و غالتهم السبل و رجعوا على الأعقاب كعمرو بن العاص و المغيرة بن شعبه و مروان بن الحكم و الوليد بن عقبة و حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاه و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و حوشب و ذى الكلاع و شرحبيل بن السمط **(٤)** و أبى الأعور السلمى و غيرهم ممن تقدم ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصفين و أخبارها فإن هؤلاء نقلوا الإمامه عنه ع إلى معاوية فنقلوا البناء عن رص أصله إلى غير موضعه.

فإن قلت لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته لأنه قال ع حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول ص و ما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف و عشرين سنة .

قلت ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله ص و أضمرنا في أنفسهم مُشَاقَّةَ أمير المؤمنين و أذاه و قد كان فيهم من

ص: ١٣٤

١-١ (١) سورة هود ١١٣.

٢-٢ (٢) كذا في د، و في ا، ب: «و مباين».

٣-٣ (٣) ساقطه من د.

٤-٤ (٤) ب: «الصمت».

يتحكك به في أيام أبي بكر و عمر و عثمان و يتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك في حياه رسول الله و لا- يمتنع أيضا أن يريد برجعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض من ذكرناه و يعدونهم من المنافقين و قد كان سيف رسول الله ص يجمعهم و يردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمر المؤمنين الذي

١٩٦٦

١- وَرَدَ فِي حَقِّهِ مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا بِبُغْضِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَ هُوَ خَيْرٌ مَحْتَقٌ مَذْكُورٌ فِي الصَّحَاحِ .

فإن قلت يمنعك من هذا التأويل قوله و نقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه في غير موضعه و ذلك لأن إذا ظرف و العامل فيها قوله رجع قوم على الأعقاب و قد عطف عليه قوله و نقلوا البناء فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا في الظرف المذكور و هو وقت قبض الرسول و جب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في ذلك الوقت أيضا لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول ص البناء إلى معاويه عن أمير المؤمنين ع و إنما نقل عنه إلى شخص آخر و في إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحا.

قلت إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبي ص فقد قلنا بما يجب من وجود عامل في الظرف و لا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا أَتَيْنَا أَهْلَ قَوْمِهِ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَا أَنْ

ص: ١٣٥

بُضَّ يَفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ (١) فالعامل في الظرف إِسْتَتَعَمَّا و يجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلها لا محاله و لا يجب أن تكون جميع الأفعال المذكوره المعطوفه واقعه حال الإتيان أيضا ألا ترى أن من جملتها فأقامه و لم يكن إقامه الجدار حال إتيانهما القريه بل متراخيا عنه بزمان ما اللَّهُمَّ إِلَّا أن يقول قائل أشار بيده إلى الجدار فقام أو قال له قم فقام لأنه لا يمكن أن يجعل إقامه الجدار مقارنا للإتيان إلا على هذا الوجه و هذا لم يكن و لا قاله مفسر و لو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا لأن الأجر إنما يكون على احتمال عمل فيه مشقه و إنما يكون فيه مشقه إذا بناه بيده و باشره بجوارحه و أعضائه.

و اعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين ع على ما يقتضيه سؤده الجليل و منصبه العظيم و دينه القويم من الإغضاء عما سلف ممن سلف فقد كان صاحبهم بالمعروف برهه من الدهر فإما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعه أو لما رآه من المصلحه و على كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله و أقواله بالنسبه إليهم و بين أولها فإن بعد تأويل ما يتأوله من كلامه ليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد و العدل الآيات المتشابهه في القرآن و لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظه على الأصول المقرره فكذلك هاهنا

ص: ١٣٦

وَأَسَيِّعِيْنُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ وَ الإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُوْلُهُ وَ نَجِيْبُهُ وَ صِدْقُهُ لَا يُؤَاوِي فُضْلُهُ وَ لَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ وَ الْجَهَالَةِ الْعَالِيَةِ وَ الْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ وَ النَّاسُ يَسْتَحِلُّوْنَ الْحَرِيْمَ وَ يَسْتَدِلُّوْنَ الْحَكِيْمَ يَحْيُوْنَ عَلَى فِتْرِهِ وَ يَمُوْتُوْنَ عَلَى كَفْرِهِ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بِلَآئِيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَيِّكَرَاتِ النُّعْمَةِ وَ اخْذَرُوا بَوَاقِ النُّعْمَةِ وَ تَبَتُّوْا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَ اغْوَجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوْعِ جَنِيْنِهَا وَ ظُهُورِ كَمِيْنِهَا وَ انْتِصَابِ قُطْبِهَا وَ مَدَارِ رَحَاهَا تَبَدُّاً فِي مَدَارِجِ خَفِيَّتِهِ وَ تَنُوْلٍ إِلَى فِطَاعِهِ جَلِيَّتِهِ شَبَابِهَا كَشَابِ الْغَلَامِ وَ آثَارِهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ يَتَوَارِثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُوْدِ أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ وَ آخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ يَتَنَافَسُوْنَ فِي دُنْيَا دِيْنِهِ وَ يَتَكَالِبُوْنَ عَلَى جِيْفِهِ مُرِيْحِهِ وَ عَن قَلِيْلِ يَتَبَرَّأُ التَّابِعِ مِنَ الْمُسْبُوْعِ وَ الْقَائِدُ مِنَ الْمَقُوْدِ فَيَتَزَايِلُوْنَ بِالْبُغْضَاءِ وَ يَتَلَاعَنُوْنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوْفِ وَ الْقَاصِمَةُ الرَّحُوْفِ فَتَرِيْعُ قُلُوْبٌ بَعْدَ اسْتِقَامِهِ وَ تَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامِهِ وَ تَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُوْمِهَا وَ تَلْتَسِيسُ الْأَرَآءُ عِنْدَ نُجُوْمِهَا

مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصِيَّةً وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطْمَةً يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَ عَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ
تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ وَ تَنْطِقُ فِيهَا الظَّلْمَةَ وَ تَدُقُّ أَهْلَ الْيَدِوِ بِمِسِّ حَلِهَا وَ تَرْضُهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضَعُ فِي غُبَارِهَا الْوَحِيدَانَ وَ يَهْلِكُ فِي
طَرِيقِهَا الرُّكْبَانَ تَرْدُ بِمَرِّ الْقَضَاءِ وَ تَحْلُبُ عَيْبُ الدَّمَاءِ وَ تَتَلَمُّ مَنَارَ الدِّينِ وَ تَنْقُضُ عَقْمَدَ الْيَقِينِ يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُدَبِّرُهَا
الْأَرْجَاسُ مِرْعَادًا مِبْرَاقًا كَاشِفَهُ عَنِ سَاقِ تَقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامَ وَ يُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وَ طَاعِنُهَا مُقِيمٌ .

مداحر الشيطان

الأمور التي يدحر بها أى يطرد و يبعد دحرته أذحره دحورا قال تعالى دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ (١) و قال سبحانه أُخْرِجْ مِنْهَا
مَذْمُومًا مَدْحُورًا (٢) أى مقصى.

و مزاجره

الأمور يزجر بها جمع مزجر و مزجره و كثيرا ما يبنى ع من الأفعال مفعلا و مفعله و يجمعه و إذا تأملت كلامه عرفت ذلك .

و حبال الشيطان مكايده و أشراكه التي يضل بها البشر و مخاتله الأمور التي يختل بها بالكسر أى يخدع .

لا يؤازى فضله

لا يساوى و اللفظه مهموزه آزيت فلانا حاذيته و لا يجوز وازيته.

ص: ١٣٨

١-١) سورة الصافات ٩.

٢-٢) سورة الأعراف ١٨.

و لا يجبر فقده

لا يسد أحد مسده بعده و الجفوه الجافيه غلظ الطبع و بلاده الفهم .

و يستدلون الحكيم

يستتضمون العقلاء و اللام هاهنا للجنس كقوله **وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (١)** .

يحيون على فتره

على انقطاع الوحي ما بين نبوتين.

و يموتون على كفره

بالفتح واحد الكفريات كالضربه واحده الضربات .

و يروى ثم إنكم معشر الناس و الأغراض الأهداف و سكرات النعمه ما تحدثه النعم عند أربابها من الغفله المشابهه للسكر قال الشاعر خمس سكرات إذا منى المرء

و من كلام الحكماء للوالى سكره لا يفيق منها إلا بالعزل و البواق الدواهي جمع بائنه يقال باقتهم الداهيه بوقا أى أصابتهم و كذلك باقتهم بثوق على فعول و ابتاقت عليهم بائنه شر مثل انباحت أى انفتقت و انباق عليهم الدهر هجم بالداهيه كما يخرج الصوت من البوق و

١٩٦٧

فِي الْحَدِيثِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ.

أى غوائله و شره .

و القتام بفتح القاف الغبار و الأقتم الذى يعلوه قتمه و هو لون فيه غبره و حمرة.

و العشوه بكسر العين ركوب الأمر على غير بيان و وضوح و يروى و تبينوا فى قتام العشوه كما قرئ **إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا (٢)** و فتبثوا.

ص: ١٣٩

١-١) سورة الفجر ٢٢.

٢-٢) سورة الحجرات ٦.

أخذها في غير القصد و عدولها عن المنهج.

ثم كنى عن ظهور المستور المخفى منها بقوله عند طلوع جنينها و ظهور كمينها .

و الجنين الولد ما دام في البطن و الجمع أجنه و يجوز ألا يكون الكلام كناية بل صريحا أى عند طلوع ما استحن منها أى استتر و ظهور ما كمن أى ما بطن.

و كنى عن استحكام أمر الفتنة بقوله و انتصاب قطبها و مدار رحاها .

ثم قال إنها تبدو يسيره ثم تصير كثيره .

و الفضاءه مصدر فضع بالضم فهو فضيع أى شديد شنيع تجاوز المقدار و كذلك أفضع الرجل فهو مفضع و أفضع الرجل على ما لم يسم فاعله نزل به أمر عظيم و أفضعت الشيء و جدته فظيعا و مثله استفضتته و هذا المعنى كما قال الشاعر و لربما هاج الكبير و من الأمور لك الصغير.

و فى المثل و الشر تبدو صغاره و قال الشاعر فإن النار بالعودين تذكى و إن الحرب أولها كلام (١).

و قال أبو تمام رب قليل جدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير.

و قال أيضا لا تديلن صغير همك و انظر كم بدى الأسل دوحه من قضيب (٢).

قوله شبابها كشباب الغلام بالكسر مصدر شب الفرس و الغلام يشب و يشب شبابا و شيبا إذا قمص و لعب و أشبته أنا أى هيجهته.

(١-١) لنصر بن سيار، العقد لابن عبد ربّه ١١٠:٤.

(٢-٢) ديوانه ١٢٧:١. و الأثل: شجر معروف بعظمه، و الدوحه: الشجره العظيمه.

و السلام الحجارة جمع واحده سلمه بكسر اللام يذکر الفتنة و يقول إنها تبدو في أول الأمر و أربابها يمرحون و يشبون كما يشب الغلام و يمرح ثم تتول إلى أن تعقب فيهم آثارا كآثار الحجارة في الأبدان قال الشاعر و الحب مثل الحرب أولها

ثم ذكر أن هذه الفتنة يتوارثها قوم من قوم و كلهم ظالم أولهم يقود آخرهم كما يقود الإنسان القطار من الإبل و هو أمامها و هي تتبعه و آخرهم يقتدى بأولهم أى يفعل فعله و يحذو حذوه .

و جيفه مريحه منتنه أراحت ظهر ريحها و يجوز أن تكون من أراح البعير أى مات و قد جاء في أراح بمعنى أنتن راح بلا همز .
ثم ذكر تبرؤ التابع من المتبوع يعنى يوم القيامة .

فإن قلت إن الكتاب العزيز إنما ذكر تبرؤ المتبوع من التابع في قوله إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١) و هاهنا قد عكس ذلك فقال إن التابع يتبرأ من المتبوع قلت إنه قد ورد في الكتاب العزيز مثل ذلك في قوله أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢) قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا (٣) فقولهم لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا هو التبرؤ و هو قوله حكاية عنهم وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٤) و هذا هو التبرؤ.

ص: ١٤١

١-١) أم الربيق كناية عن الحرب.

٢-٢) سورة البقره ١٦٦.

٣-٣) سورة الأنعام ٢٣، ٢٢.

٤-٢) سورة البقره ١٦٦.

ثم ذكر ع أن القائد يتبرأ من المقود أى يتبرأ المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبرأ من صاحبه كما قال سبحانه ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا (١).

و يتزايلون يتفرقون .

قوله ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف طالعها مقدماتها و أوائلها و سماها رجوفا لشده الاضطراب فيها.

فإن قلت أ لم تكن قلت إن قوله عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع يعنى به يوم القيامة فكيف يقول ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة و هذا إنما يكون قبل القيامة قلت إنه لما ذكر تنافس الناس على الجيفه المنتته و هى الدنيا أراد أن يقول بعده بلا فصل ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف لكنه لما تعجب من تراحم الناس و تكالبهم على تلك الجيفه أراد أن يؤكد ذلك التعجب فأتى بجمله معترضه بين الكلامين تؤكد معنى تعجبه منهم فقال إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض و يلعن بعضهم بعضا و ذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون إلى أن يتركوا التكالب و التهارش على هذه الجيفه الخسيسه ثم عاد إلى نظام الكلام فقال ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف و مثل هذا الاعتراض فى الكلام كثير و خصوصا فى القرآن و قد ذكرنا منه فيما تقدم طرفا.

قوله و القاصمه الزحوف القاصمه الكاسره و سماها زحوفا تشبيها لمشيها قدما بمشى الدبى الذى يهلك الزروع و يببدها و الزحف السير على تؤده كسير الجيوش بعضها إلى بعض.

ص: ١٤٢

قوله و تزيغ قلوب أى تميل و هذه اللفظه و التى بعدها دالتان على خلاف ما تذهب إليه الإماميه من أن المؤمن لا يكفر و ناصران لمذهب أصحابنا .

و نجومها مصدر نجم الشر إذا ظهر .

من أشرف لها

من صادمها و قابلها و من سعى فيها أى فى تسكينها و إطفائها و هذا كله إشاره إلى الملمحه الكائنه فى آخر الزمان .

و التكادم التعاض بأدنى الفم كما يكدم الحمار و يقال كدم يكدم و المكدم المعض .

و العانه القطيع من حمر الوحش و الجمع عون .

تغيض فيها الحكمه

تنقض .

فإن قلت ليس قوله و تنطق فيها الظلمه واقعا فى نقيض قوله تغيض فيها الحكمه فأين هذا من الخطابه التى هو فيها نسيج وحده قلت بل المناقضه ظاهره لأن الحكمه إذا غاضت فيها لم ينطق بها أحد و لا بدّ من نطق ما فإذا لم تنطق الحكماء و جب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء فهو من الظلمه فقد ثبت التناقض .

و المسحل المبرد يقول تنحت أهل البدو و تسحتهم كما يسحت الحديد أو الخشب بالمبرد و أهل البدو أهل البادية و يجوز أن يريد بالمسحل الحلقة التى فى طرف شكيم اللجام المعترضه بإزاء حلقة أخرى فى الطرف الآخر و تدخل إحداهما فى الأخرى بمعنى أن هذه الفتنة تصدم أهل البدو بمقدّمه جيشها كما يصدم الفارس الراجل أمامه بمسحل لجام فرسه .

و الكلكل الصدر و ترضهم تدقهم دقا جريشا .

ص : ١٤٣

قوله تضيع فى غبارها الوجدان جمع واحد مثل شاب و شبان و راع و رعيان و يجوز الأحدان بالهمز أى من كان يسير وحده فإنه يهلك بالكليه فى غبارها و أما إذا كانوا جماعه ركباناً فإنهم يضلون و هو أقرب من الهلاك و يجوز أن يكون الوجدان جمع أوجد يقال فلان أوجد الدهر و هؤلاء الوجدان أو الأحدان مثل أسود و سودان أى يضل فى هذه الفتنة و ضلالها الذى كنى عنه بالغبار فضلاء عصرها و علماء عهدها لغموض الشبهه و استيلاء الباطل على أهل وقتها و يكون معنى الفقرة الثانيه على هذا التفسير أن الراكب الذى هو بمظنه النجاه لا ينجو و الركبان جمع راكب و لا يكون إلا إذا بعير قوله ترد بمر القضاء أى بالبوار و الهلاك و الاستئصال.

فإن قلت أ يجوز أن يقال للفتنة القبيحه إنها من القضاء.

قلت نعم لا بمعنى الخلق بل بمعنى الإعلام كما قال سبحانه وَ فَضَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ (١) أى أعلمناهم أى ترد هذه الفتنة بإعلام الله تعالى لمن يشاء إعلامه من المكلفين أنها أم اللهم (٢) التى لا تُبْقَىٰ وَ لَا تَدْرُ فذلك الإعلام هو المر الذى لا يبلغ الوصف مرارته لأن الأخبار عن حلول المكروه الذى لا مدفع عنه و لا محيص منه مر جدا .

قوله و تحلب عبيط الدماء أى هذه الفتنة يحلبها الحالب دما عبيطا و هذه كناية عن الحرب

١٩٤٨

وَ قَدْ قَالَ ع فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

أَمَا وَاللَّهِ لَيَحْلُبَنَّهَا دَمًا وَ لَيَتَّبَعَنَّهَا نَدْمًا . و العبيط الدم الطرى الخالص .

و تلمت الإناء أثلمه بالكسر .

و الأكياس العقلاء.

ص: ١٤٤

١-١) سورة الإسراء ٤.

٢-٢) أم اللهم: الداهيه.

و الأرجاس جمع رجس و هو القذر و النجس و المراد هاهنا الفاسقون فإما أن يكون على حذف المضاف أى و يدبرها ذوو الأرجاس أو أن يكون جعلهم الأرجاس أنفسهم لما كانوا قد أسرفوا فى الفسق فصاروا كأنهم الفسق و النجاسه نفسها (١) كما يقال رجل عدل و رجل رضا .

قوله مرعاد مبراق أى ذات وعيد و تهدد و يجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح و قعقعتة و بالبرق لونه و ضوءه .

و كاشفه عن ساق عن شده و مشقه .

قوله بريئها سقيم يمكن أن يعنى بها أنها لشدتها لا يكاد الذى يبرأ منها و ينفذ يده عنها يبرأ بالحقيقه بل لا بد أن يستثنى شيئاً من الفسق و الضلال أى لشدته التباس الأمر و اشتباه الحال على المكلفين حينئذ .

و يمكن أن يعنى به أن الهارب منها غير ناج بل لا بد أن يصيبه بعض معرفتها و مضرتها .

و ظاعنها مقيم

أى ما يفارق الإنسان من أذاها و شرها فكأنه غير مفارق له لأنه قد أبقى عنده ندوبا و عقابيل من شرورها و غوائلها منها بين قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَ خَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يَخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ وَ بَغُرُورِ الْإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتْنِ وَ أَعْلَامَ الْبِدْعِ

ص: ١٤٥

١ - ١ - ١) ساقط من ب.

وَالزُّمُومَا مَا عَقَدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَ لَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَ اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَ مَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَ لَا تَدْخُلُوا بُطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ وَ سَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

يقال طل دم فلان فهو مطلول أى مهدر لا يطلب به و يجوز أطل دمه و طله الله و أطله أهدره و لا يقال طل دم فلان بالفتح و أبو عبيده و الكسائى يقولانه .

و يختلون يخدعون بالإيمان التى يعقدونها و يقسمون بها و بالإيمان الذى يظهرونه و يقرون به .

ثم قال فلا تكونوا أنصار الفتن و أعلام البدع أى لا تكونوا ممن يشار إليكم فى البدع كما يشار إلى الأعلام المبنية القائمه و

١٩٦٩

جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ

كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرَ فَيْرُكَبَ وَ لَا ضَرْعَ فَيَحْلَبَ .

و هذه اللفظه يرويها كثير من الناس لأمر المؤمنين ع .

قوله و اقدموا على الله مظلومين

١٩٧٠

جَاءَ فِي الْخَبْرِ كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولِ .

و مدارج الشيطان جمع مدرجه و هى السبيل التى يدرج فيها و مهابط العدو محاله التى يهبط فيها .

و لعق الحرام جمع لعقه بالضم و هى اسم لما تأخذه الملققه و اللعقه بالفتح المره الواحده .

قوله فإنكم بعين من حرم يقال أنت بعين فلان أى أنت بمرأى منه و قد

١٩٧١

قَالَ ع فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِصِفِّينَ

فَإِنَّكُمْ بَعِينِ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ .

و هذا من باب الاستعاره قال سبحانه وَ لَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي (١) و قال تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا (٢)

١-١) سوره طه ٣٩.

٢-٢) سوره القمر ١٤.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدِ وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَهِ وَنَصْبِ السَّمِيعِ لَا بِأَدَاةِ وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلِهِ وَالشَّاهِدِ لَا بِمَمَاسِهِ وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافِهِ وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيِيهِ وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافِهِ بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا وَبَانَ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّرَهُ عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

أبحاث كلاميه

فى هذا الفصل أبحاث أولها فى وجوده تعالى و إثبات أن للعالم صناعا و هاتان طريقتان فى الدلاله على وجوده الأول سبحانه.

إحداهما الطريقتين المذكورين في هذا الفصل و هي طريقه المتكلمين و هي إثبات أن الأجسام محدثه و لا- بدّ للمحدث من محدث.

و الثانيه إثبات وجوده تعالى من النظر في نفس الوجود.

و ذلك لأن الوجود ينقسم بالاعتبار الأول إلى قسمين واجب و ممكن و كل ممكن لا- بدّ أن ينتهي إلى الواجب لأن طبيعته الممكن يمتنع من أن يستقل بنفسه في قوامه فلا بدّ من واجب يستند إليه و ذلك الواجب الوجود الضروري الذي لا بدّ منه هو الله تعالى .

و ثانيها إثبات أزليته و بيانه ما ذكره في هذا الفصل و هو أن العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهته و المحدث لا بدّ له من محدث فإن كان ذلك المحدث محدثا عاد القول فيه كالقول في الأول و يتسلسل فلا بدّ من محدث قديم و ذلك هو الله تعالى .

و ثالثها أنه لا شبيه له أي ليس بجسم كهذه الأجسام و بيانه ما ذكر أيضا أن مخلوقاته متشابهه يعنى بذلك ما يريد المتكلمون من قولهم الأجسام متماثله في الجسميه و أن نوع الجسميه واحد أي لا يخالف جسم جسم بذاته و إذا كانت متماثله صح على كل واحد منها ما صح على الآخر فلو كان له سبحانه شبيه منها أي لو كان جسما مثلها لوجب أن يكون محدثا كمثلها أو تكون قديمه مثله و كلا الأمرين محال .

و رابعها أن المشاعر لا تستلمه و روى لا تلمسه و المشاعر الحواس و بيانه أنه تعالى ليس بجسم لما سبق و ما ليس بجسم استحال أن تكون المشاعر لامسه له لأن إدراك المشاعر مدركاته مقصور على الأجسام و هيئاتها و الاستلام في اللغه لمس الحجر باليد و تقيله و لا يهمز لأن أصله من السلام و هي (1) الحجاره كما يقال استنوق الجمل و بعضهم يهمله

ص: ١٤٨

(١-١) ساقطه من د.

و خامسها أن السواتر لا- تحجبه و بيانه أن السواتر و الحجب إنما تحجب ما كان في جهه و ذلك لأنها ذوات أين و وضع فلا
نسبه لها إلى ما ليس من ذوات الأين و الوضع .

ثم قال ع لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ إِشَارَهُ إِلَى أَنَّ المصنوع من ذوات الجهه و الصانع منزه عن ذلك برىء عن المواد فلا يلزم
فيه ما يلزم في ذوات الماده و الجهه .

و سادسها معنى قولنا إنه أحد أنه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس أول العدد أحد و واحد بل المراد بأحديته كونه لا يقبل
التجزؤ و باعتبار آخر كونه لا ثانى له في الربوبيه .

و سابعها أنه خالق لا بمعنى الحركة و النصب و هو التعب و ذلك لأن الخالقين منا يحتاجون إلى الحركة من حيث كانوا أجساما
تفعل بالآلات و البارئ سبحانه ليس بجسم و لا يفعل بالآله بل كونه قادرا إنما هو لذاته المقدسه لا لأمر زائد عليها فلم يكن
فاعلا بالحركه .

و ثامنها أنه سمیع لا- بِمَادَاهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ حاجتنا إلى الحواس إنما كانت لأمر يخصنا و هو كوننا أحياء بحياه حاله في أبعاضنا و
البارئ تعالى حى لذاته فلم يحتج في كونه مدركا إلى الأداة و الجارحه .

و تاسعها أنه بصير لا بتفريق آله و المراد بتفريق الآله هاهنا الشعاع الذى باعتباره يكون الواحد منا مبصرا فإن القائلين بالشعاع
يقولون إنه يخرج من العين أجسام لطيفه هى الأشعه و تكون آله للحى فى إبصار المبصرات فيتفرق عليها فكل جسم يقع عليه
ذلك الشعاع يكون مبصرا و البارئ تعالى بصير لا بشعاع يجعله آله فى الإدراك و يتفرق على المرثيات

فيدركها به و ذلك لما قدمناه من أنه حي لذاته لا- بمعنى فلا- يحتاج إلى آله و أداه و وصله تكون كالواسطة بينه و بين المدركات .

و عاشرها أنه الشاهد لا بمماسه و ذلك لأن الشاهد منا هو الحاضر بجسمه عند المشهود ألا ترى أن من فى الصين لا يكون شاهدا من فى المغرب لأن الحضور الجسماني يفتقر إلى القرب و القرب من لوازم الجسميه فما ليس بجسم و هو عالم بكل شىء يكون شاهدا من غير قرب و لا مماسه و لا أين مطلوب .

و حادى عشرها أنه البائن لا بتراخى مسافه بينونه المفارق عن ماده بينونه ليست أئينه لأنه لا نسبه لأحدهما إلى الآخر بالجهه فلا جرم كان البارئ تعالى مبائنا عن العالم لا بمسافه بين الذاتين .

و ثانى عشرها أنه الظاهر لا- برؤيه و الباطن لا بلطافه و ذلك لأن الظاهر من الأجسام ما كان مرثيا بالبصر و الباطن منها ما كان لطيفا جدا إمّا لصغره أو لشفافيته و البارئ تعالى ظاهر للبصائر لا- للأبصار باطن أى غير مدرك بالحواس لأن ذاته لا تقبل المدركيه إلا من حيث كان لطيف الحجم أو شفاف الجرم .

و ثالث عشرها أنه قال بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها و بانت الأشياء منه (١) بالخضوع له و الرجوع إليه هذا هو معنى قول المتكلمين و الحكماء و الفرق بينه و بين الموجودات كلها أنه واجب الوجود لذاته و الأشياء كلها ممكنه الوجود (٢) بذواتها فكلها محتاجه إليه لأنها لا وجود لها إلا به و هذا هو معنى خضوعها له و رجوعها إليه و هو سبحانه غنى عن كل شىء و مؤثر فى كل شىء إمّا بنفسه أو بأن يكون مؤثرا فيما هو مؤثر فى ذلك الشىء كأفعالنا فإنه يؤثر فينا و نحن نؤثر فيها فإذا هو قاهر لكل شىء و قادر على كل شىء فهذه هى البينونه بينه و بين الأشياء كلها.

ص : ١٥٠

١-١ ج: «عنه».

٢-٢ ساقطه من د.

و رابع عشرها أنه لا صفه له زائده على ذاته و نعني بالصفه ذاتا موجوده قائمه بذاته و ذلك لأن من أثبت هذه الصفه له فقد حده و من حده فقد عده و من عده فقد أبطل أزله و هذا كلام غامض و تفسيره أن من أثبت له علما قديما أو قدره قديمه فقد أوجب أن يعلم بذلك العلم معلومات محدوده أى محصوره و كذلك قد أوجب أن يقدر بتلك القدره على مقدرات محدوده و هذه المقدمه فى كتب أصحابنا المتكلمين مما يذكرونه فى تقرير أن العلم الواحد لا يتعلق بمعلومات و أن القدره الواحده لا يمكن أن تتعلق فى الوقت الواحد من الجنس الواحد فى المحل الواحد إلا بجزء واحد و سواء فرض هذان المعنيان قديمين أو محدثين فإن هذا الحكم لازم لهما فقد ثبت أن من أثبت المعانى القديمه فقد أثبت البارئ تعالى محدود العالميه و القادريه و من قال بذلك فقد عده أى جعله من جملة الجئه المعدوده فيما بيننا كسائر البشر و الحيوانات و من قال بذلك فقد أبطل أزله لأن كل ذات مماثله لهذه الذوات المحدثه فإنها محدثه مثلها و المحدث لا يكون أزليا .

و خامس عشرها أن من قال كيف فقد استوصفه أى من قال لزيد كيف الله فقد استدعى أن يوصف الله بكيفيه من الكيفيات و البارئ تعالى لا تجوز الكيفيات عليه و الكيفيات هى الألوان و الطعوم و نحوها و الأشكال و المعانى و ما يجرى مجرى ذلك و كل هذا لا يجوز إلا على الأجسام.

فإن قلت ينبغى أن يقول فقد وصفه و لا يقال فقد استوصفه لأن السائل لم يستوصف الله و إنما استوصف صاحبه الذى سأله عن كيفيه الله.

قلت استوصف هاهنا بمعنى وصف كقولك استغنى زيد عن عمرو أى غنى عنه و استعلى عليه أى علا و مثله كثير .

و سادس عشرها أن من قال أين فقد حيزه لأن أين سؤال عن المكان و ليس الله تعالى فى مكان و يأتى أنه فى كل مكان بمعنى العلم و الإحاطه .

و سابع عشرها أنه عالم إذ لا معلوم و ربّ إذ لا مربوب و قادر إذ لا مقدور و كل هذا صحيح و مدلول عليه لأنه عالم فيما لم يزل و ليس شيء من الأشياء بموجود و هو ربّ كل شيء قبل أن يخلقه كما تقول أنه سميع بصير قبل أن يدرك المسموعات و المبصرات أي قبل أن يخلقها و قادر على الأشياء قبل كونها لأنه يستحيل حال كونها أن تكون مقدوره لاستحاله إيجاد الموجود.

و قد شرحنا كل هذه المسائل التوحيدية في كتبنا المصنفة في علم الكلام منها قد طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ وَ اعْتَدَلَ مَاثِلٌ وَ اسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا وَ انْتَبَهَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ وَ إِنَّمَا الْأَائِمَّةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَ اسْتَخَلَصَكُمْ لَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ اسْمَ سَيِّدِ أُمَّةٍ وَ جَمَاعٍ كَرَامَةٍ اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ وَ بَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَ بَاطِنِ حُكْمٍ لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَ مَصَابِيحُ الظُّلْمِ لَا تَفْتِيحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَ أَرْعَى مَرْعَاهُ فِيهِ شِفَاءُ [الْمُسْتَفِي]

الْمُسْتَفِي وَ كِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

هذه خطبه خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه .

قد طلع طالع

يعنى عود الخلافة إليه و كذلك قوله و لمع لامع و لاح لائح كل هذا يراد به معنى واحد.

و اعتدل مائل

إشاره إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج فى أواخر أيام عثمان و استبدل الله بعثمان و شيعته عليا و شيعته و بأيام ذاك أيام هذا .

ثم قال و انتظرنا الغَيْرَ انتظارَ الْمُجِيبِ الْمَطْرَ و هذا الكلام يدل على أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر و يرتقب حلول الخطوب بساحته ليلي الخلافة.

فإن قلت أليس هو الذى طلق الدنيا فأين هذا القول من طلاقها قلت إنه طلق الدنيا أن يقبل (١) منها حظا دنيويا و لم يطلقها أن ينهى فيها عن المنكرات التى أمره الله تعالى بالنهى عنها و يقيم فيها الدين الذى أمره الله بإقامته و لا سبيل له إلى النهى عن المنكر و الأمر بالمعروف إلا بولايه الخلافة

عقيدته على فى عثمان و رأى المعتزله فى ذلك

فإن قلت أيجوز على مذهب المعتزله أن يقال إنه ع كان ينتظر قتل عثمان انتظار المجدب المطر و هل هذا إلا محض مذهب الشيعة. قلت إنه ع لم يقل و انتظرنا قتله و إنما انتظر الغير فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه و عزله عن الخلافة فإن عليا ع عند أصحابنا كان يذهب إلى أن عثمان استحق الخلع بإحداثه و لم يستحق القتل و هذا الكلام إذا حمل على انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا.

ص: ١٥٣

١-١) د: «ينال».

فإن قلت أ تقول المعتزله إن عليا كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع قلت كلا حاش لله أن تقول المعتزله ذلك وإنما تقول إن عليا كان يرى أن عثمان يضعف عن تدبير الخلافة و أن أهله غلبوا عليه و استبدوا بالأمر دونه و استعجزه المسلمون و استسقطوا رأيه فصار حكمه حكم الإمام إذا عمى أو أسره العدو فإنه ينخلع من الإمامه .

ثم قال ع الأئمه قوام الله على خلقه أى يقومون بمصالحهم و قيم المنزل هو المدبر له .

قال و عرفاؤه على عباده جمع عريف و هو النقيب و الرئيس يقال عرف فلان بالضم عرافه بالفتح مثل خطب خطابه أى صار عريفا و إذا أردت أنه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافه بالكسر مثل كتب يكتب كتابه .

قال و لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه هذا إشاره إلى قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَناسٍ بِإِمامِهِمْ (١) قال المفسرون ينادى فى الموقف يا أتباع فلان و يا أصحاب فلان فينادى كل قوم باسم إمامهم يقول أمير المؤمنين ع لا- يدخل الجنة يومئذ إلا- من كان فى الدنيا عارفا بإمامه و من يعرفه إمامه فى الآخرة فإن الأئمه تعرف أتباعها يوم القيامة و إن لم يكونوا رأوهم فى الدنيا كما أن النبى ص يشهد (٢) للمسلمين و عليهم و إن لم يكن رأى أكثرهم قال سبحانه فَكَيْفَ إِذا جِئنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئنا بِكَ عَلَيَّ هؤُلاءِ شَهِيداً (٣) و

١٩٧٢

جاء فى الخبر

ص: ١٥٤

١- ١) سورة الإسراء ٧١.

٢- ٢) ب: «شهد».

٣- ٣) سورة النساء ٤١.

الْمَرْفُوعِ مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .

و أصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية و هي أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة أ لا ترى أنهم يقولون الأئمة بعد رسول الله ص فلان و فلان و يعدونهم واحدا واحدا فلو أن إنسانا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا و الفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا أعني من مات على فسقه فقد ثبت أن هذه القضية و هي قوله ع لا يدخل الجنة إلا من عرفهم قضية صحيحة على مذهب المعتزلة و ليس قوله و عرفوه بمنكر عند أصحابنا إذا فسرنا قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ على ما هو الأظهر و الأشهر من التفسيرات و هو ما ذكرناه.

و بقيت القضية الثانية ففيها الإشكال و هي قوله ع و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه و ذلك أن لقائل أن يقول قد يدخل النار من لم ينكرهم مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة إمامه القوم الذين يذهب أنهم أئمة عند المعتزلة ثم يزني أو يشرب الخمر من غير توبه فإنه يدخل النار و ليس بمنكر للأئمة فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية و بين الاعتزال فالجواب أن الواو في قوله و أنكروه بمعنى أو كما في قوله تعالى فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ (١) فالإنسان المفروض في السؤال و إن كان لا ينكر الأئمة إلا أنهم ينكرونه أى يسخطون يوم القيامة أفعاله يقال أنكرت فعل فلان أى كرهته فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا فأما الإمامية فإنهم يحملون ذلك على تأويل آخر و يفسرون قوله و لا يدخل النار فيقولون أراد و لا يدخل النار دخولا مؤبدا إلا من ينكرهم و ينكرونه.

ص: ١٥٥

ثم ذكر ع شرف الإسلام و قال إنه مشتق من السلامه و إنه جامع للكرامه و إن الله قد بين حججه أى الأدله على صحته .

ثم بين ما هذه الأدله فقال من ظاهر علم و باطن حكم أى حكمه من هاهنا للتبيين و التفسير كما تقول دفعت إليه سلاحا من سيف و رمح و سهم و يعنى بظاهر علم و باطن حكم و القرآن ألا تراه كيف أتى بعده بصفات و نعوت لا تكون إلا للقرآن من قوله لا- تفنى عزائمه أى آياته المحكمه و براهينه العازمه أى القاطعه و لا- تنقضى عجائبه لأنه مهما تأمله الإنسان استخراج منه بفكر غرائب عجائب لم تكن عنده من قبل .

فيه مرايب النعم

المرايب الأمطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سببا لظهور الكالأ و كذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدينيه و حصولها .

قوله قد أحمى حماه و أرعى مرعاه الضمير فى أحمى يرجع إلى الله تعالى أى قد أحمى الله حماه أى عرضه لأن يحمى كما تقول أقتلت الرجل أى عرضته لأن يقتل و أضرته أى عرضته لأن يضرب أى قد عرض الله تعالى حمى القرآن و محارمه لأن يجتنب و مكن منها و عرض مرعاه لأن يرعى أى مكن من الانتفاع بما فيه من الزواجر و المواعظ لأنه خاطبنا بلسانٍ عربىٍّ مبينٍ و لم يقنع ببيان ما لا نعلم إلا بالشرع حتى نبه فى أكثره على أدله العقل

ص: ١٥٦

وَهُوَ فِي مُهْلِهِ مِنَ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الْغَافِلِينَ وَ يَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

يصف إنسانا من أهل الضلال غير معين بل كما تقول رحم الله امرأ اتقى ربه و خاف ذنبه و بس الرجل رجل قل حياؤه و عدم وفاؤه و لست تعنى رجلا بعينه.

و يهوى يسقط و السبيل القاصد الطريق المؤديه إلى المطلوب.

و الإمام إميا الخليفه و إميا الأستاذ أو الدين أو الكتاب على كل من هؤلاء تطلق هذه اللفظه منها حتى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم و استخرجهم من جلايب غفلتهم استقبلوا مدبرا و استندبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما أدرؤوا من طليبتهم و لا بما قضاوا من وطيرهم

وَإِنِّي أَحَذَّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمُنزَلَةَ فَلْيَنْتَفِعْ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا
وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بَتَعَسُفٍ فِي حَقِّ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ أَوْ
تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّمِيعُ مِنْ سَيِّئَاتِكَ وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى
لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَضَعْ فُخْرَكَ وَ
أَحْطِطْ كِبْرَكَ وَادْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدِمُ عَلَيْهِ غَدًا فَاْمْهَدْ
لِقَدَمِكَ وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَيْرٍ (١).

فاعل كشف هو الله تعالى وقد كان سبق ذكره في الكلام وإنما كشف لهم عن جزاء معصيتهم بما أراهم حال الموت من
دلائل الشقوه و العذاب

١٩٧٣

فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبْرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ مَيِّتٌ حَتَّى يَرَى مَقَرَّهُ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ .

ولما انفتحت أعين أبصارهم عند مفارقه الدنيا سمي ذلك ع استخراجا لهم من جلايبب غفلتهم كأنهم كانوا من الغفله و
الذهول في لباس نزع عنهم .

قال استقبلوا مدبرا أى استقبلوا أمرا كان فى ظنهم و اعتقادهم مدبرا عنهم و هو الشقاء و العذاب و استدبروا مقبلا تركوا وراء
ظهورهم ما كانوا خولوه من الأولاد و الأموال و النعم و فى قوه هذا الكلام أن يقول عرفوا ما أنكروه و أنكروا ما عرفوه

ص: ١٥٨

(١ - ١) سورة الفاطر ١٤.

و روى أحذر كم و نفسى هذه المزله مفعله من الزلل و فى قوله و نفسى لطافه رشيقه و ذلك لأنه طيب قلوبهم بأن جعل نفسه شريكه لهم فى هذا التحذير ليكونوا إلى الانقياد أقرب و عن الإباء و النفرة أبعد بطريق جدد لاجب .

و المهاوى جمع مهواه و هى الهوه يتردى فيها .

و المغاوى جمع مغواه و هى الشبهه التى يغوى بها الناس أى يضلون .

يصف الأمور التى يعين بها الإنسان أرباب الضلال على نفسه و هى أن يتعسف فى حقّ يقوله أو يأمر به فإن الرفق أنجح و أن يحرف المنطق فإن الكذب لا يثمر خيرا و أن يتخوف من الصدق فى ذات الله قال سبحانه إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ (١) فدم من لا يصدق و يجاهد فى الحق .

قوله و اختصر من عجلتك أى لا تكن عجلتك كثيره بل إذا كانت لك عجله فلتكن شيئا يسيرا .

و تقول أنعمت النظر فى كذا أى دققته من قولك أنعمت سحق الحجر و قيل إنه مقلوب أمعن .

و النبىّ الأمى إما الذى لا- يحسن الكتابه أو المنسوب إلى أم القرى و هى مكّه . و لا- محيص عنه لا مفر و لا مهرب حاص أى تخلص من أمر كان شب فيه .

قوله فإن عليه ممر ك أى ليس القبر بدار مقام و إنّما هو ممر و طريق إلى الآخره .

ص : ١٥٩

□
أى كما تجازى غيرك تجازى بفعلك و بحسب ما عملت و منه قوله سبحانه إِنَّا لَمَدِينُونَ (١) أى مجزيون و منه الديان فى صفه الله تعالى .

قوله و كما تزرع تحصد معنى قد قاله الناس بعده كثيرا قال الشاعر إذا أنت لم تزرع و أدركت حاصدا ندمت على التقصير فى زمن البذر.

و من أمثالهم من زرع شرا حصد ندما .

□
فامهد لنفسك أى سو و وطئ . وَ لَا يَتَّبِعُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (٢) من القرآن العزيز أى و لا يخبرك بالأمر أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثَبِّبُ وَ يُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى وَ يَسْخَطُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا وَ إِنِ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَأَقِيًّا رَبَّهُ بِخَصِيْلِهِ مِنْ هَيْدِهِ الْخَصِيَالِ لَمْ يَثْبُتْ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفَى غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ أَوْ يَعْرِى بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ أَوْ يَشْتَتِجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بَدْعِهِ فِي دِينِهِ أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ أَوْ يَمِشَى فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ اعْتَقَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ إِنَّ الْبُهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا وَ إِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعِيدُونَ عَلَى غَيْرِهَا وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْفُسَادُ فِيهَا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَكِينُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

ص : ١٦٠

١-١) سورة الصافات ٥٣.

٢-٢) سورة فاطر ١٤.

هى موجباته و الأمر المقطوع عليه الذى لا- ريب فيه و لا- شبهه قال ع إن من الأمور التى نص الله تعالى عليها نصا لا يحتمل التأويل و هى من العزائم التى يقطع بها و لا رجوع فيها و لا نسخ لها أن من مات و هو على ذنب من هذه الذنوب (١) المذكوره و لو اكتفى بذلك ع لأغناه عن قوله لم يتب إلا- أنه ذكر ذلك تأكيدا و زياده فى الإيضاح (٢) فإنه لا ينفعه فعل شىء من الأفعال الحسنه و لا الواجبه و لا تفيده العباده و لو أجهد نفسه فيها بل يكون من أهل النار و الذنوب المذكوره هى أن يتخذ مع الله إلهاً آخر فيشركه فى العباده أو يقتل إنسانا بغير حق بل ليشفى غيظه أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو.

عره بكذا يعره عرا أى عابه و لطحه أو يروم بلوغ حاجه من أحد بإظهار بدعه فى الدين كما يفعل أكثر الناس فى زماننا أو يكون ذا وجهين و هو أيضا قوله أو يمشى فيهم بلسانين و إنما أعاده تأكيدا.

١٩٧٤

لَمَّا نَصَبَ مُعَاوِيَةَ ابْنَهُ يَزِيدَ لِبَوْلَايِهِ الْعَهْدِ أَعَدَّهُ فِي قُبَّةِ حَمْرَاءَ وَ أَدْخَلَ النَّاسَ يُسَلِّمُونَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ يَمِيلُونَ إِلَى قُبَّةِ يَزِيدَ فَيَسَلُّمُونَ عَلَيْهِ بِبَوْلَايِهِ الْعَهْدِ حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُؤَلِّ هَذَا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ لَأَضَعْتَهَا وَ كَانَ الْأَخْنَفُ جَالِسًا فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا بِأَلْكَ لَا تَقُولُ يَا أَبَا بَحْرٍ قَالَ أَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْتُكَ وَ أَخَافُكَ إِنْ صَدَقْتُكَ فَمَاذَا أَقُولُ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الطَّاعَةِ خَيْرًا وَ أَمْرٌ لَهُ بِصِدْقِهِ جَزِيلٌ فَلَمَّا خَرَجَ لِقَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْبَابِ فَقَالَ يَا أَبَا بَحْرٍ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الرَّجُلُ وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ

ص: ١٦١

١-١) ساقطه من ب.

٢-٢) ج: «زياده الإيضاح».

قَدْ اسْتَيْتَوْتُوا مِنْ هَيْدِهِ الْمَأْمُولِ بِالْمَأْبُوبِ وَالْأَقْفَالِ فَلَسْنَا نَطْمَعُ فِي اسْتِخْرَاجِهَا إِلَّا بِمَا سَجِعْتَ فَقَالَ يَا هَيْدَا أُمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّ ذَا
الْوَجْهَيْنِ خَلِيقٌ إِلَّا يَكُونُ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ غَدًا .

ثم أمرع بأن يعقل ما قاله و يعلم باطن خطابه و إنما رمز باطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل لأنهم حاولوا أن يشفوا
غِيظهم بإهلا-كه و إهلا-ك غيره من المسلمين و عروه (1) ع بأمرهم فعلوه و هو التأليب على عثمان و حصره و استنجحوا
حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعه و الفتنة و لقوا الناس بوجهين و لسانين لأنهم بايعوه و أظهروا الرضا به ثم دبوا له الخمر
(2) فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في أنها لا تغفر إلا بالتوبه و هذا هو معنى قوله اعقل ذلك فإن المثل دليل
على شبهه و روى فإن المثل واحد الأمثال أى هذا الحكم بعدم المغفره لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام و الواحد منها دليل
على ما يماثله و يشابهه.

فإن قلت فهذا تصريح بمذهب الإماميه فى طلحه و الزبير و عائشه. قلت كلا فإن هذه الخطبه خطب بها و هو سائر إلى البصره و
لم تقع الحرب إلا- بعد تعدد الكبائر و رمز فيها إلى المذكورين و قال إن لم يتوبوا و قد ثبت أنهم تابوا و الأخبار عنهم بالتوبه
كثيره مستفيضه .

ثم أراد ع أن يومئ إلى ذكر النساء للحال التى كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بامرأه فذكر قبل ذكر النساء أنواعا من الحيوان
تمهيدا لقاعده ذكر النساء فقال إن البهائم همها بطونها كالحمير و البقر و الإبل و الغنم و إن السباع همها العدوان

ص: ١٦٢

١- ١) عروه: سبوه.

٢- ٢) أخطر القوم؛ إذا تواروا بالخمير؛ و يقال للرجل إذا ختل صاحبه: هو يدب له الضراء و يمشى له الخمر.

على غيرها

كالأسود الضاربه و النمر و الفهود و البزاه و الصقور ثم قال و إن النساء همهن زينه الحياه الدنيا و الفساد فيها .

١٩٧٥

نَظَرَ حَكِيمٌ إِلَى امْرَأَةٍ مَّضْلُوبَةٍ عَلَى شَجَرِهِ فَقَالَ لَيْتَ كُلَّ شَجَرَةٍ تَحْمِلُ مِثْلَ هَذِهِ الثَّمَرَةِ.

١٩٧٦

وَمَرَّتْ امْرَأَةٌ بِسِقْرَاطَ وَ هُوَ يَتَشَرَّقُ فِي الشَّمْسِ فَقَالَتْ مَا أَفْبَحَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فَقَالَ لَوْ أَنَّكَ مِنَ الْمَرَائِي الصَّدِيدَةِ لَعَمِنِي مَا بَانَ مِنْ قُبْحِ صُورَتِي فَيَكُنُّ.

١٩٧٧

وَرَأَى حَكِيمٌ امْرَأَةً تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ فَقَالَ سَهْمٌ يُسْقَى سَمًّا لِيُزِمِي بِهِ يَوْمًا مَا.

١٩٧٨

وَرَأَى بَعْضُهُمْ جَارِيَةً تَحْمِلُ نَارًا فَقَالَ نَارٌ عَلَى نَارٍ وَ الْحَامِلُ شَرٌّ مِنَ الْمَحْمُولِ.

١٩٧٩

وَقِيلَ لِسِقْرَاطَ أَيُّ السَّبَاعِ أَحْسَنُ قَالَ الْمَرْأَةُ.

١٩٨٠

وَ تَزَوَّجَ بَعْضُهُمْ امْرَأَةً نَحِيفَةً فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ اخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْلَهُ.

١٩٨١

وَرَأَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ امْرَأَةً غَرِيبَةً قَدْ اخْتَمَلَهَا السَّيْلُ فَقَالَ زَادَتْ الْكَدْرُ كَدْرًا وَ الشَّرُّ بِالشَّرِّ يَهْلِكُ .

ثم ذكر ع خصائص المؤمن فقال إن المؤمنين مستكينون استكان الرجل أى خضع و ذل .

إن المؤمنين مشفقون

التقوى رأس الإيمان كما ورد فى الخبر .

ثم قال إن المؤمنين خائفون هو الأول و إنما أكده و التأكيد مطلوب في باب الخطاب

ص: ١٦٣

وَ نَاطِرٌ قَلْبِ اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ وَ يَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدُهُ دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعَى فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَ اتَّبِعُوا الرَّاعِيَ .

يقول إن قلب الليب له عين يبصر بها غايته التي يجرى إليها و يعرف من أحواله المستقبله ما كان مرتفعا أو منخفضا ساقطا و النجد المرتفع من الأرض و منه قولهم للعالم بالأمور طلاع أنجد .

ثم قال داع دعا موضع داع رفع لأنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فى الوجود داع دعا و راع رعى و يعنى بالداعى رسول الله ص و بالراعى نفسه ع فَمَدَّ خِمَاضُوا بِحَارِ الْفِتَنِ وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ وَ أَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ نَحْنُ الشُّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَمِيَ سَارِقًا .

هذا كلام متصل بكلام لم يحكه الرضى رحمه الله و هو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ في ذمهم و نعى عليهم عيوبهم .

و أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ

أى انقبضوا و المضارع يَأْرِزُ بِالْكَسْرِ أَرَزَا و أَرُوزَا و رَجُلٌ أَرُوزٌ أَى مَنْقَبُضٌ و

١٩٨٢

فِي الْحَدِيثِ إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا (١) .

أى ينضم إليها و يجتمع .

ثم قال نحن الشعار و الأصحاب يشير إلى نفسه و هو أبدا يأتي بلفظ الجمع و مراده الواحد.

و الشعار ما يلي الجسد من الثياب فهو أقرب من سائرها إليه و مراده الاختصاص برسول الله ص . و الخزنه و الأبواب يمكن أن يعنى به خزنه العلم و أبواب العلم

١٩٨٣

لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ .

١٩٨٤

وَ قَوْلُهُ فِيهِ خَازِنٌ عِلْمِي .

١٩٨٥

وَ قَالَ تَارَةً أُخْرَى عَيْبُهُ عِلْمِي .

و يمكن أن يريد خزنه الجنة و أبواب الجنة أى لا يدخل الجنة إلا من وافى بولايتنا فقد جاء فى حقه الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار و الجنة و ذكر أبو عبيد الهروى فى الجمع بين الغريبين أن قوما من أئمة العربية فسروه فقالوا لأنه لما كان محبه من أهل الجنة و مبغضه من أهل النار كأنه بهذا الاعتبار قسيم النار و الجنة قال أبو عبيد و قال غير هؤلاء بل هو قسيمها بنفسه فى الحقيقة يدخل قوما إلى الجنة و قوما إلى النار و هذا الذى ذكره أبو عبيد أخيرا هو ما يطابق

١٩٨٦

١- الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهِ يَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِي فَدَعِيهِ وَ هَذَا لَكَ فَخُذِيهِ .

ثم ذكر أن البيوت لا تؤتى إلا من أبوابها قال الله تعالى وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

ص: ١٦٥

١-١) النهاية لابن الأثير ١:٢٤.

الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (١).

ثم قال من أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً وهذا حق ظاهر و باطناً أما الظاهر فلأن من يتسور البيوت من غير أبوابها هو السارق و أما الباطن فلأن من طلب العلم من غير أستاذ محقق فلم يأت من بابه فهو أشبه شيء بالسارق

ذكر الأحاديث و الأخبار الواردة في فضائل علي

و اعلم أن أمير المؤمنين ع لو فخر بنفسه و بالغ في تعديد مناقبه و فضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها و اختصه بها و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ص في أمره و لست أعنى بذلك الأخبار العامّة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته كخبر الغدير و المنزلة و قصه براءة و خبر المناجاة و قصه خيبر و خبر الدار بمكة في ابتداء الدعوه و نحو ذلك بل الأخبار الخاصّة التي رواها فيه أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره و أنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الذين لا يهتمون فيه و جلهم قائلون بتفضيل غيره عليه فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجبه روايه غيرهم.

١٩٨٧

الْخَبْرُ الْأَوَّلُ - يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا هِيَ زِينَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا جَعَلَكَ لَا تَرُزَأُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً (٢) وَ لَا تَرُزَأُ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئاً وَ وَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَسَاكِينِ فَجَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ أَتْبَاعاً وَ يَرْضُونَ بِكَ إِمَاماً

ص: ١٦٦

١-١) سورة البقره ١٧٧.

٢-٢) ترزأ: تأخذ.

رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِحَلِيهِ الْأَوْلِيَاءِ * وَزَادَ فِيهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْمُسْنَدِ فَطَوَّبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَقَ فِيكَ وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَبَ فِيكَ.

١٩٨٨

١٤,١- الْخَبْرُ الثَّانِي - قَالَ لَوْ فِدِ ثَقِيفٍ لَتَسْلِمَنَّ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنِّي أَوْ قَالَ عَدِيلَ نَفْسِي فَلْيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ وَلَيْسَبِينَ ذَرَارِيَكُمْ وَ لِيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ قَالَ عُمَرُ فَمَا تَمَنَيْتَ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَ جَعَلْتَ أَنْصَبَ لَهُ صَدْرِي رَجَاءً أَنْ يَقُولَ هُوَ هَذَا فَالْتَفَتَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَ قَالَ هُوَ هَذَا مَرَّتَيْنِ

١٩٨٩

١٤,١- رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ وَ رَوَاهُ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع أَنَّهُ قَالَ لَتَنْتَهَنَّ يَا بَنِي وَلِيَعَهُ (١) أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يَمْضِي فِيكُمْ أَمْرِي يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَ يَسْبِي الذَّرِيَّةَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا بَرْدٌ كَفَّ عُمَرَ فِي حُجْرَتِي (٢) مِنْ خَلْفِي يَقُولُ مَنْ تَرَاهُ يَعْنِي فَقُلْتُ إِنَّهُ لَا يَعْنِيكَ وَ إِنَّمَا يَعْنِي خَاصِمَ النَّعْلِ وَ إِنَّهُ قَالَ هُوَ هَذَا .

١٩٩٠

الْخَبْرُ الثَّلَاثُ - إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيَّ فِي عَلِيٍّ عَهْدًا فَقُلْتُ يَا رَبِّ بَيْنَهُ لِي قَالَ اسْمِعْ إِنَّ عَلِيًّا رَأِيَهُ الْهُدَى وَ إِمَامٌ أَوْلِيَائِي وَ نُورٌ مِنْ أَطَاعَنِي وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَعِينِينَ مِنْ أَحَبَّهُ فَصَدَّ أَحْبَبَنِي وَ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي فَبَشَّرُهُ بِذَلِكَ فَقُلْتُ قَدْ بَشَّرْتُهُ يَا رَبِّ فَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ فِي قَبْضَتِهِ فَإِنْ يُعَذِّبَنِي فَبِدُنُوبِي لَمْ يَطْلِمَ شَيْئًا وَ إِنْ يَتِمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَهُوَ أَوْلَى وَ قَدْ دَعَوْتُ لَهُ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْلُ قَلْبَهُ وَ اجْعَلْ رِبِيْعَهُ الْإِيْمَانَ بِكَ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَيْرَ أَنِّي مُخْتَصِّصُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ لَمْ أَخْتَصِّ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي فَقُلْتُ رَبِّ أَحِي وَ صَاحِبِي قَالَ إِنَّهُ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ لِمُبْتَلٍ وَ مُبْتَلَى

ص: ١٦٧

١- (١) بنو وليعه:حي في كنده.

٢- (٢) الحجزه:موضع الإزار.

ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ

١٩٩١

ثُمَّ رَوَاهُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ بَلْفِظٍ آخَرَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَهَدَ فِي عَلِيِّ إِلَىٰ عَهْدًا أَنَّهُ رَأَيْهُ الْهُدَىٰ وَ مَنَارُ الْإِيمَانِ وَ إِمَامُ أَوْلِيَائِي وَ نُورُ جَمِيعٍ مَنْ أَطَاعَنِي إِنَّ عَلِيًّا أَمِينِي غَدًا فِي الْقِيَامَةِ وَ صَاحِبُ رَأْيِي بِيَدِ عَلِيٍّ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ رَحْمَةِ رَبِّي.

١٩٩٢

الْخَبْرُ الرَّابِعُ - مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ نُوحٍ فِي عَزْمِهِ وَ إِلَىٰ آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ وَ إِلَىٰ مُوسَىٰ فِي فِطْنَتِهِ وَ إِلَىٰ عِيسَىٰ فِي زُهْدِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَبْلٍ فِي الْمُسْنَدِ وَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الْبَيْهَقِيُّ فِي صَحِيحِهِ

١٩٩٣

الْخَبْرُ الْخَامِسُ - مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَ يَمُوتَ مَيَّتِي وَ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيَّةِ مِنَ الْيَاقُوتَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا كُونِي فَكَانَتْ فَلْيَتَمَسَّكَ بِوَلَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَبْلٍ فِي الْمُسْنَدِ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ حِكَايَةِ لَفْظِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيَّةِ الْأَحْمَرِ الَّتِي غَرَسَهُ اللَّهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَمِينِهِ فَلْيَتَمَسَّكَ بِحُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

١٩٩٤

الْخَبْرُ السَّادِسُ - وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ تَقُولَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي فِيكَ مَا قَالَتِ النَّصَارَىٰ فِي ابْنِ مَرْيَمَ لَقُلْتُ الْيَوْمَ فِيكَ مَقَالًا لَا نَمْرُ [تَمْرُ]

بِمَلَأَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ لِلْبَرَكَهَةِ ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَبْلٍ فِي الْمُسْنَدِ

١٩٩٥

١٤,١- الْخَبْرُ السَّابِعُ - خَرَجَ صَ عَلَى الْحَجِيجِ عَشِيَّتَهُ عَرَفَهُ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

ص: ١٦٨

بِأَهْلِ بَيْتِكُمْ الْمَلَائِكَةَ عِيَامَهُ وَغَفَرَ لَكُمْ عِيَامَهُ وَبِأَهْلِ بَيْتِكُمْ خَاصَّةً وَغَفَرَ لَهُ خَاصَّةً إِنَّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلًا غَيْرَ مُحَابٍ فِيهِ لِقَرَابَتِي إِنْ
السَّعِيدَ كُلَّ السَّعِيدِ حَقَّ السَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ وَبَعِيدَ مَوْتِهِ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع وَ
فِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا .

١٩٩٦

الْخَبْرُ الثَّامِنُ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْكِتَابَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فِي
ظِلِّهِ ثُمَّ أُكْسَى حُلَّهُ ثُمَّ يُدْعَى بِالنَّبِيِّينَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ فَيَقُومُونَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَيُكْسُونَ حُلَلًا ثُمَّ يُدْعَى بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ لِقَرَابَتِهِ مَنِيَّ وَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدِي وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ لَوَائِي لَوَاءُ الْحَمِيدِ آدَمَ وَ مَنْ دُونَهُ تَحْتَ ذَلِكَ الْوَاءِ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ فَتَسَبَّرْ بِهِ حَتَّى
تَقِفَ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ثُمَّ تُكْسَى حُلَّهُ وَ يُنَادَى مُنَادٍ مِنَ الْعَرْشِ نَعْمَ الْعَبْدُ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ وَ نَعْمَ الْأَخُ أَخُوكَ عَلِيُّ أَبُو بَشِيرٍ
فَإِنَّكَ تُدْعَى إِذَا دُعِيَتْ وَ تُكْسَى إِذَا كُسِيَتْ وَ تُحْيَا إِذَا حُيِّتُ .

١٩٩٧

١٤,١- الْخَبْرُ الثَّاسِعُ - يَا أَنَسُ اسْكُبْ لِي وَضُوءًا ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ
سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ يَعْسُوبُ الدِّينِ وَ خَاتَمُ الْوَصِيَّيْنَ وَ قَاتِلُ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ قَالَ أَنَسٌ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَ كَتَبْتُ
دَعْوَتِي فَجَاءَ عَلِيٌّ فَقَالَ صَ مِنْ جَاءَ يَا أَنَسُ فَقُلْتُ عَلِيٌّ فَقَامَ إِلَيْهِ مُسْتَبْشِرًا فَأَعْتَفَهُ ثُمَّ جَعَلَ يَمْسِجُ عِرْقَ وَجْهِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَ آلِكَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ الْيَوْمَ تَصْنَعُ بِي شَيْئًا مَا صَنَعْتَهُ بِي قَبْلُ قَالَ وَ مَا يَمْنَعُنِي وَ أَنْتَ تُؤَدِّي عَنِّي وَ تَسْمِعُهُمْ
صَوْتِي وَ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ .

ص: ١٦٩

١٤,١- الْخَبْرُ الْعَاشِرُ - أَدْعُوا لِي سَيِّدِ الْعَرَبِ عَلِيًّا فَقَالَتْ عَائِشَةُ أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ فَقَالَ أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ فَلَمَّا حِيَاءَ أَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَاتَّوَهُ فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَيْدَاءَ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذَا عَلِيٌّ فَأَحْبُّهُ بِحُبِّي وَ أَكْرَمُوهُ بِكَرَامَتِي فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ أَمَرَنِي بِالَّذِي قُلْتُ لَكُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ

١٤,١- الْخَبْرُ الْحَادِي عَشَرَ - مَرَحِبًا بِسَيِّدِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ لِعَلِيٍّ عَ كَيْفَ شُكْرُكَ فَقَالَ أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَيَّ مَا آتَانِي وَ أَسْأَلُهُ الشُّكْرَ عَلَيَّ مَا أَوْلَانِي وَ أَنْ يَزِيدَنِي مِمَّا أَعْطَانِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْحِلْيَةِ أَيْضًا .

الْخَبْرُ الثَّانِي عَشَرَ - مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَ يَمُوتَ مَمَاتِي وَ يَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنِ النَّبِيِّ غَرَسَهَا رَبِّي فَلْيُؤَالَ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي وَ لِيُؤَالَ وَلِيِّهِ وَ لِيُقْتَدَ بِأَلْمَائِهِ مِنْ بَعْدِي فَإِنَّهُمْ عَثَرْتِي خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي وَ رُزِقُوا فَهْمًا وَ عِلْمًا فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ مِنْ أُمَّتِي الْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِدْقِي لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْحِلْيَةِ أَيْضًا

١٤,١- الْخَبْرُ الثَّلَاثَ عَشَرَ - بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ وَ بَعَثَ عَلِيًّا عَ فِي سَرِيَّةٍ أُخْرَى وَ كِلَاهُمَا إِلَى الْيَمَنِ وَ قَالَ إِنْ اجْتَمَعْتُمَا فَعَلِيٌّ عَلَى النَّاسِ وَ إِنْ افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى جُنْدِهِ فَاجْتَمَعَا وَ أَعَارَا وَ سَبَّيَا نِسَاءً وَ أَخَذَا أَمْوَالًا وَ قَتَلَا نَاسًا وَ أَخَذَ عَلِيٌّ جَارِيَةً فَاحْتَصَبَهَا لِنَفْسِهِ فَقَالَ خَالِدٌ لِأَرْبَعِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ اسْبِقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ فَادْكُرُوا لَهُ كَذَا وَ اذْكُرُوا

لَهُ كَذَا لِأُمُورٍ عَدَدَهَا عَلَى عَلِيٍّ فَسَبَقُوا إِلَيْهِ فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنْ جَانِبِهِ فَقَالَ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَجَاءَ الْآخَرُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ فَقَالَ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَجَاءَ بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ ذَلِكَ فَأَخَذَ جَارِيَةً لِنَفْسِهِ فَعَضَبَ صَ حَتَّى أَحْمَرَ وَجْهَهُ وَقَالَ دَعُوا لِي عَلِيًّا يُكْرَرْهَا إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ حَظُّهُ فِي الْخُمْسِ أَكْثَرُ مِمَّا أَخَذَ وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَ رَوَاهُ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ وَ رَوَاهُ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ

٢٠٠٢

الْخَبْرُ الرَّابِعُ عَشَرَ - كُنْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ فِيهِ وَ جَعَلَهُ جُزْءَيْنِ فَجُزْءُ أَنَا وَ جُزْءُ عَلِيٍّ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ وَ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع وَ ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ الْفِرْدَوْسِ وَ زَادَ فِيهِ ثُمَّ انْتَقَلْنَا حَتَّى صِرْنَا فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَكَانَ لِي التُّبُوَّةُ وَ لِعَلِيِّ الوَصِيَّةُ.

٢٠٠٣

١٤,١- الْخَبْرُ الْخَامِسُ عَشَرَ -النَّظْرُ إِلَى وَجْهِكَ يَا عَلِيُّ عِبَادَةَ أَنْتَ سَيِّدٌ فِي الدُّنْيَا وَ سَيِّدٌ فِي الْآخِرَةِ مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي وَ حَبِيبِي حَبِيبُ اللَّهِ وَ عِدُّوكَ عِدُّوِي وَ عِدُّوِي عِدُّوُ اللَّهِ الْوَيْلُ لِمَنْ أَبْغَضَكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ قَالَ وَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُفَسِّرُهُ وَ يَقُولُ إِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَغْلَمَ هَذَا الْفَتَى سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشْجَعَ هَذَا الْفَتَى سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَفْصَحَ هَذَا الْفَتَى .

ص: ١٧١

١٤,١- الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ - لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ بَدْرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ يَشْتَقِي لَنَا مَاءً فَأَحْجَمَ النَّاسُ فَقَامَ عَلِيٌّ فَاحْتَضَنَ قَرْبَهُ ثُمَّ أَتَى بِنْرًا بَعِيدَةً الْقَعْرِ مُظْلَمَةً فَأَنحَدَرَ فِيهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ إِسْرَافِيلَ أَنْ تَأْتَهُبُوا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ وَ أَخِيهِ وَ حِزْبِهِ فَهَبُّوا مِنَ السَّمَاءِ لَهُمْ لَعَطٌ يُذْعَرُ مَنْ يَسْمَعُهُ فَلَمَّا حَاذُوا الْبُرَّ سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ إِكْرَامًا لَهُ وَ إِجْلَالًا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع .

وَ زَادَ فِيهِ فِي طَرِيْقِ أُخْرَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لَتَوْتِيَنِّي يَا عَلِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاقِهِ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ فَتَرَكْبُهَا وَ رُكْبَتِكَ مَعَ رُكْبَتِي وَ فَخِذِكَ مَعَ فَخِذِي حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ .

الْحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرَ - خَطَبَ ص يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ قَدَّمُوا قُرَيْشًا وَ لَا تَقَدِّمُوهَا وَ تَعَلَّمُوا مِنْهَا وَ لَا تَعَلَّمُوهَا قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ أَمَانَهُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحُبِّ ذِي قُرْبَاهَا أَحْيَى وَ ابْنِ عَمِّي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَ لَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَ مَنْ أَبْغَضَنِي عَدَّيْبَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ رَوَاهُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع

الْحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ - الصَّدِّيقُونَ ثَلَاثَةٌ حَبِيبُ النَّجَارِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ يَشِيْعِي وَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ أَفْضَلُهُمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ع

الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ - أُعْطِيْتُ فِي عَلِيٍّ حَمْسًا هُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا أَمَا وَاحِدَةٌ فَهِيَ كَابٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ وَ أَمَا الثَّانِيَةُ

فَلَوَاءَ الْحَمْدُ بِيَدِهِ آدَمُ وَمَنْ وَلَمَدَ تَحْتَهُ وَ أَمَّا الثَّالِثَةُ فَوَاقِفٌ عَلَى عُمْرٍ (١) حَوْضَةٍ يَسْتَقِيمِي مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِي وَ أَمَّا الرَّابِعَةُ فَسَيَاتِرُ عَوْرَتِي وَ مُسَيِّمِي إِلَى رَبِّي وَ أَمَّا الْخَامِسَةُ فَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ كَافِرًا بَعِيدَ إِيمَانٍ وَ لَا زَانِيًا بَعْدَ إِحْصَانٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الْفَضَائِلِ

٢٠٠٩

١٤,١- الْحَدِيثُ الْعِشْرُونَ - كَانَتْ لِحَمِيَاةِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَبُوَابُ شَارِعَهُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ص فَقَالَ ع يَوْمًا سِيدُوا كُلَّ بَابٍ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا- بَابَ عَلِيٍّ فَسَيِدْتُ فَقَالَ فِي ذَلِكَ قَوْمٌ حَتَّى بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ إِنَّ قَوْمًا قَالُوا فِي سِيَدِّ الْأَبْوَابِ وَ تَرْكِي بَابَ عَلِيٍّ إِنِّي مَا سَدَدْتُ وَ لَا فَتَحْتُ وَ لَكِنِّي أَمَرْتُ بِأَمْرِ فَاتَّبَعْتُهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ مِرَارًا وَ فِي كِتَابِ الْفَضَائِلِ

٢٠١٠

١٤,١- الْحَدِيثُ الْخِزَادِي وَ الْعِشْرُونَ - دَعَا ص عَلِيًّا فِي غَزَاهِ الطَّائِفِ فَانْتَجَاهُ وَ أَطَالَ نَجْوَاهُ حَتَّى كَرِهَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ذَلِكَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَقَدْ أَطَالَ الْيَوْمَ نَجْوَى ابْنِ عَمِّهِ فَبَلَغَهُ ع ذَلِكَ فَجَمَعَ مِنْهُمْ قَوْمًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ قَائِلًا قَالَ لَقَدْ أَطَالَ الْيَوْمَ نَجْوَى ابْنِ عَمِّهِ أَمَّا إِنِّي مَا انْتَجَيْتُهُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ انْتَجَاهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمُسْنَدِ

٢٠١١

الْحَدِيثُ الثَّانِي وَ الْعِشْرُونَ - أَخْصِمُكَ (٢) يَا عَلِيُّ بِالْتُبُوهِ فَلَا تُبُوهُ بَعْدِي وَ تَخْصِمُ النَّاسَ بِسَبْعٍ لَا يُجَاهِدُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتَ أَوْلَهُمْ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَ أَوْفَاهُمْ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَقْوَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَ أَفْسَمُهُمْ بِالسَّوِيَةِ وَ أَعَدَلَهُمْ فِي الرَّعِيَةِ وَ أَبْصَرَهُمْ بِالْقَضِيَةِ وَ أَعْظَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَرْيَةَ

ص: ١٧٣

١- (١) العقر: مؤخر الحوض حيث يقف الإبل.

٢- (٢) أخصمك: أغلبك.

١٤،١،١٥- الْخَبْرُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ - قَالَتْ فَاطِمَةُ إِنَّكَ زَوَّجْتَنِي فَقِيرًا لَا مَالَ لَهُ فَقَالَ زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَهُمْ سَلْمًا وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَهُ فَاخْتَارَ مِنْهَا أَبَاكَ ثُمَّ أَطَّلَعَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْلَكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ .

١٤،١،١٥- الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - لَمَّا أُنْزِلَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ عٍ مِنْ غَزَاهُ حُنَيْنٍ جَعَلَ يُكْتَبُ مِنْ سُبْحَانَ اللَّهِ أَسْتَعْفِرُ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَيًّا وَعِدْتُ بِهِ جَاءَ الْفَتْحُ وَ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ مِنْكَ بِمَقَامِي لِقَدَمِكَ فِي الْإِسْلَامِ وَ قُرْبِكَ مِنِّي وَ صَهْرِكَ وَ عِنْدَكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بَلَاءِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدِي حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَأَنَا حَرِيصٌ عَلَى أَنْ أُرَاعِيَ ذَلِكَ لَوْلَدِهِ رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

و اعلم أنا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا لأن كثيرا من المنحرفين عنه ع إذا مروا على كلامه في نهج البلاغه و غيره المتضمن التحدث بنعمه الله عليه من اختصاص الرسول له ص و تميزه إياه عن غيره ينسبونه إلى التيه و الزهو و الفخر و لقد سبقهم بذلك قوم من الصحابه

١- قِيلَ لِعُمَرَ وَ لِعَلِيٍّ أَمْرَ الْجَيْشِ وَ الْحَرْبِ فَقَالَ هُوَ أَتْيَهُ مِنْ ذَلِكَ

١- وَ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مَا رَأَيْتُنَا أَزْهَى مِنْ عَلِيٍّ وَ أُسَامَةَ .

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله نحن الشعار و الأصحاب و نحن الخزنه و الأبواب أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول ص و أن من قيل

فى حقه ما قيل لو رقى إلى السماء و عرج فى الهواء و فخر على الملائكة و الأنبياء تعظما و تبجحا لم يكن ملوما بل كان بذلك جديرا فكيف و هوع لم يسلك قط مسلك التعظم و التكبر فى شىء من أقواله و لا- من أفعاله و كان أطف البشر خلقا و أكرمهم طبعاً و أشدهم تواضعا و أكثرهم احتمالا و أحسنهم بشرا و أطلقهم وجها حتى نسبة من نسبة إلى الدعابه و المزاح و هما خلقان ينافيان التكبر و الاستطاله و إنما كان يذكر أحيانا ما يذكره من هذا النوع نفثه مصدر و شكوى مكروب و تنفس مهموم و لا- يقصد به إذا ذكره إلا- شكر النعمه و تنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيله فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف و الحض على اعتقاد الحق و الصواب فى أمره و النهى عن المنكر الذى هو تقديم غيره عليه فى الفضل فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۚ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١) مِنْهَا فِيهِمْ كَرَاهِمُ الْإِيمَانِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا فَلْيَصُدُّوا رَأْدَ أَهْلِهِ وَ لِيُحْضِرْ عَقْلَهُ وَ لِيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصِيرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

ص: ١٧٥

(١-١) سورة يونس ٣٥.

إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرًا سَائِرًا هُوَ أَمْ رَاجِعٌ .

قوله فيهم يرجع إلى آل محمد ص الذين عناهم بقوله نحن الشعار و الأصحاب و هو يطلق دائما هذه الصيغ الجمعيه و يعنى نفسه و في القرآن كثير من ذلك نحو قوله تعالى الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١) .

و كرائم الإيمان جمع كريمه و هى المنفسات منه قال الشاعر ماض من العيش لو يفدى بذلت له كرائم المال من خيل و من نعم.

فإن قلت أ يكون فى الإيمان كرائم و غير كرائم قلت نعم لأن الإيمان عند أكثر أصحابنا اسم للطاعات كلها واجبها و نفلها فمن كانت نوافله أكثر كانت كرائم الإيمان عنده أكثر و من قام بالواجبات فقط من غير نوافل كان عنده الإيمان و لم يكن عنده كرائم الإيمان.

فإن قلت فعلى هذا تكون النوافل أكرم من الواجبات.

قلت هى أكرم منها باعتبار و الواجبات أكرم منها باعتبار آخر أما الأول فلأن صاحبها إذا كان قد قام بالواجبات كان أعلى مرتبه فى الجنه ممن اقتصر على الواجبات فقط و أما الثانى فلأن المخل بها لا يعاقب و المخل بالواجبات يعاقب .

قوله و هم كنوز الرحمن لأن الكثر مال يدخر لشديده أو ملمه تلم بالإنسان و كذلك هؤلاء قد ذكروا لإيضاح المشكلات الدينيه على المكلفين.

ص: ١٧٦

ثم قال إن نطقوا صدقوا وإن سكتوا لم يكن سكوتهم عن عى يوجب كونهم مسبقين لكنهم ينطقون حكما و يصمتون حلما .

ثم أمرع بالتقوى و العمل الصالح و قال لِيُصِدِّقْ رَأْسَهُ أَهْلَهُ الرَّائِدَ الذَّاهِبَ مِنَ الْحَيِّ يَرْتَادُ لَهُمُ الْمَرْعَى وَ فِي أَمْثَالِهِمُ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ عَ أَمْرُ الْإِنْسَانِ بِأَنْ يَصْدُقَ نَفْسَهُ وَ لَا يَكْذِبُهَا بِالتَّسْوِيفِ وَ التَّعْلِيلِ قَالَ الشَّاعِرُ أُخِي إِذَا خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا وَ إِذَا حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ.

و فى المثل المتشعب بما لا يملك كلابس ثوبى زور .

فإنه منها قدم قد قيل إن الله تعالى خلق أرواح البشر قبل أجسادهم و الخبر فى ذلك مشهور و الآيه أيضا و هى قوله وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (١) و يمكن أن يفسر على وجه آخر و ذلك أن الآخره اليوم عدم محض و الإنسان قدم من العدم و إلى العدم ينقلب فقد صح أنه قدم من الآخره و يرجع إلى الآخره .

و روى أن العالم بالبصر أى بالبصيره فيكون هو و قوله فالناظر بالقلب سواء و إنما قاله تأكيدا و على هذا الوجه لا يحتاج إلى تفسير و تأويل فأما الروايه المشهوره فالوجه فى تفسيرها أن يكون قوله فالناظر مبتدأ و العامل صفة له و قوله بالبصر يكون مبتدأ عمله جملة مركبه من مبتدأ و خبر موضعها رفع لأنها خبر المبتدأ الذى هو فالناظر و هذه الجملة المذكوره قد دخلت عليها كان فالجار و المجرور و هو الكلمه الأولى منها منصوبه الموضع لأنها خبر كان و يكون قوله فيما بعد أن يعلم منصوب

ص: ١٧٧

الموضع لأنه بدل من البصر الذى هو خبر يكون و المراد بالبصر هاهنا البصيره فيصير تقدير الكلام فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر و البصيره بأن يعلم أ عمله له أم عليه.

و يروى كالسابل على غير طريق و السابل طالب السبيل و

٢٠١٦

قَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ هُدًى لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا.

٢٠١٧

و فِي كَلَامِ الْحُكَمَاءِ الْعَامِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالرَّامِي مِنْ غَيْرِ وَتَرٍ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَ مَا خَبَثَ ظَاهِرُهُ خَبَثَ بَاطِنُهُ وَ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ص إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ .

هذا الكلام مشتق من قوله تعالى وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ لِبَاطِنِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبَثَ لَإِي خَرْجٍ إِلَّا نَكِدًا (١) و هو تمثيل ضربه الله تعالى لمن ينجع فيه الوعظ و التذكير من البشر و لمن لا يؤثر ذلك فيه مثله بالأرض العذبه الطيبه تخرج النبت و الأرض السبخه الخبيثه لا تنبت و كلام أمير المؤمنين ع إلى هذا المعنى يومئ يقول إن لكلتا حالتي الإنسان الظاهره أمرًا باطنًا يناسبها من أحواله و الحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل و ميله إلى الهوى فالمتبع لمقتضى عقله يرزق السعاده و الفوز فهذا هو الذى طاب

ص: ١٧٨

ظاهره و طاب باطنه و المتبع لمقتضى هواه و عادته و دين أسلافه يرزق الشقاوه و العطب و هذا هو الذى خبث ظاهره و خبث باطنه.

فإن قلت فلم قال فما طاب و هلا قال فمن طاب و كذلك فى خبث قلت كلامه فى الأخلاق و العقائد و ما تنطوى عليه الضمائر يقول ما طاب من هذه الأخلاق و الملكات و هى خلق النفس الربانيه المریده للحق من حيث هو حقّ سواء كان ذلك مذهب الآباء و الأجداد أو لم يكن و سواء كان ذلك مستقبحا مستهجننا عند العامه أو لم يكن و سواء نال به من الدنيا حظا أو لم ينل يستطيب باطنه يعنى ثمرته و هى السعاده و هذا المعنى من مواضع ما لا من مواضع من .

فأما الخبر المروى (١) فإنه مذكور فى كتب المحدثين و قد فسره أصحابنا المتكلمون فقالوا إن الله تعالى قد يحب المؤمن و محبته له إرادته و يبغض عملا من أعماله و هو ارتكاب صغيره من الصغائر فإنها مكروهه عند الله و ليست قادحه فى إيمان المؤمن لأنها تقع مكفره و كذلك قد يبغض العبد بأن يريد عقابه نحو أن يكون فاسقا لم يتب و يحب عملا من أعماله نحو أن يطيع ببعض الطاعات و حبه لتلك الطاعة هى إرادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم و اعلم أن لكل عمل نباتا و كل نبات لا غنى به عن الماء و المياة مختلفه فما طاب سقيه طاب غرسه و حلت ثمرته و ما خبث سقيه خبث غرسه و أمّرت ثمرته.

ص: ١٧٩

(١ - ١) ساقطه من ب.

السقى مصدر سقيت و السقى بالكسر النصيب من الماء.

و أمر الشيء أى صار مرا.

و هذا الكلام مثل فى الإخلاص و ضده و هو الرياء و حبّ السمعه فكل عمل يكون مدده الإخلاص لوجهه تعالى لا غير فإنه زاك حلو الجنى و كل عمل يكون الرياء و حبّ الشهره مدده فليس بزاك و تكون ثمرته مره المذاق

ص: ١٨٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسِرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَ أَيْبُنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا وَ لَمْ تَقْعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونُ مُمَثَّلًا خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ وَ لَا- مَشُورَهُ مُشِيرٍ وَ لَا- مَعُونَهُ مُعِينٍ فَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ وَ أَدْعَنَ لَطَاعَتِهِ فَأَحْجَابَ وَ لَمْ يُدَافِعْ وَ انْقَادَ وَ لَمْ يُنَازِعْ وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنِيعَتِهِ وَ عَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ عَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضُّبَابُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ يَنْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ وَ كَيْفَ عَشِيَّتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَإْدَاهِهَا وَ تَنْصَلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَ رَدَعِيهَا بِتَلْمِذُضِ يَأْتِيهَا مِنَ الْمُضِيئِ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَ أَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلْجِ اثْتِلَاقِهَا وَ هِيَ مُسِيدَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَ جَاعِلُهُ اللَّيْلِ سَرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافَ ظُلْمَتِهِ وَ لَا- تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيئِ فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَ بَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا فِيهَا وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيْالِيهَا

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَهُ مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا الْمَآذَانَ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيَشٍ وَلَا قَصَبٍ إِلَّا- أَنْتَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَغْلَامًا لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيَنْشَقُّمَا وَ لَمْ (١) يَغْلُظَا فَيَنْثَقِلَا تَطِيرُ وَ وَلَدَهَا لَاصِقٌ بِهَا لِأَجْبِئِ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَزْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ وَ يَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ وَ يَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ .

الخفاش واحد جمعه خفافيش و هو هذا الطائر الذى يطير ليلا و لا يطير نهارا و هو مأخوذ من الخفش و هو ضعف فى البصر خلقه و الرجل أخفش و قد يكون عله و هو الذى يبصر بالليل لا بالنهار أو فى يوم غيم لا فى يوم صحو .

و انحسرت الأوصاف كلت و أعت و ردعت كفت و المساغ المسلك .

قال أحق و أبين ممّا ترى العيون و ذلك لأن العلوم العقليّة إذا كانت ضروريه أو قريبه من الضروريه كانت أوثق من المحسوسات لأن الحس يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد و الصغير كبيرا كالعنبه فى الماء ترى كالإجاصه و يرى الساكن متحركا كجرف الشط إذا رآه راكب السفينه متصاعدا و يرى المتحرك ساكنا كالظل إلى غير ذلك من الأغاليط و القضايا العقليّة الموثوق بها لأنها بديهيه أو تكاد فالغلط غير داخل عليها قوله يقبضها الضياء أى يقبض أعينها .

قوله و تتصل بعلانيه برهان الشمس كلام جيد فى مذاهب الاستعاره.

ص: ١٨٢

(١ - ١) د: «و لما».

و سبحات إشراقها جلاله و بهاؤه و أكنها سترها و بلج ائتلافها جمع بلجه و هى أول الصبح و جاء بلجه أيضا بالفتح .

و الحداق جمع حدقه العين و الإسداف مصدر أسدف الليل أظلم .

و غسق الدجنه ظلام الليل فإذا ألت الشمس قناعها أى سمرت عن وجهها و أشرقت.

و الأوضاح جمع وضح و قد يراد به حلى يعمل من الدراهم الصحاح و قد يراد به الدراهم الصحاح نفسها و إن لم يكن حليا و الضباب جمع ضب و وجارها بيتها و شظايا الآذان أقطاع منها و القصب هاهنا الغضروف.

و خلاصه الخطبه التعجب من أعين الخفافيش التى تبصر ليلا و لا تبصر نهارا و كل الحيوانات بخلاف ذلك فقد صار الليل لها معاشا و النهار لها سكونا بعكس الحال فيما عداها ثم من أجنحتها التى تطير بها و هى لحم لا ريش عليه و لا غضروف و ليست رقيقه فتشقق و لا كثيفه فتثقلها عن الطيران ثم من ولدها إذا طارت احتملته و هو لاصق بها فإذا وقعت وقع ملتصقا بها هكذا إلى أن يشتد و يقوى على النهوض فيفارقها

فصل فى ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب

و اعلم أنه ع قد أتى بالعله الطبيعیه فى عدم إبصارها نهارا و هو انفعال حاسه بصرها عن الضوء الشديد و قد يعرض مثل ذلك لبعض الناس و هو المرض المسمى روز كور أى أعمى النهار و يكون ذلك عن إفراط التحلل فى الروح النورى فإذا لقي حر النهار أصابه قمر ثم يستدرک ذلك برد الليل فيزول فيعود الإبصار.

و أمّا طيرانها من غير ريش فإنّه ليس بذلك الطيران الشديد و إنّما هو نهوض و خفه أفادها الله تعالى إياه بواسطة الطبيعه و التصاق الولد بها لأنّها تضمه إليها بالطبع و ينضم إليها كذلك و تستعين على ضمه برجليها و بقصر المسافه و جملة الأمر أنّه تعجب من عجب و فى الأحاديث العاميه قيل للخفاش لما ذا لا جناح لك قال لأنّى تصوير مخلوق قيل فلما ذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يعنون أن المسيح ع صوره و أن إليه الإشاره بقوله تعالى وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي (١).

و فى الطير عجائب و غرائب لا تهتدى العقول إليها و يقال إن ضربين من الحيوان أصمان لا يسمعان و هما النعام و الأفاعى.

و تقول العرب إن الظليم يسمع بعينه و أنفه لا- يحتاج معهما إلى حاسه أخرى و الكراكى يجمعها أمير لها كيعسوب النحل و لا يجمعها إلّا- أزواجا و العصافير ألفه للناس آنسه بهم لا- تسكن دارا حتّى يسكنها إنسان و متى سكنتها لم تقم فيها إذا خرج الإنسان منها فبفراقه تفارق و بسكناه تسكن و يذكر أهل البصره أنه إذا كان زمن الخروج إلى البساتين لم يبق فى البصره عصفور إلّا خرج إليها إلّا ما أقام على بيضه و فراخه و قد يدرّب العصفور فيستجيب من المكان البعيد و يرجع.

و قال شيخنا أبو عثمان بلغنى أنّه درب فيرجع من ميل و ليس فى الأرض رأس أشبه برأس الحيه من رأس العصفور و ليس فى الحيوان الذى يعايش الناس أقصر عمرا منه قيل لأجل السفاد الذى يستكثر منه و يتميز الذكر من الأنثى فى العصافير تميز الديك

ص: ١٨٤

من الدجاجة لأن له لحيه ولا شيء أحنى على ولده منه و إذا عرض له شيء صاح فأقبلت إليه العصافير يساعده و ليس [لشيء]

(١) فى مثل جسم العصفور [من]

(٢) شده [وطئه إذا مشى أو على السطح ما للعصفور فإنك]

(٣) إذا كنت تحت السطح و وقع حسبت وقعته و وقع حجر و ذكور (٤) العصافير لا تعيش إلا سنه و كثيرا ما تجلب الحيات إلى المنازل لأن الحيات تتبعها حرصا على ابتلاع بيضها و فراخها.

و يقال إن الدجاجة إذا باضت بيضتين فى يوم واحد و تكرر ذلك ماتت و إذا هرمت الدجاجة لم يكن لأواخر ما تبيضه صفره و إذا لم يكن للبيضه مسح لم يخلق فيها فروج لأن غذاءه المح ما دام فى البيضه و قد يكون للبيضه محان فتفقص (٥) عن فروجين يخلقان من البياض و يغتذيان بالمحين لأن الفراريج تخلق من البياض و تغتذى بالصفره و كل ديك فإنه يلتقط الحبه فيحذف بها إلى الدجاجة سماحا و إثارا و لهذا قالوا أسمح من لاقطه يعنون الديكه إلا ديكه مرو بخراسان فإنها تطرد دجاجها عن الحب و تنزعه من أفواها فتبتلعه.

و الحمامه بلهاء و فى أمثالهم أحق من حمامه و هى مع حمقها مهتديه إلى مصالح نفسها و فراخها.

قال ابن الأعرابى قلت لشيخ من العرب من علمك هذا قال علمنى الذى علم الحمامه على بلهها تقلب بيضها كى تعطى الوجهين جميعا نصيبهما من الحضن.

و الهدايه فى الحمام لا تكون إلا فى الخضر و السمير فأما الأسود الشديد السواد فهو كالزنجى القليل المعرفه و الأبيض ضعيف القوه و إذا خرج الجوزل (٦) عن بيضته علم أبواه أن حلقه لا يتسع للغذاء فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا فى حلقه الريح لتتسع حوصلته بعد التحامها ثم يعلمن أنه لا يحتمل فى أول اغتذائه أن يزق بالطعم فيزقانه باللعب المختلط

ص: ١٨٥

١-١) تكمله من كتاب الحيوان.

١-٢) تكمله من كتاب الحيوان.

١-٣) تكمله من كتاب الحيوان.

٤-٤) الجوزل: فرخ الحمام.

-٥

-٦

بقواهما و قوى الطعم ثم يعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دباغ فيأكلان من شorcج (١) أصول الحيطان و هو شىء من الملح الخالص و التراب فيزقانه به فإذا علما أنه قد اندبغ زقاه بالحب الذى قد غب فى حواصلهما ثم بالذى هو أطرى فأطرى حتى يتعود فإذا علما أنه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج و يتشوف فتطلبه نفسه و يحرص عليه فإذا فطماه و بلغا منتهى حاجته إليهما نزع الله تلك الرحمه منهما و أقبل بهما على طلب نسل آخر.

و يقال إن حيه أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها و يدنو منها حتى دلعت (٢) الحيه لسانها و فتحت فاهها تريده و تهم به فألقى فيها حسكه (٣) فأخذت بحلقها حتى ماتت.

و من دعاء الصالحين يا رزاق النعاب (٤) فى عشه و ذلك أن الغراب إذا فقص عن فراخه فقص عنها بيض الألوان فينفر عنها و لا يزقها فتنتفح أفواهاها فيأتيها ذباب يتساقط فى أفواهاها فيكون غذاءها إلى أن تسود فينقطع الذباب عنها و يعود الغراب إليها فيأنس بها و يغذيها.

و الحبارى تدبq (٥) جناح الصقر بذرقها ثم يجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقه طاقه حتى يموت و لذلك يحاول الحبارى العلو عليه و يحاول هو العلو عليها و لا يتجاسر أن يدنو منها متسفلا عنها و يقال إن الحبارى تموت كمدا إذا انحسر عنها ريشها و رأت صويحباتها تطير.

ص: ١٨٦

١-١) الشorcج: نوع من الملح؛ و ربما كان للدباغ خاصه.

٢-٢) دلعت لسانها: أخرجته.

٣-٣) حسكه: شوكه.

٤-٤) النعاب، أى الغراب.

٥-٥) تدبq: تصطاد.

و كل الطير يتسافد بالأستاه إلا الحجل فإن الحجله تكون فى سفاله الريح و اليعقوب (١) فى علاوتها فتلقح منه كما تلقح النخله من الفحال (٢) بالريح.

و الحبارى شديد الحمق يقال إنها أحق الطير و هى أشد حياطه لبيضها و فراخها.

و العقق مع كونه أخبث الطير و أصدقها خبثا و أشدها حذرا ليس فى الأرض طائر أشد تضييعا لبيضه و فراخه منه.

و من الطير ما يؤثر التفرد كالعقاب و منه ما يتعايش زوجا كالقطا.

و الظليم يبتلع الحديد المحمى ثم يميغه فى قانصته حتى يحيله كالماء الجارى و فى ذلك أعجوبتان التغذى بما لا يغذى به و استمراره و هضمه شيئا لو طبخ بالنار أبدا لما انحل.

و كما سخر الحديد لجوف الظليم فأحاله سخر الصخر الأصم لأذنان الجراد إذا أراد أن يلقى بيضه غرس ذنبه فى أشد الأرض صلابه فانصدع له و ذلك من فعل الطبيعه بتسخير الصانع القديم سبحانه كما أن عود الحلفاء الرخو الدقيق (٣) المنبت يلقى فى نباته الآجر و الخزف الغليظ فيثقبه.

و قد رأيت فى مسناه سور بغداد فى حجر صلد نبعه نبات قد شقت و خرجت من موضع لو حاول جماعه أن يضربوه بالبيارم الشديده مده طويله لم يؤثر فيه أثرا.

و قد قيل إن إبره العقرب أنفذ فى الطنجير (٤) و الطست.

و فى الظليم شبه من البعير من جهه المنسم و الوظيف و العنق و الخزامه التى فى أنفه

ص: ١٨٧

١-١) اليعقوب: ذكر الحجل.

٢-٢) الفحال: ذكر النخل.

٣-٣) ساقطه من ب.

٤-٤) الطنجير: وعاء يعمل فيه الخبيص (معرب).

و شبه من الطائر من جهه الريش و الجناحين و الذنب و المنقار ثم إن ما فيه من شبه الطير جذبه إلى البيض و ما فيه من شبه البعير لم يجذبه إلى الولاده.

و يقال إن النعامه مع عظم عظامها و شده عدوها لا مخ فيها و أشد ما يكون عدوها أن تستقبل الريح فكلما كان أشد لعصوفها كان أشد لحضرها (١) تضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح و من أعاجيبها أن الصيف إذا دخل و ابتدأ البسر في الحمره ابتدأ لون وظيفها في الحمره فلا يزالان يزدادان حمره إلى أن تنتهى حمره البسر و لذلك قيل للظليم خاضب و من العجب أنها لا تأنس بالطير و لا بالإبل مع مشاكلتها للنوعين و لا يكاد يرى بيضها مبددا البته بل تصفه طولاً صفا مستويا على غايه الاستواء حتى لو مددت عليه خيط المسطر لما وجدت لبعضه خروجاً عن البعض ثم تعطى لكل واحده نصيبها من الحضن.

و الذئب لا يعرض لبيض النعام ما دام الأبوان حاضرين فإنهما متى نقفاه (٢) ركبته الذكر فطحره (٣) و أدركته الأنثى فركضته ثم أسلمته إلى الذكر و ركبته عوضه فلا يزالان يفعلان به ذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً و النعام قد يتخذ في الدور و ضرره شديد لأن النعامه ربما رأت في أذن الجاربه قرطاً فيه حجر أو حبه لؤلؤ فخطفته و أكلته و خرمت الأذن أو رأت ذلك في لبتها فضربت بمنقارها اللبه فخرقتها (٤)

ص: ١٨٨

١-١) الحضن: نوع من السير.

٢-٢) نقفاه: ثقباه.

٣-٣) طحره: كسر بيضته.

٤-٤) الحيوان ٢١٧:٥ و ما بعدها.

اشاره

فَمَنْ اسْتِطَاعَ عِنْدَ ذِكِّكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ وَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَا
مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقِهِ مَرِيرَةٍ وَأَمَّا فَلَانُهُ فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النَّسَاءِ وَضِعْنُ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ وَ لَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا
أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَ لَهَا بَعْدُ حُزْمَتُهَا الْأُولَى وَ الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ .

يعتقل نفسه على الله

يحبسها على طاعته ثم ذكر أن السبيل التي حملهم عليها و هي سبيل الرشاد ذات مشقه شديده و مذاقه مريره لأن الباطل محبوب
النفوس فإنه اللهو و اللذه و سقوط التكليف و أما الحق فمكروه النفس لأن التكليف صعب و ترك الملاذ العاجله شاق شديد
المشقه .

و الضغن الحقد و المرجل قدر كبيره و القين الحداد أى كغليان قدر من حديد

ص: ١٨٩

و فلانه كناية عن أم المؤمنين عائشه أبوها أبو بكر و قد تقدم ذكر نسبه و أمها أم رومان ابنه عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانه تزوجها رسول الله ص قبل الهجره بستين بعد وفاه خديجه و هى بنت سبع سنين و بنى عليها بالمدينه و هى بنت تسع سنين و عشره أشهر و كانت قبله تذكر لجبير بن مطعم و تسمى له

٢٠١٨

١٤- وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَأَى فِي الْمَنَامِ عَائِشَةَ فِي سَرِقَةٍ (١) مِنْ حَرِيرٍ عِنْدَ مَتَوَفَى خَدِيجَةَ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ (٢) رُؤَى هَذَا الْحَبْرُ فِي الْمَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ وَ كَانَ نِكَاحُهُ إِيَّاهَا فِي سُؤَالٍ وَ بِنَاؤُهُ عَلَيْهَا فِي سُؤَالٍ أَيْضًا فَكَانَتْ تُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ النِّسَاءَ مِنْ أَهْلِهَا وَ أَحَبَّتْهَا عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فِي سُؤَالٍ وَ تَقُولُ هَلْ كَانَ فِي نِسَائِهِ أَخْطَى مِنِّي وَ قَدْ نَكَحَنِي وَ بَنَى عَلَيَّ فِي سُؤَالٍ رَدًّا بِذَلِكَ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ دُخُولَ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ بَيْنَ الْعِيدَيْنِ مَكْرُوهٌ.

وَ تُوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ص عَنْهَا وَ هِيَ بِنْتُ عَشْرِينَ سَنَةً وَ اسْتَأْذَنْتْ رَسُولَ اللَّهِ ص فِي الْكُتَيْبَةِ فَقَالَ لَهَا اكْتَنِي بِإِنِّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَعْنِي ابْنَ أُخْتِهَا فَكَانَتْ تُكْنَى أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ

و كانت فقيهه راويه للشعر ذات حظ من رسول الله ص و ميل ظاهر إليها و كانت لها عليه جراه و إدلال لم يزل ينمى و يستشرى حتى كان منها فى أمره فى قصه ماريه ما كان من الحديث (٣)

ص: ١٩٠

١-١) السرقه، واحده السرق؛ و هو شقق من الحرير الأبيض.

٢-٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٧٤٤.

٣-٣) انظر تفسير الكشاف ٤٥٤، ٤٥٣: ٤.

الذى أسره إلى الزوجه الأخرى و أدى إلى تظاهرهما عليه و أنزل فيهما قرآنا يتلى فى المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب
تصريح بوقوع الذنب و صغو القلب و أعقبتها تلك الجراه و ذلك الانبساط و حدث منها فى أيام الخلافه العلويه ما حدث و لقد
عفا الله تعالى عنها و هى من أهل الجنه عندنا بسابق الوعد و ما صح من أمر التوبه.

و

٢٠١٩

رَوَى أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ فِي بَابِ عَائِشَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ عَنْ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ عَصِيَامِ بْنِ قُدَامَةَ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْجَمَلُ الْأَدَبُ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرٌ وَ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ (١).

قال أبو عمر بن عبد البر و هذا الحديث من أعلام نبوته ص قال و عصام بن قدامه ثقه و سائر الإسناد فثقه رجاله أشهر من أن
تذكر (٢).

و لم تحمل عائشه من رسول الله ص و لا ولد له ولد من مهيره (٣) إلا من خديجه و من السرارى من ماريه .

و قذفت عائشه فى أيام رسول الله ص بصفوان بن المعطل السلمى و القصة مشهوره فأنزل الله تعالى براءتها فى قرآن يتلى و
ينقل و جلد قاذفوها الحدّ و توفيت فى سنه سبع و خمسين للهجره و عمرها أربع و ستون سنه و دفنت بالبقيع

ص: ١٩١

١ - ١) النهايه لابن الأثير ١٠: ٢؛ و الروايه هناك: «ليت شعرى أيتكن صاحبه الجمل الأدب؛ تتبعها كلاب الحوآب؟»؛ و قال فى
شرحه: أراد «الأدب»، فأظهر الإدغام لأجل الحوآب، و الأدب الكثير و بر الوجه.

٢ - ٢) الاستيعاب ٧٤٤، و فيه: «و سائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى ذكر».

٣ - ٣) المهيره: الحره من النساء؛ و هى غير السريه.

فى ملك معاويه و صلى عليها المسلمون ليلا- و أهمهم أبو هريره و نزل فى قبرها خمسة من أهلها عبد الله و عروه ابنا الزبير و القاسم و عبد الله ابنا محمّد بن أبى بكر و عبد الرحمن بن أبى بكر و ذلك لسبع عشره خلت من شهر رمضان من السنه المذكوره.

فأما قوله فأدر كها رأى النساء أى ضعف آرائهن و

٢٠٢٠

قَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ.

و

٢٠٢١

جَاءَ إِنْهُنَّ قَلِيلَاتٌ عَقْلٍ وَ دِينٍ أَوْ قَالَ ضَعِيفَاتٌ. و لذلك جعل شهاده المرأتين بشهاده الرجل الواحد و المرأه فى أصل الخلقه سريعه الانخداع سريعه الغضب سيئه الظن فاسده التدبير و الشجاعه فيهن مفقوده أو قليله و كذلك السخاء و أمّا الضغن فاعلم أن هذا الكلام يحتاج إلى شرح و قد كنت قرأته على الشيخ أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانى رحمه الله أيام اشتغالى عليه بعلم الكلام و سألته عما عنده فيه فأجبنى بجواب طويل أنا أذكر محصوله بعضه بلفظه رحمه الله و بعضه بلفظى فقد شذ عنى الآن لفظه كله بعينه قال أول بدء الضغن كان بينها و بين فاطمه ع و ذلك لأن رسول الله ص تزوجها عقب موت خديجه فأقامها مقامها و فاطمه هى ابنه خديجه و من المعلوم أن ابنه الرجل إذا ماتت أمها و تزوج أبوها أخرى كان بين الابنه و بين المرأه كدر و شئان و هذا لا بد منه لأن الزوجه تنفس عليها ميل الأب و البنت تكره ميل أبيها إلى امرأه غريبه كالضربه لأمها بل هى ضربه على الحقيقه و إن كانت الأم ميتة و لأننا لو قدرنا الأم حيه لكانت العداوه مضطرمه متسعره فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوه و فى المثل عداوه الحماه و الكنه و قال الراجز

ص: ١٩٢

إن الحماء أولعت بالكنه (١)

و أولعت كنتها بالظنه.

ثم اتفق أن رسول الله ص مال إليها و أحبها فازداد ما عند فاطمه بحسب زياده ميله و أكرم رسول الله ص فاطمه إكراما عظيما أكثر ممّا كان الناس يظنونه و أكثر من إكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد

٢٠٢٢

فَقَالَ بِمَخْضَرِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مَرَارًا لَا مَرَّةً وَاحِدَةً وَ فِي مَقَامَاتٍ (٢) مُخْتَلَفَةٍ لَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ إِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ إِنَّهَا عَدِيْلَةٌ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَ إِنَّهَا إِذَا مَرَّتْ فِي الْمَوْقِفِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ جِهَةِ الْعَرْشِ يَا أَهْلَ الْمَوْقِفِ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ لِتَعْبُرَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ

و هذا من الأحاديث الصحيحة و ليس من الأخبار المستضعفه و إن إنكاحه عليا إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهاده الملائكة و

٢٠٢٣

كَمْ قَالَ لَا مَرَّةً

(٣)

يُؤْذِينِي مَا يُؤْذِيهَا وَ يُغْضِبُنِي مَا يُغْضِبُهَا وَ إِنَّهَا بَضَعَهُ مِنِّي يُرِيْبُنِي مَا رَابَهَا.

فكان هذا و أمثاله يوجب زياده الضغن عند الزوجه حسب زياده التعظيم و التبجيل و النفوس البشرية تغيط على ما هو دون هذا فكيف هذا.

ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها أعنى عليا ع فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال لا سيما و هن محدثات الليل كما قيل في المثل و كانت تكثر الشكوى من عائشه و يغشاها نساء المدينة و جيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشه ثم يذهبن إلى بيت عائشه فينقلن إليها كلمات عن فاطمه و كما كانت فاطمه تشكو إلى بعلها كانت عائشه تشكو إلى أبيها لعلمها أن بعلها لا يشكيها (٤) على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما ثم تزايد تقريظ رسول الله ص

ص: ١٩٣

١- (١) الكنه: امرأه الابن.

٢- (٢) ب: «في».

٣-٣) د: «مره».

٤-٤) يقال: أشكى فلانا؛ إذا قبل شكواه.

لعلى ع و تقرّبه و اختصاصه فأحدث ذلك حسدا له و غبطه فى نفس أبى بكر عنه و هو أبوها و فى نفس طلحه و هو ابن عمها و هى تجلس إليهما و تسمع كلامهما و هما يجلسان إليها و يحادثانها فأعدى إليها منهما كما أعدتهما.

قال و لست أبرئ عليا ع من مثل ذلك فإنه كان ينفس على أبى بكر سكون النبى ص إليه و ثناءه عليه و يحب أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصائص دونه و دون الناس أجمعين و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله و أولاده فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين ثم كان من أمر القذف ما كان و لم يكن على ع من القاذفين و لكنه كان من المشيرين على رسول الله ص بطلاقها تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأه و المنافقين.

٢٠٢٤

١٤,١- قَالَ لَهُ لَمَّا اسْتَشَارَهُ إِنَّ هِيَ إِلَّا شِئْعٌ نَعْلِكَ وَقَالَ لَهُ سَلِ الْخَادِمَ وَخَوَّفَهَا وَإِنْ أَقَامَتْ عَلَى الْجُحُودِ فَاضْرِبْهَا .

و بلغ عائشه هذا الكلام كله و سمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه فى مثل هذه الواقعة و نقل النساء إليها كلاما كثيرا عن على و فاطمه و أنهما قد أظهرتا الشماتة جهارا و سرا بوقوع هذه الحادثة لها فتفاقم الأمر و غلظ.

ثم إن رسول الله ص صالحها و رجع إليها و نزل القرآن ببراءتها فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر و يستظهر بعد أن غلب و يبرأ بعد أن اتهم من بسط اللسان و فلتات القول و بلغ ذلك كله عليا ع و فاطمه ع فاشتدت الحال و غلظت و طوى كل من الفريقين قلبه على الشنئان لصاحبه ثم كان بينها و بين على ع فى حياه رسول الله ص أحوال و أقوال كلها تقتضى تهيبج ما فى النفوس نحو قولها له

٢٠٢٥

١٤,١- وَقَدْ اسْتَدْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ فَجَاءَ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَهُ

ص: ١٩٤

١٤٠١- وَ نَحْوَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ سَايَرَهُ يَوْمًا وَ أَطَالَ مُنَاجَاتَهُ فَجَاءَتْ وَ هِيَ سَائِرَةٌ خَلْفَهُمَا حَتَّى دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا وَ قَالَتْ فِيمَ أَنْتُمَا فَقَدُ أَطَلْتُمَا
فَيَقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص غَضِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ

و ما روى من حديث الجفنه من الشريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها و نحو ذلك مما يكون بين الأهل و بين المرأه و
أحمائها.

ثم اتفق أن فاطمه ولدت أولادا كثيره بنين و بنات و لم تلد هي ولدا و أن رسول الله ص كان يقيم بنى فاطمه مقام بنيه و يسمى
الواحد منهما ابنى و يقول دَعُوا لِي ابْنِي وَ لَا تَزْرُمُوا (١) على ابنى و ما فعل ابنى فما ظنك بالزوجه إذا حرمت الولد من البعل ثم
رأت البعل يتمنى بنى ابنته من غيرها و يحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبه لأولئك البنين و لأهمهم و لأبيهم أم مبغضه
و هل تود دوام ذلك و استمراره أم زواله و انقضاءه.

ثم اتفق أن رسول الله ص سد باب أبيها إلى المسجد و فتح باب صهره ثم بعث أباها ببراءه إلى مكه ثم عزله عنها بصهره فقدح
ذلك أيضا فى نفسها و ولد لرسول الله ص إبراهيم من ماريه فأظهر على ع بذلك سرورا كثيرا و كان يتعصب لماريه و يقوم
بأمرها عند رسول الله ص ميلا على غيرها و جرت لماريه نكبه مناسبه لنكبه عائشه فبرأها على ع منها و كشف بطلانها أو كشفه
الله تعالى على يده و كان ذلك كشفا محسا بالبصر لا يتهيا للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه فى القرآن المنزل ببراءه عائشه و كل
ذلك مما كان يوغر صدر عائشه عليه و يؤكد ما فى نفسها منه ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته و إن أظهرت كآبه

ص: ١٩٥

(١- ١) النهايه لابن الأثير ١٢٤:٢، قال: «أى لا تقطعوا عليه بوله؛ يقال: زرم الدمع و البول؛ إذا انقطع.»

ووجم على ع من ذلك و كذلك فاطمه و كانا يؤثران و يريدان أن تتميز ماريه عليها بالولد فلم يقدر لهما و لا لماريه ذلك و بقيت الأمور على ما هي عليه و فى النفوس ما فيها حتى مرض رسول الله ص المرض الذى توفى فيه و كانت فاطمه ع و على ع يريدان أن يمرضاه فى بيتهما و كذلك كان أزواجه كلهن فمال إلى بيت عائشه بمقتضى المحبه القليه التى كانت لها دون نساءه و كره أن يزاحم فاطمه و بعلها فى بيتهما فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه فى بيت من يميل إليه بطبعه و علم أن المريض يحتاج إلى فضل مداراه و نوم و يقظه و انكشاف و خروج حدث فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره و بنته فإنه إذا تصور حياءهما منه استحيا هو أيضا منهما و كل أحد يحب أن يخلو بنفسه و يحتشم الصهر و البنت و لم يكن له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها فتمرض فى بيتها فغطت على ذلك و لم يمرض رسول الله ص منذ قدم المدينه مثل هذا المرض و إنما كان مرضه الشقيقه (١) يوما أو بعض يوم ثم يبرأ فتطاول هذا المرض و كان على ع لا يشك أن الأمر له و أنه لا ينازعه فيه أحد من الناس

٢٠٢٧

١- وَ لِهَذَا قَالَ لَهُ عَمُّهُ وَ قَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص ائْمُدُّ يَدَكَ أَبَايَعُكَ فَيَقُولُ النَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ص بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ قَالَ يَا عَمُّ وَ هَلْ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي قَالَ سَيَتَعَلَّمُ قَالَ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وَرَاءِ رِتَاجٍ وَ أُحِبُّ أَنْ أَضْحَرَ بِهِ (٢) فَسَكَتَ عَنْهُ .

فلما ثقل (٣) رسول الله ص فى مرضه أنفذ جيش أسامه و جعل فيه أبا بكر و غيره من أعلام

ص: ١٩٦

١- (١) الشقيقه: مرض يأخذ فى نصف الرأس و الوجه.

٢- (٢) يقال: أسحر فلان بما فى قلبه، أى أظهره.

٣- (٣) يقال: أصبح ثاقلا، أى مريضا.

المهاجرين و الأنصار فكان على ع حينئذ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله ص حدث أوثق و تغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية فيأخذه صفوا عفوا و تتم له البيعة فلا يتهياً فسرخها لو رام ضد منازعته عليها فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه و إعلامه بأن رسول الله ص يموت ما كان و من حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب على ع عائشه أنها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس

٢٠٢٨

١٤،١- لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا رُوِيَ قَالَ لِيُصَلِّ بِهِمْ أَحَدُهُمْ وَ لَمْ يُعَيَّنْ وَ كَانَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ هُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ يَتَّهَادَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ حَتَّى قَامَ فِي الْمِحْرَابِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ ثُمَّ دَخَلَ فَمَاتَ ارْتِفَاعَ الصُّحَى .

فجعل يوم صلاته حجه في صرف الأمر إليه و قال أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة و لم يحملوا خروج رسول الله ص إلى الصلاة لصرفه عنها بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن فبوع على هذه النكته التي اتهمها على ع على أنها ابتدأت منها.

و كان على ع يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا و يقول إنه لم يقل ص إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكارا لهذه الحال و غضبا منها لأنها و حفصه تبادرتا إلى تعيين أبيهما و أنه استدركها بخروجه و صرفه عن المحراب فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوه الداعى الذى كان يدعو إلى أبي بكر و يمهد له قاعده الأمر و تقرر حاله في نفوس الناس و من اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين و الأنصار و لما ساعد على ذلك من الحظ الفلكى و الأمر السمائى الذى جمع عليه القلوب و الأهواء فكانت هذه الحال عند على أعظم من كل عظيم و هى الطامه الكبرى

ص: ١٩٧

والمصيبة العظمى و لم ينسبها إلا إلى عائشه وحدها و لا علق الأمر الواقع إلا بها فدعا عليها فى خلواته و بين خواصه و تظلم إلى الله منها و جرى له فى تخلفه عن البيعه ما هو مشهور حتى بايع و كان يبلغه و فاطمه عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله ص إلى أن توفيت فاطمه و هما صابران على مضمض و رمض (١) و استظهرت بولايه أبيها و استطالت و عظم شأنها و انخذل على و فاطمه و قهرا و أخذت فدك و خرجت فاطمه تجادل فى ذلك مرارا فلم تظفر بشىء و فى ذلك تبلغها النساء و الداخلات و الخارجات عن عائشه كل كلام يسوؤها و يبلغن عائشه عنها و عن بعلها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحالين و بعد ما بين الفريقين هذه غالبه و هذه مغلوبه و هذه أمره و هذه مأموره و ظهر التشفى و الشماته و لا شىء أعظم مراره و مشقه من شماته العدو.

فقلت له رحمه الله أفتقول أنت إن عائشه عينت أباهما للصلاه و رسول الله ص لم يعينه فقال أما أنا فلا أقول ذلك و لكن عليا كان يقوله و تكليفى غير تكليفه كان حاضرا و لكم أكن حاضرا فأنا محجوج بالأخبار التى اتصلت بى و هى تتضمن تعيين النبى ص لأبى بكر فى الصلاه و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التى كان حضرها.

قال

٢٠٢٩

١٥- ثُمَّ مَيَّاتَتْ فَاطِمَةُ فَجَاءَ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ص كُلُّهُنَّ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ فِي الْعَزَاءِ إِلَّا عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَمْ تَأْتِ وَ أَظْهَرَتْ مَرَضًا وَ نُقِلَ إِلَى عَلِيٍّ عَ عَنْهَا كَلَامٌ يَدُلُّ عَلَى السُّرُورِ .

ثم بايع على أباهما فسرت بذلك و أظهرت من الاستبشار بتمام البيعه و استقرار

ص: ١٩٨

(١- ١) الرمن: الغيظ الشديد.

الخلافة و بطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا واستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها و خلافة عمر و عثمان و القلوب تغلى و الأحقاد تذيب الحجارة و كلما طال الزمان على على تضاعفت همومه و باح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان و قد كانت عائشه فيها أشدّ الناس عليه تأليبا و تحريضا فقالت أبعده الله لما سمعت قتله و أملت أن تكون الخلافة فى طلحه فتعود الإمره تيميه كما كانت أولا فعدل الناس عنه إلى على بن أبى طالب فلما سمعت ذلك صرخت و اعثماناه قتل عثمان مظلوما و ثار ما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل و ما بعده.

هذه خلاصه كلام الشيخ أبى يعقوب رحمه الله و لم يكن يتشيع و كان شديدا فى الاعتزال إلا أنه فى التفضيل كان بغداديا فأما قوله ع و لو دعيت لتنال من غيرى مثل ما أتت إلى لم تفعل فإنما يعنى به عمر يقول لو أن عمر ولى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذى قتل عليه و الوجه الذى أنا وليت الخلافة عليه و نسب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله أو يحرض عليه و دعيت عائشه إلى أن تخرج عليه فى عصابه من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنه و تنقض البيعه لم تفعل و هذا حقّ لأنّها لم تكن تجد على عمر ما تجده على على ع و لا الحال الحال .

فأما قوله و لها بعد حرمتها الأولى و الحساب على الله فإنه يعنى بذلك حرمتها بنكاح رسول الله ص لها و حبه إياها و حسابها على الله لأنه غفور رحيم لا يتعاضم عفوه زله و لا يضيق عن رحمته ذنب.

فإن قلت هذا الكلام يدل على توقفه ع في أمرها و أنتم تقولون إنها من أهل الجنة فكيف تجمعون بين مذهبيكم و هذا الكلام.

قلت يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها فإن أصحابنا يقولون إنها تابت بعد قتل أمير المؤمنين و ندمت و قالت لوددت أن لى من رسول الله ص عشره بنين كلهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل و إنها كانت بعد قتله تثنى عليه و تنشر مناقبه مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبل خمارها و أنها استغفرت الله و ندمت و لكن لم يبلغ أمير المؤمنين ع حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر و يثبت الحجة و الذى شاع عنها من أمر الندم و التوبه شياعا مستفيضا إنما كان بعد قتله ع إلى أن ماتت و هى على ذلك و التائب مغفور له و يجب قبول التوبه عندنا فى العدل و قد أكدوا وقوع التوبه منها ما روى فى الأخبار المشهوره أنها زوجه رسول الله ص فى الآخره كما كانت زوجته فى الدنيا و مثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها و لو لم ينقل فكيف و النقل لها يكاد أن يبلغ حد التواتر منه سبيل أبلغ المنهاج أنور السراج فبالإيمان يشهد على الصالحات و بالصالحات يشهد على الإيمان و بالإيمان يعمر العلم و بالعلم يزهد الموت و بالموت تختم الدنيا و بالدنيا تحرز الآخرة و بالقيامه تزلف الجنة و تبرز الجحيم

لِلْغَاوِينَ وَإِنَّ الْخَلْقَ لَآ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ مُرْقَلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

هو الآن فى ذكر الإيمان و عنه قال سبيل أبلج المنهاج أى واضح الطريق .

ثم قال فبالإيمان يستدل على الصالحات يريد بالإيمان هاهنا مسماه اللغوى لا الشرعى لأن الإيمان فى اللغة هو التصديق قال سبحانه وَ لَمَّا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا (١) أى بمصدق و المعنى أن من حصل عنده التصديق بالوحدانية و الرساله و هما كلمتا الشهاده استدلّ بهما على وجوب الأعمال الصالحه عليه أو ندبه إليها لأن المسلم يعلم من دين نبيه ص أنه أوجب عليه أعمالا صالحه و ندبه إلى أعمال صالحه فقد ثبت أن بالإيمان يستدل على الصالحات .

ثم قال و بالصالحات يستدل على الإيمان فالإيمان هاهنا مستعمل فى مسماه الشرعى لا فى مسماه اللغوى و مسماه الشرعى هو العقد بالقلب و القول باللسان و العمل بالجوارح فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يستكمل فعل كل واجب و يجتنب كل قبيح و لا شبهه أنا متى علمنا أو ظننا من مكلف أنه يفعل الأفعال الصالحه و يجتنب الأفعال القبيحه استدللنا بذلك على حسن إطلاق لفظ المؤمن عليه و بهذا التفسير الذى فسرناه نسلم من إشكال الدور لأن لقائل أن يقول من شرط الدليل أن يعلم قبل العلم بالمدلول فلو كان كل واحد من الإيمان و الصالحات يستدل به على الآخر لزم تقدم العلم بكل واحد منهما على العلم بكل واحد منهما فيؤدى إلى الدور و لا شبهه أن هذا الدور غير لازم على التفسير الذى فسرناه نحن.

ص: ٢٠١

ثم قال ع و بالإيمان يعمر العلم و ذلك لأن العالم و هو غير عامل بعلمه غير منتفع بما علم بل مستضر به غايه الضرر فكأن علمه خراب غير معمور و إنما يعمر بالإيمان و هو فعل الواجب و تجنب القبيح على مذهبنا أو الاعتقاد و المعرفة على مذهب غيرنا أو القول اللسانى على قول آخرين و مذهبنا أرجح لأن عماره العلم إنما تكون بالعمل من الأعضاء و الجوارح و بدون ذلك يبقى العلم على خرابه كما كان .

ثم قال و بالعلم يرهب الموت هذا من قول الله تعالى **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** (١) .

ثم قال و بالموت تختم الدنيا و هذا حق لأنه انقطاع التكليف .

ثم قال و بالدنيا تحرز الآخرة هذا كقول بعض الحكماء الدنيا متجر و الآخرة ربح و نفسك رأس المال .

ثم قال و بالقيامه تزلف **الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ** و تبرز **الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ** هذا من القرآن العزيز (٢) و تزلف لهم تقدم لهم و تقرب إليهم .

و لا مقصر لى عن كذا لا محبس و لا غايه لى دونه و أرقل أسرع و المضمار حيث تستبق الخيل منها- قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ
الْأَجْدَاثِ وَ صَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلِهَا

ص: ٢٠٢

(١-١) سورة فاطر ٢٨.

(٢-٢) من قوله تعالى: **وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**. سورة الشعراء ٩١، ٩٠.

لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجْلِ
وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ وَالرِّئْيُ النَّافِعُ وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَالنَّجَاهُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَا يَعْوُجُ فَيَقَامُ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ وَلَا يُخْلَقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

شخصوا

من بلد كذا خرجوا ومستقر الأجداد مكان استقرارهم بالقبور و هي جمع جدث .

و مصاير الغايات جمع مصير و الغايات جمع غايه و هي ما ينتهي إليه قال الكميت فالآن صرت إلى أميه و الأمور إلى مصاير .

ثم ذكر أن أهل الثواب و العقاب كل من الفريقين يقيم بدار لا يتحول منها و هذا كما

٢٠٣٠

وَرَدَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ يَنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَعَادَةٌ لَا فَنَاءَ لَهَا وَيَا أَهْلَ النَّارِ شِقَاوَةٌ لَا فَنَاءَ لَهَا .

ثم ذكر أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خلقان من خلق الله سبحانه و ذلك لأنه تعالى ما أمر إلا بالمعروف و ما نهى إلا
عن منكر و يبقى الفرق بيننا و بينه أنا يجب علينا النهي عن المنكر بالمنع منه و هو سبحانه لا- يجب عليه ذلك لأنه لو منع من
إتيان المنكر لبطل التكليف .

ثم قال إنهما لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق و إنما قال ع

ص: ٢٠٣

ذلك لأن كثيرا من الناس يكف عن نهى الظلمه عن المناكير توهما منه أنهم أما إن يبطشوا به فيقتلوه أو يقطعوا رزقه و يحرموه فقال ع إن ذلك ليس ممّا يقرب من الأجل و لا يقطع الرزق.

و ينبغي أن يحمل كلامه ع على حال السلامه و غلبه الظنّ بعدم تطرق الضرر الموفى على مصلحه النهى عن المنكر .

ثمّ أمر باتباع الكتاب العزيز و وصفه بما وصفه به .

و ماء نافع ينقع الغله أى يقطعها و يروى منها و لا- يزبغ يميل فيستعقب يطلب منه العتبي هى الرضا كما يطلب من الظالم يميل فيسترضى .

قال و لا يخلقه كثرة الرد و ولوج السمع هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله تعالى و ذلك أن كل كلام منشور أو منظوم إذا تكررت تلاوته و تردد ولوجه الأسماع مل و سمج و استهجن إلا القرآن فإنه لا يزال غضا طريا محبوبا غير مملول

ص: ٢٠٤

وقام إليه ع رجل فقال أخبرنا عن الفتنه و هل سألت عنها رسول الله ص فقال ع إِنَّهُ لَمَا أُنزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ ص بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي أَبِشْرُ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ وَ لَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ وَ قَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ يَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَيْطَوْتَهُ وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَ الْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيدِ وَ السُّحْتِ بِالْهَدْيَةِ وَ الرِّبَا بِالْبَيْعِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَبْمَنْزِلِهِ رَدَّهُ أَمْ بِمَنْزِلِهِ فِتْنَهُ فَقَالَ بِمَنْزِلِهِ فِتْنَهُ .

قد كان ع يتكلم فى الفتنة و لذلك ذكر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لذلك قال فعليكم بكتاب الله أى إذا وقع الأمر و اختلط الناس فعليكم بكتاب الله فلذلك قام إليه من سأله عن الفتنة

٢٠٣١

وَ هَذَا الْخَيْرُ مَرْوِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَدْ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَنْ عَلِيٍّ ع أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكَ جِهَادَ الْمُفْتُونِينَ كَمَا كَتَبَ عَلَيَّ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي كُتِبَ عَلَيَّ فِيهَا الْجِهَادُ قَالَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ هُمْ مُخَالِفُونَ لِلشَّيْءِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ أُفَاتِلُهُمْ وَ هُمْ يَشْهَدُونَ كَمَا أَشْهَدُ قَالَ عَلَى الْأَخْبَادِ فِي الدِّينِ وَ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ كُنْتَ وَعَدْتَنِي الشَّهَادَةَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَجِّلَهَا لِي بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ فَمَنْ يُفَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَ الْفَاسِقِينَ وَ الْمَارِقِينَ أَمَا إِنِّي وَعَدْتُكَ الشَّهَادَةَ وَ سَتُسْتَشْهَدُ تُضْرَبُ عَلَى هَذِهِ فَتُخَضَّبُ هَذِهِ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ ذَا بَمَوْطِنٍ صَبْرٍ هَذَا مَوْطِنٌ شُكْرٍ قَالَ أَجَلٌ أَصَبْتَ فَأَعِدْ لِلْخُصُومَةِ فَإِنَّكَ مُخَاصِمٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَيَّنْتَ لِي قَلِيلًا فَقَالَ إِنَّ أُمَّتِي سَتُفْتَنُ مِنْ بَعْدِي فَتَأْوُلُ الْقُرْآنَ وَ تَعْمَلُ بِالرَّأْيِ وَ تَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ وَ السُّحْتِ بِالْهَدْيَةِ وَ الرِّبَا بِالْبَيْعِ وَ تُحَرِّفُ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ تَغْلِبُ كَلِمَةَ الضَّلَالِ فَكُنْ جَلِيسَ بَيْتِكَ حَتَّى تُقْلِدَهَا فَإِذَا قُلِدَتْهَا جَاشَتْ عَلَيْكَ الصُّدُورُ وَ قَلِبَتْ لَكَ الْأُمُورُ تُقَاتِلُ حِينَئِذٍ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى تَنْزِيلِهِ فَلَيْسَتْ حَالُهُمُ الثَّانِيَةَ بِدُونَ حَالِهِمُ الْأُولَى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنزِلُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتُونِينَ مِنْ بَعْدِكَ أَمْ بِمَنْزِلِهِ فَتَنِيهِ أَمْ بِمَنْزِلِهِ رَدَّهُ فَقَالَ بِمَنْزِلِهِ فَتَنِيهِ يَعْمَهُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُمُ الْعِدْلُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْدِرِكُهُمُ الْعِدْلُ مِنَّا أَمْ مِنْ غَيْرِنَا قَالَ بَلْ مِنَّا بِنَا فَتَحْ وَ بِنَا يَحْتِمُ وَ بِنَا أَلْفَ اللَّهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ

ص: ٢٠٦

بَعْدَ الشُّرُكِ وَ بِنَا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ الْفِتْنَةِ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَهَبَ لَنَا مِنْ فَضْلِهِ .

و اعلم أن لفظه ع المروى فى نهج البلاغه يدل على أن الآيه المذكوره و هى قوله ع الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْزَلتَ بَعْدَ أَحَدٍ وَ هَذَا خِلاَفَ قَوْلِ أَرَبَابِ التَّفْسِيرِ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ أَوَّلُ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ وَ هِيَ عِنْدَهُمْ بِالِاتِّفَاقِ مَكِّيَّةٌ وَ يَوْمَ أَحَدٍ كَانَ بِالْمَدِينَةِ وَ يَنْبَغَى أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ خَاصَّةٌ أَنْزَلتَ بِالْمَدِينَةِ وَ أُضِيفتْ إِلَى السُّورَةِ الْمَكِّيَّةِ فَصَارَتَا وَاحِدَةً وَ غَلِبَ عَلَيْهَا نَسَبُ الْمَكِّيِّ لِأَنَّ الْأَكْثَرَ كَانَ بِمَكَّةَ وَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ كَسُورَةِ النَّحْلِ فَإِنَّهَا مَكِّيَّةٌ بِالِاجْتِمَاعِ وَ آخِرُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ أَنْزَلتَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ يَوْمِ أَحَدٍ وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِهِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَ لَسْنَا صَبْرَتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١).

فإن قلت فلم قال علمت أن الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله بين أظهرنا قلت لقوله تعالى وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ (٢).

و قوله حيزت عنى الشهاده أى منعت .

قوله ليس هذا من مواطن الصبر كلام عال جدا يدل على يقين عظيم و عرفان تام و نحوه

٢٠٣٢

١- قَوْلُهُ وَ قَدْ ضَرَبَهُ إِبْنُ مَلْجَمٍ فُرْتُ وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ .

ص: ٢٠٧

١- ١) سورة النحل ١٢٦-١٢٨.

٢- ٢) سورة الأنفال ٣٣.

قوله سيفتنون بعدى بأموالهم من قوله تعالى إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ (١).

قوله و يمتنون بدينهم على ربهم من قوله تعالى يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ (٢).

قوله و يتمنون رحمته من قوله أحقق الحمقى من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله .

قوله و يأمنون سطوته من قوله تعالى أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمِنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٣).

و الأهواء الساهيه

الغافله و السحت الحرام و يجوز ضم الحاء و قد أسحت الرجل فى تجارته إذا اكتسب السحت .

و فى قوله بل بمنزله فتنه تصديق لمذهبنا فى أهل البغى و أنهم لم يدخلوا فى الكفر بالكلية بل هم فساق و الفاسق عندنا فى منزله بين المنزلتين خرج من الإيمان و لم يدخل فى الكفر

ص: ٢٠٨

١-١) سورة الأنفال ٢٨.

٢-٢) سورة الحجرات ١٧.

٣-٣) سورة الأعراف ٩٩.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ وَ سَبِيًّا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَ دَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَ عَظَمَتِهِ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِيهِ بِالْمَاضِيْنَ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَ لَا يَبْقَى سِوَمَا مَا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ (١) كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُنْظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدَوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ وَ ارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ وَ مَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُعْيَانِهِ وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئِ أَعْمَالِهِ فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ وَ النَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لَا يُحْرِزُ مَنْ لَحِيَإ إِلَيْهِ إِلَّا وَ بِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَ بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْمَآئِفِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ فَشِدَّةُ قُوَّةٍ لَا زِمَةَ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَرَوْدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبُقَاءِ قَدْ دُلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أَمَرْتُمْ بِالظَّنِّ وَ حَشِشْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَ قُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ إِلَّا فَمَا يَصْنَعُ بِالذُّنْيَا مَنْ

ص: ٢٠٩

خَلِقَ لِلْآخِرَةِ وَ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَّبُهُ وَ تَبَقَى عَلَيْهِ تَبِعْتُهُ وَ حِسَابُهُ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مُتْرَكٌ وَ لَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ وَ تَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رِصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ عُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ وَ حِفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَدَدَ أَنْفُسِكُمْ لَا تَسْتُرْكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَهُ لَيْلٍ دَاجٍ وَ لَا- يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ وَ إِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ وَ يَجِيءُ الْغَدُ لِاحِقًا بِهِ فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِيٍّ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدِهِ وَ مَنْزِلٍ وَحْشِهِ وَ مَفْرَدٍ غُرْبِهِ وَ كَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ وَ السَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَ بَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ قَدْ زَا حَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ وَ اضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ وَ صَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ وَ اعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ وَ اتَّقُوا بِالنُّذُرِ .

جعل الحمد مفتاحا لذكره

لأن أول الكتاب العزيز الحمد لله رب العالمين والقرآن هو الذكر قال سبحانه [□] إنا نحن نزلنا الذكر [□] وإنا له لحافظون (١)

ص: ٢١٠

(١-١) سورة الحجر ٩.

لأنه تعالى قال لئن شكرتم لأزيدنكم (١) و الحمد هاهنا هو الشكر و معنى جعله الحمد دليلا على عظمته و آلائه أنه إذا كان سببا للمزيد فقد دل ذلك على عظمه الصانع و آلائه أما دلالاته على عظمته فلائه دال على أن قدرته لا تتناهى أبدا بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة و أما دلالاته على آلائه فلائه لا جود أعظم من جود من يعطى من يحمده لا حمدا متطوعا بل حمدا واجبا عليه .

قوله يجرى بالباقيين كجرىه بالماضين من هذا أخذ الشعراء و غيرهم ما نظموه فى هذا المعنى قال بعضهم مات من مات و الثريا الثريا

و قال آخر فما الدهر إلا كالزمان الذى مضى و لا نحن إلا كالقرون الأوائل .

قوله لا يعود ما قد ولى منه كقول الشاعر ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع (٢) .

قوله و لا يبقى سرمد ما فيه كلام مطروق المعنى قال عدى ليس شىء على المنون بياق غير وجه المهيمن الخلاق .

قوله آخر أفعاله كأوله يروى كأولها و من رواه كأوله أعاد الضمير إلى الدهر أى آخر أفعال الدهر كأول الدهر فحذف المضاف .

متشابهه أموره

لأنه كما كان من قبل يرفع و يضع و يغنى و يفقر و يوجد

ص: ٢١١

١- ١) سورة إبراهيم ٧.

٢- ٢) للبحترى، ديوانه ٢: ١٠٠.

و يعدم فكذلك هو الآن أفعاله متشابهه و روى متسابقه أى شىء منها قبل شىء كأنها خيل تتسابق فى مضمار .

متظاهره أعلامه

أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بها قديما و حديثا متظاهره يقوى بعضها بعضا و هذا الكلام جار منه ع على عاده العرب فى ذكر الدهر و إنما الفاعل على الحقيقه ربّ الدهر .

و الشول النوق التى خف لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحده شائله و هى جمع على غير القياس و شولت الناقه أى صارت شائله فأما الشائل بغير هاء فهى الناقه تشول بذنبها للقاح و لا لبن لها أصلا و الجمع شول مثل راع و راع قال أبو النجم كأن فى أذناهن الشول (١) .

و الزاجر الذى يزر الإبل يسوقها و يقال حدوت إبلى و حدوت بإبلى و الحدو سوقها و الغناء لها و كذلك الحداء و يقال للشمال حدواء لأنها تحدو السحاب أى تسوقه قال العجاج حدواء جاءت من بلاد الطور (٢) .

و لا يقال للمذكر أحدى و ربما قيل للحمار إذا قدم أنه حد قال ذو الرمه حادى ثلاث من الحقب السماجج (٣) .

و المعنى أن سائق الشول يعسف بها و لا يتقى سوقها و لا يدارك كما يسوق العشار (٤) .

ص: ٢١٢

١-١) اللسان(شول).

٢-٢) ديوانه ٢٨.

٣-٣) ديوانه ٧٨، و صدره: *كأنه حين يرمى خلفهّن به*

٤-٤) العشار من الإبل:التى قد أتى عليها عشره أشهر.

ثم قال ع من شغل نفسه بغير نفسه هلك و ذلك أن من لا يوفى النظر حقه و يميل إلى الأهواء و نصره الأسلاف و الحجاج عما ربي عليه بين الأهل و الأستاذين الذين زرعوها في قلبه العقائد يكون قد شغل نفسه بغير نفسه لأنه لم ينظر لها و لا قصد الحق من حيث هو حقّ و إنما قصد نصره مذهب معين يشق عليه فراقه و يصعب عنده الانتقال منه و يسوؤه أن يرد عليه حجه تبطله فيسهر عينه و يتعب قلبه في تهويس (١) تلك الحجج و القدح فيها بالغث و السمين لا لأنه يقصد الحق بل يقصد نصره المذهب المعين و تشييد دليله لا جرم أنه متحير في ظلمات لا نهايه لها .

و الارتباك الاختلاط ربكت الشيء أربكه ربكا خلطته فارتبك أي اختلط و ارتبك الرجل في الأمر أي نشب فيه و لم يكذب يتخلص منه .

قوله و مدت به شياطينه في طغيانه مأخوذ من قوله تعالى وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢) .

و روى و مدت له شياطينه باللام و معناه الإمهال مد له في الغي أي طول له و قال تعالى قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا (٣) .

قوله و زينت له سيئ أعماله مأخوذ من قوله تعالى أَمْ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا (٤) .

قوله التقوى دار حصن عزيز معناه دار حصانه عزيزه فأقام الاسم مقام المصدر و كذلك في الفجور .

و يحرز من لجأ إليه يحفظ من اعتصم به .

ص: ٢١٣

١-١) تهويس الحجج: إفسادها.

٢-٢) سورة الأعراف ٢٠٢.

٣-٣) سورة مريم ٧٥.

٤-٤) سورة فاطر ٨.

و حمه الخطايا سمها و تقطع الحمه كما تقول قطعت سريان السم فى بدن الملسوع بالبازهرات و الترياقات فكأنه جعل سم الخطايا ساريا فى الأبدان و التقوى تقطع سريانه .

قوله و باليقين تدرك الغايه القصوى و ذلك لأن أقصى درجات العرفان الكشف و هو المراد هاهنا بلفظ اليقين .

و انتصب الله على الإغراء و فى متعلقه بالفعل المقدر و تقديره راقبوا و أعز الأنفس عليهم أنفسهم .

قوله فشقوه لازمه مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره فغايتمكم أو فجزأؤكم أو فشانكم و هذا يدل على مذهبنا فى الوعيد لأنه قسم الجزاء إلى قسمين إما العذاب أبدا أو النعيم أبدا و فى هذا بطلان قول المرجئه إن ناسا يخرجون من النار فيدخلون الجنة لأن هذا لو صح لكان قسما ثالثا .

قوله فقد دلتم على الزاد أى الطاعه .

و أمرتم بالظعن

أى أمرتم بهجر الدنيا و أن تظعنوا عنها بقلوبكم و يجوز الظعن بالتسكين .

و حثتم على المسير

لأن الليل و النهار سائقان عنيقان .

قوله و إنما أنتم كركب و قوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير السير هاهنا هو الخروج من الدنيا إلى الآخرة بالموت جعل الناس و مقامهم فى الدنيا كركب و قوف لا يدرون متى يقال لهم سيروا فيسيرون لأن الناس لا يعلمون الوقت الذى يموتون فيه فإن قلت كيف سمى الموت و المفارقة سيرا .

قلت لأن الأرواح يعرج بها إما إلى عالمها و هم السعداء أو تهوى إلى أسفل

السافلين و هم الأشقياء و هذا هو السير الحقيقي لا حركة الرجل بالمشى و من أثبت الأنفس المجرده قال سيرها خلوصها من عالم الحس و اتصالها المعنوى لا الأبدى بيارئها فهو سير فى المعنى لا فى الصورة و من لم يقل بهذا و لا بهذا قال إن الأبدان بعد الموت تأخذ فى التحلل و التزائل فيعود كل شىء منها إلى عنصره فذاك هو السير .

و ما فى عما قليل زائده و تبعته إثمه و عقوبته .

قوله إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك أى ليس الثواب فيما ينبغى للمرء أن يتركه و لا الشر فيما ينبغى أن يرغب المرء فيه .

و تفحص فيه الأعمال تكشف و الزلزال بالفتح اسم للحركة الشديده و الاضطراب و الزلزال بالكسر المصدر قال تعالى وَ زُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا (١) .

قوله و يشيب فيه الأطفال كلام جار مجرى المثل يقال فى اليوم الشديد إنه ليشيب نواصى الأطفال و قال تعالى فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (٢) و ليس ذلك على حقيقته لأن الأمه مجمعه على أن الأطفال لا تتغير حالهم فى الآخره إلى الشيب و الأصل فى هذا أن الهموم و الأحزان إذا توالى على الإنسان شاب سريعاً قال أبو الطيب و الهم يخترم الجسيم نحافه و يشيب ناصيه الصبى و يهرم (٣) .

قوله إن عليكم رسداً من أنفسكم و عيوناً من جوارحك لأن الأعضاء تنطق فى القيامه بأعمال المكلفين و تشهد عليهم.

ص: ٢١٥

١-١ (١) سورة الأحزاب ١١.

١٧-٢ (٢) سورة المزمل ١٧.

١٢٤:٣-٣ (٣) ديوانه ١٢٤:٤.

و الرصد جمع راصد كالحرس جمع حارس .

قوله و حفاظ صدق يعنى الملائكة الكاتبين لا- يعتصم منهم بستره و لا- ظلام ليل و من هذا المعنى قول الشاعر إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت و لكن قل على رقيب قوله و إن غدا من اليوم قريب و منه قول القائل فإن غدا لناظره قريب (١) .

منه قوله غد ما غد ما أقرب اليوم من غد.

و منه قول الله تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٢) و الصيحه نفخه الصور .

و زاحت الأباطيل بعدت و اضمحلت تلاشت و ذهبت .

قوله و استحقت أى حقت و وقعت استفعل بمعنى فعل كقولك استمر على باطله أى مر عليه .

و صدرت بكم الأمور مصادرها

كل وارد فله صدر عن مورده و صدر الإنسان عن موارد الدنيا الموت ثم البعث

ص: ٢١٦

١-١ صدره: *فإن يك صدر هذا اليوم ولّى*

٢-٢ سورة هود ٨١.

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعِهِ مِنَ الْأُمَمِ وَ انْتِقَاضِ مِنَ الْمُبْرَمِ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ النُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ
ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطَقُوهُ وَ لَنْ يُنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ أَلَا- إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا
بَيْنَكُمْ .

الهجعه النومه الخفيفه و قد تستعمل فى النوم المستغرق أيضا و المبرم الحبل المفتول و الذى بين يديه التوراه و الإنجيل . فإن
قلت التوراه و الإنجيل قبله فكيف جعلهما بين يديه قلت أحد جزأى الصله محذوف و هو المبتدأ و التقدير بتصديق الذى هو بين
يديه و هو ضمير القرآن أى بتصديق الذى القرآن بين يديه و حذف أحد جزأى الصله هاهنا ثم حذفه فى قوله تعالى ^تتَمَاماً عَلَى
الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً (١) فى قراءه من جعله اسما

ص: ٢١٧

مرفوعاً و أيضاً فإن العرب تستعمل بين يديه بمعنى قبل قال تعالى بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (١) أى قبله مِنْهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِيدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظَّالِمَةُ تَرْحَهُ وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَهُ فَيَوْمئذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ أَصِفْنِيئُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرِ أَهْلِهِ وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ وَ سَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَا كَلَّا بِمَا كَلَّ وَ مَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعُلُقَمِ وَ مَشَارِبِ الصَّبْرِ وَ الْمَقْرِ وَ لِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَ دِثَارِ السَّيْفِ وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَ زَوَامِلُ الْأَثَامِ فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِّيهِ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّخَامَةَ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا [تَتَطَعَّمُ]

تَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ .

الترحه الحزن قال فحينئذ لا يبقى لهم أى يحيق بهم العذاب و يبعث الله عليهم من ينتقم و هذا إخبار عن ملك بنى أمية بعده و زوال أمرهم عند تفاقم فسادهم فى الأرض .

ثم خاطب أولياء هؤلاء الظلمه و من كان يؤثر ملكهم فقال أصفيتم بالأمر

ص: ٢١٨

أصفت فلانا بكذا خصصته به و صفيه المغنم شيء كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمه .

و أوردتموه غير وردة

أنزلتموه عند غير مستحقه ثم قال سيبدل الله ماكلهم اللذيذه الشهيه بمأكل مريره علقميه و المقر المر و مأكلا منصوب بفعل مقدر أى يأكلون مأكلا و الباء هاهنا للمجازاه الداله على الصله كقوله تعالى فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ (١) و كقول أبى تمام فيما قد أراه ريان مكسو المعانى من كل حسن و طيب (٢) و قال سبحانه قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (٣) و جعل شعارهم الخوف لأنه باطن فى القلوب و دثارهم السيف لأنه ظاهر فى البدن كما أن الشعار ما كان إلى الجسد و الدثار ما كان فوقه .

و مطايا الخطيات حوامل الذنوب و زوامل الآثام جمع زامله و هى بعير يستظهر به الإنسان يحمل متاعه عليه قال الشاعر زوامل أشعار و لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر (٤) و تنخمت النخامه إذا تنخعتها و النخامه النخاعه .

و الجديدان الليل و النهار و قد جاء فى الأخبار الشائعه المستفيضه فى كتب المحدثين أن رسول الله ص أخبر أن بنى أميه تملك الخلافه بعده مع ذم منه ع

ص: ٢١٩

١-١) سورة النساء ١٥٥.

٢-٢) ديوانه ١:١٢٤.

٣-٣) سورة القصص ١٧.

٤-٤) بعده: لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما فى الغرائر و البيتان لمروان بن سليمان بن أبى حفصه، يهجو قوما من رواه الشعر (اللسان-زمل).

لهم نحو ما روى عنه في تفسير قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (١) فَإِن
المفسرين قالوا

٢٠٣٣

١- إِنَّهُ رَأَى بَنِي أُمِّيَّةَ يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ نَزْوِ الْقَرْدَةِ هَذَا لَفِظُ رَسُولِ اللَّهِ ص الَّذِي فَسَّرَ لَهُمُ الْعَايَةَ بِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ الشَّجَرَةُ
الْمَلْعُونَةُ بَنُو أُمِّيَّةَ وَبَنُو الْمُغِيرَةَ .

و نحو

٢٠٣٤

قَوْلِهِ ص إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَهُ خَوْلًا .

وَ نَحْوُ

٢٠٣٥

قَوْلِهِ ص فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٢) قَالَ أَلْفَ شَهْرٍ يَمْلِكُ فِيهَا بَنُو أُمِّيَّةَ .

و ورد عنه ص من ذمهم الكثير المشهور نحو

٢٠٣٦

قَوْلِهِ أَبْغَضُ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ الْحَكْمُ وَ هِشَامٌ وَ الْوَلِيدُ .

و

٢٠٣٧

فِي خَبَرِ آخَرَ اسْمَانِ يُبْغِضُهُمَا اللَّهُ مَرْوَانُ وَ الْمُغِيرَةُ .

و نحو

٢٠٣٨

قَوْلِهِ إِنَّ رَبَّكُمْ يُحِبُّ وَ يُبْغِضُ كَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ وَ يُبْغِضُ وَ إِنَّهُ يُبْغِضُ بَنِي أُمِّيَّةَ وَ يُحِبُّ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

فإن قلت كيف قال ثم لا تذوقها أبدا وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مده طويله قلت الاعتبار بملك العراق و

الحجاز و ما عداهما من الأقاليم لا اعتداد به

ص: ٢٢٠

١-١) سورة الإسراء ٦٠.

٢-٢) سورة القدر ٣.

وَلَقَدْ أَحْسَنَتْ جَوَارِكُمْ وَأَحَطَتْ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّ الدُّلِّ وَحَلَقِ الضَّمِيمِ شُكْرًا مَنِّي لِلْبَرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقًا عَمَّا
أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ وَشَهَدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

أحطت بجهدى من ورائكم

حميتكم و حضنتكم و الجهد بالضم الطاقه الربق جمع ربقه و هى الحبل يربق به بهم.

و حلق الضميم جمع حلقه بالتسكين و يجوز حلق بكسر الحاء و حلاق فإن قلت كيف يجوز له أن يطرق و يغضى عن المنكر.

قلت يجوز له ذلك إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن نهاهم عنه لم يرتدعوا و أضافوا إليه منكرا آخر فحيثئذ يخرج الإطراق و الإغضاء عن حدّ الجواز إلى حدّ الوجوب لأن النهى عن المنكر يكون و حاله هذه مفسده

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَةٌ وَ رِضَاءٌ أَمِيَانٌ وَ رَحْمَةٌ يَفِضُّ بِعِلْمٍ وَ يَغْفُو بِحِلْمٍ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِي وَ عَلَى مَا تُعَافِي وَ تَبْتَلِي حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَ أَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ حَمْدًا لَا يَحْجُبُ عَنْكَ وَ لَا يَقْصِرُ دُونَكَ حَمْدًا لَا يَنْقُطُ عِدْدُهُ وَ لَا يَفْنَى مِدْدُهُ فَلَسِيْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ وَ لَمْ يُدْرِكْكَ بَصِيرٌ أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارَ وَ أَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ وَ أَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامَ وَ مَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ نَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَ نَصَبُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ وَ مَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ وَ انْتَهَتْ عَقُولُنَا دُونَهُ وَ حَالَتِ سِيَوَاتِرُ الْعُيُوبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ أَعْظَمُ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَيِّمَاتِكَ وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا وَ عَقْلُهُ مَبْهُورًا وَ سَمِعُهُ وَالَهَا وَ فِكْرُهُ حَائِرًا .

يجوز أن يكون أمره هاهنا هو الأمر الفعلي لا الأمر القولي كما يقال أمر فلان مستقيم و ما أمر كذا و قال تعالى وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا
وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالبَصْرِ (١) وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَّمَحِ البَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (٢) فيكون المعنى أن شأنه تعالى ليس إلا أحد شيئين و
هما أن يقول و أن يفعل فعبر عن أن يقول بقوله قضاء لأن القضاء الحكم و عبر عن أن يفعل بقوله و حكمه لأن أفعاله كلها تتبع
دواعي حكمه و يجوز أن يكون أمره هو الأمر القولي و هو المصدر من أمر له بكذا أمرا فيكون المعنى أن أوامره إيجاب و
إلزام بما فيه حكمه و مصلحه و قد جاء القضاء بمعنى الإلزام و الإيجاب في القرآن العزيز في قوله وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ (٣) أى أوجب و ألزم .

قوله و رضاه أمان و رحمه لأن من فاز بدرجة الرضا فقد أمن و حصلت له الرحمه لأن الرضا رحمه و زياده .

قوله يقضى بعلم أى يحكم بما يحكم به لأنه عالم بحسن ذلك القضاء أو وجوبه فى العدل .

قوله و يعفو بحلم أى لا يعفو عن عجز و ذل كما يعفو الضعيف عن القوى بل هو قادر على الانتقام و لكنه يحلم .

ثم حمد الله تعالى على الإعطاء و الأخذ و العافيه و البلاء لأن ذلك كله من عند الله لمصالح للمكلف يعلمها و ما (٤) يعلمها
المكلف و الحمد على المصالح واجب .

ص : ٢٢٣

١- ١) سورة القمر ٥٠.

٢- ٢) سورة النحل ٧٧.

٣- ٣) سورة الإسراء ٢٣.

٤- ٤) د: «ولا».

ثم أخذ في تفخيم شأن ذلك الحمد و تعظيمه و المبالغه في وصفه احتذاء

٢٠٣٩

بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص

الْحَمْدُ لِلَّهِ زِنَةٌ عَزِيْزَةٌ لِلَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ سَمَائِهِ وَ أَرْضِهِ .

فقال ع حمدا يكون أرضى الحمد لك أى يكون رضاك له أوفى و أعظم من رضاك بغيره و كذلك القول فى أحب و أفضل

قوله و يبلغ ما أردت أى هو غايه ما تنتهى إليه الإراده و هذا كقول الأعرابيه فى صفه المطر غشينا ما شئنا و هو من فصيح الكلام

قوله لا يحجب عنك لأن الإخلاص يقارنه و الرياء متنف عنه.

قوله و لا يقصر دونك أى لا يجبس أى لا مانع عن وصوله إليك و هذا من باب التوسع و معناه أنه برىء من الموانع عن إثمارة الثواب و اقتضائه إياه و روى و لا يقصر من القصور و روى و لا يقصر من التقصير .

ثم أخذ فى بيان أن العقول قاصره عن إدراك البارى سبحانه و العلم به و أنا إنما نعلم منه صفات إضافية أو سلبيه كالعلم بأنه حى و معنى ذلك أنه لا- يستحيل على ذاته أن يعلم و يقدر و أنه قيوم بمعنى أن ذاته لا- يجوز عليها العدم أى يقيم الأشياء و يمسكها و كل شىء يقيم الأشياء كلها و يمسكها فليس بمحتاج إلى من يقيمه و يمسكه و إلا لم يكن مقيما و ممسكا لكل شىء و كل من ليس بمحتاج إلى من يقيمه و يمسكه فذاته لا يجوز عليها العدم و أنه تعالى لا تأخذه سنه و لا نوم لأن هذا من صفات الأجسام و ما لا يجوز عليها العدم لا يكون جسما و لا يوصف بخواص الأجسام و لوازمها فإنه لا ينتهى إليه نظر لأن انتهاء النظر إليه يستلزم مقابله و هو تعالى منزه عن الجهد و إلا لم يكن ذاته مستحيلا عليها العدم و أنه لا يدركه بصر لأن إبصار الأشياء بانطباع أمثلتها فى الرطوبه الجليديه كانطباع أشباح المرثيات فى المرآه و البارى تعالى لا يتمثل و لا يتشبح و إلا لم يكن

ص: ٢٢٤

قيوما و أنه يدرك الأبصار لأنه إما عالم لذاته أو لأنه حي لا آفه به و أنه يحصى الأعمال لأنه عالم لذاته فيعلم كل شيء حاضرا و ماضيا و مستقبلا و أنه يأخذ بالتواصي و الأقدام لأنه قادر لذاته فهو متمكن من كل مقدور .

ثم خرج إلى فن آخر فقال و ما الذى نعجب لأجله من قدرتك و عظيم ملكك و الغائب عنا من عظمتك أعظم من الحاضر مثال ذلك أن جرم الشمس أعظم من جرم الأرض مائه و ستين مره و لا نسبه لجرم الشمس إلى فلکها المائل و لا نسبه لفلکها المائل إلى فلکها المميل و فلک تدوير المريخ الذى فوقها أعظم من مميل الشمس و لا نسبه لفلک تدوير المريخ إلى فلک المميل و فلک تدوير المشتري أعظم من مميل المريخ و لا نسبه لفلک تدوير المشتري إلى فلک المميل و فلک تدوير زحل أعظم من مميل المشتري و لا نسبه لفلک تدوير زحل إلى مميل زحل و لا نسبه لمميل زحل إلى كره الثوابت و لا نسبه لكره الثوابت إلى الفلك الأطللس الأقصى فانظر أى نسبه تكون الأرض بكليتها على هذا الترتيب إلى الفلك الأطللس و هذا مما تقصر العقول عن فهمه و تنتهى دونه و تحول سواتر الغيوب بينها و بينه كما قال ع .

ثم ذكر أن من أعمل فكره ليعلم كيف أقام سبحانه العرش و كيف ذرأ الخلق و كيف علق السماوات بغير علاقه و لا عمد و كيف مد الأرض على الماء رجع طرفه حسيرا و عقله مبهورا و هذا كله حقّ و من تأمل كتبنا العقلية و اعتراضنا على الفلاسفه الذين عللوا هذه الأمور و زعموا أنهم استنبطوا لها أسبابا عقلية و ادعوا وقوفهم على كنهها و حقائقها علم صحه ما ذكره ع من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى و عظيم مخلوقاته بمكيال عقله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً .

و روى و فكره جائرا بالجيم أى عادلا عن الصواب و الحسير المتعب و المبهور المغلوب و الواله المتحير منها يدعى بزعمه أنه يزجو الله كذب و العظیم ما ياله لا يتبين رجاؤه فى عمله فكل من رجا عرف رجاؤه فى عمله إلا رجاء الله فإنه مدخول و كل خوف محقق إلا - خوف الله فإنه مغلول يزجو الله فى الكبير و يزجو العباد فى الصغير فيعطى العبد ما لا يعطى الرب فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع به لعباده أ تخاف أن تكون فى رجائك له كاذبا أو تكون لا تراه للرجاء مؤذعا و كذلك إن هو خاف عبداً من عبده أعطاه من خوفه ما لا يعطى ربه فجعل خوفه من العباد نقداً و خوفه من خالقه ضمهارة و وعداً و كذلك من عظمت الدنيا فى عينه و كبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع إليها و صار عبداً لها .

يجوز بزعمه بالضم و بزعمه بالفتح و بزعمه بالكسر ثلاث لغات أى بقوله فأما من زعمت أى كفلت فالمصدر الزعم بالفتح و الزعامه

ثم أقسم على كذب هذا الزاعم فقال و العظیم و لم يقل و الله العظیم تأكيدا لعظمه البارئ سبحانه لأن الموصوف إذا ألقى و ترك و اعتمد على الصفه حتى صارت كالاسم كان أدل على تحقق مفهوم الصفه كالحارث و العباس . ثم بين مستند هذا التكذيب فقال ما بال هذا الزاعم أنه يرجو ربه و لا يظهر رجائه في عمله فإننا نرى من يرجو واحدا من البشر يلازم بابه و يواظب على خدمته و يتجنب إليه و يتقرب إلى قلبه بأنواع الوسائل و القرب ليظفر بمراده منه و يتحقق رجائه فيه و هذا الإنسان الذى يزعم أنه يرجو الله تعالى لا يظهر من أعماله الدينيه ما يدل على صدق دعواه و مراده ع هاهنا ليس شخصا بعينه بل كل إنسان هذه صفته فالخطاب له و الحديث معه .

ثم قال كل رجاء إلا رجاء الله فهو مدخول أى معيب و الدخل بالتسكين العيب و الريبه و من كلامهم ترى الفتیان كالنخل و ما يدريك ما الدخل (١) و جاء الدخل بالتحريك أيضا يقال هذا الأمر فيه دخل و دغل بمعنى قوله تعالى وَ لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ (٢) أى مكررا و خديعه و هو من هذا الباب أيضا .

ثم قال و كل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول محقق أى ثابت أى كل خوف حاصل حقيقه فإنه مع هذا الحصول و التحقق معلول ليس بالخوف الصريح إلا خوف الله وحده و تقواه و هيئته و سطوته و سخطه ذلك لأن الأمر الذى يخاف من العبد سريع الانقضاء و الزوال و الأمر الذى يخاف من البارئ تعالى لا غاية له و لا انقضاء لمحدوره كما قيل

٢٠٤٠

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ .

ص: ٢٢٧

١-١) مثل، و أول من قالته عثمه بنت مطرود البجليه. و انظر الفاخر ١٥٦.

٢-٢) سورة النحل ٩٤.

ثم عاد إلى الرجاء فقال يرجو هذا الإنسان الله في الكثير أى يرجو رحمته في الآخرة و لا يتعلق رجاءه بالله تعالى إلا في هذا الموضوع فأما ما عدا ذلك من أمور الدنيا كالمكاسب و الأموال و الجاه و السلطان و اندفاع المضار و التوصل إلى الأغراض بالشفاعات و التوسلات فإنه لا يخطر له الله تعالى ببال بل يعتمد في ذلك على السفراء و الوسطاء و يرجو حصول هذه المنافع و دفع هذه المضار من أبناء نوعه من البشر فقد أعطى العباد من رجائه ما لم يعطه الخالق سبحانه فهو مخطئ لأنه إما ألا يكون هو في نفسه صالحاً لأن يرجوه سبحانه و إما ألا يكون البارئ تعالى في نفسه صالحاً لأن يرجى فإن كان الثاني فهو كفر صراح و إن كان الأول فالعبد مخطئ حيث لم يجعل نفسه مستعداً لفعل الصالحات لأن يصلح لرجاء البارئ سبحانه .

ثم انتقل ع إلى الخوف فقال و كذلك إن خاف هذا الإنسان عبداً مثله خافه أكثر من خوفه البارئ سبحانه لأن كثيراً من الناس يخافون السلطان و سطوته أكثر من خوفهم مؤاخذه البارئ سبحانه و هذا مشاهد و معلوم من الناس فخوف بعضهم من بعض كالنقد المعجل و خوفهم من خالقهم ضمارة و وعد و الضمارة ما لا يرجى من الوعود و الديون قال الراعي حمدن مزاره و أصبن منه عطاء لم يكن عده ضمارة (١) .

ثم قال و كذلك من عظمت الدنيا في عينه يختارها على الله و يستعبده حبها و يقال كبر بالضم يكبر أى عظم فهو كبير و كبار بالتخفيف فإذا أفرط قيل

ص: ٢٢٨

(١ - ١) اللسان ١٦٤:٦، و قبله: و أنضاد أنحن إلى سعيد طروقاً ثم عجلن ابتكاراً .

كبار بالتشديد فأما كبر بالكسر فمعناه أسن و المصدر منهما كبرا بفتح الباء و لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ص كَافٍ لَكَ فِي الْأَسْوَةِ وَ دَلِيلٌ لِمَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَ عَيْبِهَا وَ كَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَ مَسَاوِيهَا إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَ وُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وَ فُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا وَ زُويَ عَنْ زَخَافِهَا وَ إِنَّ شِئْتُمْ تَنْبِئْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ص حَيْثُ يَقُولُ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَ اللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَهُ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرُهُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صَفَاقِ بَطْنِهِ لِهَرَالِهِ وَ تَشَدَّبَ لَحْمِهِ وَ إِنَّ شِئْتُمْ ثَلَّثْتُ بَدَاوِدَ ص صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَ قَارِيِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ وَ يَقُولُ لِجَلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا وَ يَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا وَ إِنَّ شِئْتُمْ قُلْتُ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ع فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَ يَلْبَسُ الْخَشْنَ وَ يَأْكُلُ الْجَشْبَ وَ كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سَرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَ ظِلَالُهُ فِي الشَّيَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا وَ فَاكِهَتُهُ وَ رِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ وَ لَمْ تُكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَ لَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَ لَا مَالٌ يَلْفِتُهُ وَ لَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ دَابَّتُهُ رِجَالُهُ وَ خَادِمُهُ يَدَاهُ .

يجوز أسوه و إسوه و قرئ التنزيل بهما و المساوي العيوب ساءه كذا يسوؤه سوءا بالفتح و مساءه و مسائيه و سوته سوايه و مسايه بالتخفيف أى ساءه ما رآه منى و سأل سيبويه الخليل عن سوائيه فقال هى فعاليه بمنزله علانيه و الذين قالوا سوايه حذفوا الهمزه تخفيفا و هى فى الأصل قال و سألته عن مسائيه فقال هى مقلوبه و أصلها مساوته فكرهوا الواو مع الهمزه و الذين قالوا مسايه حذفوا الهمزه أيضا تخفيفا و من أمثالهم الخيل تجرى فى مساويها أى أنها و إن كانت بها عيوب و أوصاب فإن كرمها يحملها على الجرى.

و المخازى جمع مخزاه و هى الأمر يستحى من ذكره لقبحه و أكنافها جوانبها و زوى قبض و زخارف جمع زخرف و هو الذهب

٢٠٤١

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنَّهُ قَالَ عَرِضْتُ عَلَى كُنُوزِ الْأَرْضِ وَ دُعِيتُ إِلَى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِهَا فَكَرِهْتُهَا وَ اخْتَرْتُ الدَّارَ الْآخِرَةَ.

و جاء فى الأخبار الصحيحه

٢٠٤٢

١٤- أَنَّهُ كَانَ يَجُوعُ وَ يَشُدُّ حَجْرًا عَلَى بَطْنِهِ وَ أَنَّهُ مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ لَحْمٍ قَطُّ .

٢٠٤٣

١٥,١,٢,٣- وَ أَنَّ فَاطِمَةَ وَ بَعْلَهَا وَ ٢ بَنِيهَا كَانُوا يَأْكُلُونَ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَ أَنَّهُمْ آثَرُوا سَائِلًا بِأَرْبَعَةِ أَقْرَاصٍ مِنْهُ كَانُوا أَعْدُوها لِفُطُورِهِمْ وَ بَاتُوا جِياعاً .

٢٠٤٤

١٤- وَ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَلَكٌ قَطْعَهُ وَاسِعَةً مِنَ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَدَنَّسْ مِنْهَا بِقَلِيلٍ وَ لَا كَثِيرٍ وَ لَقَدْ كَانَتِ الْإِبِلُ الَّتِي غَنِمَهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ بَعِيرٍ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا وَبَرَةً لِنَفْسِهِ وَ فَرَقَهَا كُلَّهَا عَلَى النَّاسِ .

و هكذا كانت شيمته و سيرته فى جميع أحواله إلى أن توفى .

و الصفاق الجلد الباطن الذى فوقه الجلد الظاهر من البطن و شفيفه رقيقه الذى يستشف ما وراءه و بالتفسير الذى فسر ع الآيه فسرهما المفسرون و قالوا إن

ص: ٢٣٠

خضره البقل كانت ترى فى بطنه من الهزال و إنه ما سأل الله إلا أكله من الخبز و ما فى لِمَا أُنزِلَتْ بمعنى أى أى إننى لأى شىء أنزلت إلى قليل أو كثير غث أو سمين فقير.

فإن قلت لم عدى فقيرا باللام و إنما يقال فقير إلى كذا قلت لأنه ضمن معنى سائل و مطالب و من فسر الآية بغير ما ذكره ع لم يحتج إلى الجواب عن هذا السؤال فإن قوما قالوا أراد إننى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير أى من خير الدين و هو النجاه من الظالمين فإن ذلك رضا بالبدل السننى و فرحابه و شكره له.

و تشذب اللحم تفرقه و المزامير جمع مزار و هو الآله التى يزمر فيها و يقال زمر يزمر و يزمر بالضم و الكسر فهو زمار و لا يكاد يقال زامر و يقال للمرأة زامره و لا- يقال زماره فأما الحديث أنه نهى عن كسب الزماره فقالوا إنها الزانية هاهنا و يقال إن داود أعطى من طيب النغم و لذه ترجيع القراءه ما كانت الطيور لأجله تقع عليه و هو فى محرابه و الوحش تسمعه فتدخل بين الناس و لا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته و

٢٠٤٥

١٤- قَالَ النَّبِيُّ ص لِأَبِي مُوسَى وَ قَدْ سَمِعَهُ يَقْرَأُ لَقَدْ أُوتِيَتْ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ وَ كَانَ أَبُو مُوسَى سَجِيَّ الصَّوْتِ إِذَا قَرَأَ .

و

٢٠٤٦

وَرَدَ فِي الْخَبْرِ

دَاوُدُ قَارِئُ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

و سفائف الخوص جمع سفيفه و هى النسيجه منه سففت الخوص و أسففته بمعنى و هذا الذى ذكره ع عن داود يجب أن يحمل على أنه شرح حاله قبل أن يملك فإنه كان فقيرا فأما حيث ملك فإن المعلوم من سيرته غير ذلك .

فأما عيسى فحاله كما ذكره ع لا ريب فى ذلك على أنه أكل اللحم و شرب

ص: ٢٣١

الخمير و ركب الحمار و خدمه التلامذه و لكن الأغلب من حاله هى الأمور التى عددها أمير المؤمنين ع .

و يقال حزننى الشىء يحزننى بالضم و يجوز أحزننى بالهمز يحزننى و قرئ بهما و هو فى كلامه ع فى هذا الفصل بهما و يقال لفته عن كذا يلفته بالكسر أى صرفه و لواه فتأسّس بِنَيْبِكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ ص فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَهُ لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَ لَمْ يُعْرِضْهَا طَرْفًا أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَ أَحْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ تَعَظَّمْنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِدْقًا لِلَّهِ تَعَالَى وَ مُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَقَدْ كَانَ ص يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَ يَرْفَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَ يَرْكُبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ وَ يُزِدُّ خَلْفَهُ وَ يَكُونُ السُّتْرَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فَلَانُ لِيَأْخُذَ بِأَزْوَاجِهِ عَيْبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَّارِهَا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا وَ لَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا وَ لَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَ عَيْبَهَا عَنِ الْبَصْرِ

وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَ أَنْ يُذَكَرَ عِنْدَهُ وَ لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ص مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَ عُيُوبِهَا إِذْ حَرَّاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ص بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنَّ قَالِ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَ زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بْنِبِيهِ وَ اقْتَصَصَ أَثْرَهُ وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ وَ إِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ص عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ وَ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا وَ وَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ وَ قَائِدًا نَطُؤُ عَقِبَهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ رَفَعَتْ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَتَبَدَّهَا عَنْكَ فَقُلْتُ [أَعْرُبُ]

أَعْرُبُ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى .

المقتص لأثره

المتبع له و منه قوله تعالى وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه (١) و قضم الدنيا تناول منها قدر الكفاف و ما تدعو إليه الضروره من خشن العيشه و قال أبو ذر رحمه الله يخضمون و نقضم و الموعد الله و أصل القضم أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان و الخضم أكل بكل الفم للأشياء الرطبه و روى قضم بالصاد أى كسر

ص: ٢٣٣

قوله أهضم أهل الدنيا كشحا الكشح الخاصره و رجل أهضم بين الهضم إذا كان خميصا لقله الأكل .

و روى و حقر شيئا فحقره بالتخفيف و الشقاق الخلاف و المحاده المعاداه و خصف النعل خرزها و الرياش الزينه و المدرعه الدراعه .

و قوله عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحمتمل المشقه العاجله (١) رجاء الراحة الآجله

نبد من الأخبار و الآثار الوارده فى البعد عن زينه الدنيا

٢٠٤٧

جاء فى الأخبار الصحيحه أنه ع قال إنما أنا عبء أكل أكل العبيد و أجلس جلسه العبيد.

و كان يأكل على الأرض و يجلس جلوس العبيد يضع قصبتي ساقيه على الأرض و يعتمد عليهما بباطنى فخذيه و ركوبه الحمار العارى آيه التواضع و هضم النفس و أردف غيره خلفه أكد فى الدلاله على ذلك .

و جاء فى الأخبار الصحيحه النهى عن التصاوير و عن نصب الستور التى فيها التصاوير

٢٠٤٨

١- و كان رسول الله ص إذا رأى سترأ فيه التصاوير أمر أن تُقَطَّعَ رَأْسُ تِلْكَ الصُّورِ .

و

٢٠٤٩

جاء فى الخبر من صور صورته كلف فى القيامه أن ينفخ فيها الروح فإذا قال لا أستطيع عذب.

ص: ٢٣٤

(١- ١) و أول من قاله خالد بن لوليد؛ و انظر مضربه و مورده فى الفاخر ١٩٣.

١٤- جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ .

١- وَ جَاءَ فِي أَخْبَارِ عَلِيِّ ع الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ فَصَائِلِهِ وَ هُوَ رَوَاتِي عَنْ قُرَيْشِ بْنِ السَّبِيحِ بْنِ الْمُهَنَّأِ الْعَلَمَوِيِّ عَنْ نَقِيبِ الطَّالِبِيِّنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمَعْمَرِ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الصَّيْرَفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِإِبْنِ الطُّيُورِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْعَلَّافِ الْمَزَنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدَانَ بْنِ مَالِكِ الْقَطِيعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ قِيلَ لِعَلِيِّ ع يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ تَرْفَعُ قَمِيصَكَ قَالَ لِيُخْشَعَ الْقَلْبُ وَ يَفْتَدَى بِي الْمُؤْمِنُونَ .

و

١- رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَطُوفُ الْأَسْوَاقَ مُؤْتَرًّا بِإِزَارٍ مُرْتَدِيًا بِرِدَاءٍ وَ مَعَهُ الدَّرَّةُ كَأَنَّهُ أَعْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ فَطَافَ مَرَّةً حَتَّى بَلَغَ سُوقَ الْكُرَابِيسِ فَقَالَ لِوَاحِدٍ يَا شَيْخُ بَعْنِي قَمِيصًا تَكُونُ قِيمَتُهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ فَلَمَّا عَرَفَهُ الشَّيْخُ لَمْ يَشْتَرِ مِنْهُ شَيْئًا ثُمَّ أَتَى آخَرَ فَلَمَّا عَرَفَهُ لَمْ يَشْتَرِ مِنْهُ شَيْئًا فَأَتَى غُلَامًا حِيدًا فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الْغُلَامِ أَخْبَرَهُ فَأَخَذَ دَرَاهِمًا ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَلِيِّ ع لِيُدْفَعَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا أَوْ قَالَ يَا هَذَا هَذَا فَقَالَ يَا مَوْلَايَ إِنَّ الْقَمِيصَ الَّذِي بَاعَكَ ابْنِي كَانَ يُسَاوِي دَرَاهِمِينَ فَلَمْ يَأْخُذْ الدَّرَاهِمَ وَ قَالَ بَاعَنِي رِضَايَ وَ أَخَذَ رِضَاهُ .

١- وَ رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي النَّوَّارِ بَيَّاعِ الْخَامِ بِالْكُوفَةِ قَالَ جِئْتُ ابْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى السُّوقِ وَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ وَ هُوَ خَلِيفَةٌ فَاشْتَرَى مِنِّي قَمِيصَيْنِ وَ قَالَ لِغُلَامِهِ اخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا وَ أَخَذَ عَلِيُّ الْآخَرَ ثُمَّ لَبَسَهُ وَ مَدَّ يَدَهُ فَوَجَدَ كُمَّهُ فَاضِلَةً فَقَالَ أَفْطَحِ الْفَاضِلَ فَقَطَعْتُهُ ثُمَّ كَفَّهُ وَ ذَهَبَ .

١- وَ رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الصَّمَّالِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ رَأَيْتُ قَمِيصَ عَلِيٍّ ع الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ وَ هُوَ كَرَابِيسُ سَبِيلَانِي (١) وَ رَأَيْتُ دَمَهُ قَدْ سَالَ عَلَيْهِ كَالدَّرْدِيِّ

(٢)

١- وَ رَوَى أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ لَمَّا أُرْسِلَ عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ ع وَجَدَهُ مُؤْتَرّاً بِعَبَاءِهِ مُحْتَجِزاً بِعِقَالٍ وَ هُوَ يَهْنَأُ بَعِيرًا لَهُ .

و الأخبار في هذا المعنى كثيره و فيما ذكرناه كفايه

ص: ٢٣٦

١-١) الكرابيس: ثياب فارسيه من القطن؛ و سبيلاني و لعلها منسوبه إلى سبيله، موضع.

٢-٢) الدردى: ما رسب من الزيت فى أسفل الإناء.

إِبْتَعْتُهُ بِالنُّورِ الْمَضِيءِ وَ الْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ وَ الْمِنْهَاجَ الْبَادِي وَ الْكِتَابَ الْهَادِيَ أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرِهِ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرِهِ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَ ثَمَارُهَا مُتَهَدِلَةٌ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَ هِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ عَلَا- بِهَا ذِكْرُهُ وَ اِمْتِدَادٌ مِنْهَا صَوْتُهُ أَرْسِلُهُ بِحُجَّجِهِ كَافِيهِ وَ مَوْعِظُهُ شَافِيهِ وَ دَعْوُهُ مُتَلَفِيهِ أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَذْخُولَةَ وَ بَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ فَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ وَ تَنْفِصَمُ عُرْوَتُهُ وَ تَعْظُمُ كَيْبُوتُهُ وَ يَكُنْ مِيَابُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَ الْعِذَابِ الْوَيْيلِ وَ اتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَ اسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

بالنور المضىء

أى بالدين أو بالقرآن و أسرته أهله أغصانها معتدله كناية عن عدم الاختلاف بينهم فى الأمور الدينيه و ثمارها متهدله أى متدليه كناية عن سهوله اجتناء العلم منها .

و طيبه اسم المدينة كان اسمها يثرب فسمها رسول الله ص طيبه

ص: ٢٣٧

و مما [من]

أكفر الناس به يزيد بن معاوية أنه سماها خبيثه مراغمه لرسول الله ص .

علا بها ذكره

لأنه ص إنما انتصر وقهر الأعداء بعد الهجره و دعوه متلافيه أى تتلافى ما فسد فى الجاهليه من أديان البشر .

قوله و بين به الأحكام المفصوله ليس يعنى أنها كانت مفصوله قبل أن بينها بل المراد بين به الأحكام التى هى الآن مفصوله عندنا و واضحه لنا لأجل بيانه لها .

و الكبوه مصدر كبا الجواد إذا عثر فوقع إلى الأرض و المآب المرجع و العذاب الوبيل ذو الوبال و هو الهلاك و الإنابه الرجوع و السبيل الطريق يذكر و يؤنث و القاصده ضد الجائره فإن قلت لم عدى القاصده ب إلى قلت لأنها لما كانت قاصده تضمنت معنى الإفضاء إلى المقصد فعداها ب إلى باعتبار المعنى أوصية يكم عبادة الله بتقوى الله و طاعته فإنها النجاه غداً و المنجاه أيداً رهب فابلق و رعب فأسبغ و وصف لكم الدنيا و انقطع عنها و زوالها و انتقالها فأعرضوا عما يُعجبكم فيها لقله ما يصيبكم منها أقرب دار من سخط الله و أبعداها من رضوان الله

ص: ٢٣٨

فَغَضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا لِيَمَّا أَيَقِنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَيَّرُفِ حَالِهَا فَاحِذَرُوهَا حَيْذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَ الْمُجِدِّ
الْكَادِحِ وَ اعْتَبِرُوا بِمِمَّا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَرَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ وَ زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَ
عَزُهُمْ وَ انْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا وَ بِصُحْبِهِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا لَا يَتَفَاخِرُونَ وَ لَا يَتَنَاسَلُونَ وَ لَا يَتَرَاوِرُونَ
وَ لَا يَتَحَاوِرُونَ فَاحِذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَيْذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ وَ الْعَلَمَ قَائِمٌ وَ الطَّرِيقَ حَيْدَرٌ وَ
السَّبِيلَ قَصْدٌ .

المنجاه

مصدر نجا ينجو نجاه و منجاه و النجاه الناقه ينجى عليها فاستعارها هاهنا للطاعه و التقوى كأنها كالمطيه المركوبه يخلص بها
الإنسان من الهلكه .

قوله رهب فأبلغ الضمير يرجع إلى الله سبحانه أى خوف المكلفين فأبلغ فى التخويف و رغبتهم فأتم الترغيب و أسبغه ثم أمر
بالإعراض عما يسر و يروق من أمر الدنيا لقله ما يصحب الناس من ذلك ثم قال إنها أقرب دار من سخط الله و هذا نحو

٢٠٥٦

قَوْلِ النَّبِيِّ ص حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ .

ص: ٢٣٩

قوله فغضوا عنكم عباد الله غمومها أى كفوا عن أنفسكم الغم لأجلها و الاشتغال بها يقال غضضت فلانا عن كذا أى كففته قال تعالى وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ (١) قوله فاحذروها حذر الشفيق الناصح أى فاحذروها على أنفسكم لأنفسكم كما يحذر الشفيق الناصح على صاحبه و كما يحذر المجد الكادح أى الساعى من خيبه سعيه و الأوصال الأعضاء و المحاوره المخاطبه و المناجاه و روى و لا يتجاوزون بالجيم و العلم ما يتسدل به فى المفازه و طريق جدد أى سهل واضح و السبيل قصد أى مستقيم

ص : ٢٤٠

١-١) سورة لقمان ١٩.

وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به فقال ع يا أخا بني أسيد إنك لقلق الوضيين تُرسل في غير سدٍ و لك بعد ذمامه الصهر و حق المسأله و قد استعلمت فأعلمت أما الاستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأغلون نسباً و الأشدون بالرسول ص نوطاً فإنها كانت أثره شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين و الحكم الله و المعود (١) إليه [يوم]

القيامة و دُع عنك نهياً صيح في حجاته و لكن حديثاً ما حديث الرواحل و هلم الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه و لا غرور و الله فيا له خطباً يسد تنفر العجب و يكثر الأود حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه و سد فواره من يتبوعه و جدحوا بيني و بينهم شرباً و بيناً فإن ترتفع عنا و عنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه و إن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليهم بما يصنعون (٢).

ص: ٢٤١

١ - (١) المعود، بسكون العين و فتح الواو؛ كذا ضبطت في اللسان. و في النهاية لابن الأثير: هكذا جاء «المعود» على الأصل؛ و هو «مفعول»، من عاد يعود، و من حق أمثاله أن تقلب واوه ألفاً، كالمقام و المراح، و لكنه استعمله على الأصل.

٢ - (٢) سورة فاطر ٨.

بطان (١) القتب و حزام السرج و يقال للرجل المضطرب فى أمره إنه لقلق الوضين و ذلك أن الوضين إذا قلق اضطرب القتب أو الهودج أو السرج و من عليه .

و يرسل فى غير سدد أى يتكلم فى غير قصد و فى غير صواب و السدد و الاستداد الاستقامه و الصواب و السديد الذى يصيب السدد و كذلك المسد و استد الشىء أى استقام .

و ذمامه الصهر بالكسر أى حرمة هو الذمام قال ذو الرمه تكن عوجه يجزيكها الله عنده بها الأجر أو تقضى ذمامه صاحب (٢) .

و يروى ماته الصهر أى حرمة و وسيلته مت إليه بكذا و إنما قال ع له و لك بعد ذمامه الصهر لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله ص كانت أسديه و هى زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبره بن مره بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه و أمها أميه بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهى بنت عمه رسول الله ص و المصاهره المشار إليها هى هذه .

و لم يفهم القطب الراوندى ذلك فقال فى الشرح كان أمير المؤمنين ع قد تزوج فى بنى أسد و لم يصب فإن عليا ع لم يتزوج فى بنى أسد البته و نحن نذكر أولاده أما الحسن و الحسين و زينب الكبرى و أم كلثوم الكبرى فأمهم فاطمه بنت سيدنا رسول الله ص (٣) و أما محمد فأمه خوله بنت إياس (٤) بن جعفر من بنى حنيفه و أما أبو بكر و عبد الله فأمهما ليلى بنت مسعود النهشليه

ص: ٢٤٢

١-١) البطان: حزام القتب؛ و هو الذى يجعل تحت بطن الدابة، و القتب: رحل صغير على قد السنام.

٢-٢) ديوانه ٥٤.

٣-٣) فى تاريخ الطبرى: «و يذكر أنه كان لها من ابن آخر يسمى محسنا، توفى صغيرا».

٤-٤) فى نسب قريش: «خوله بنت جعفر بن قيس».

من تميم و أما عمر و رقيه فأمهما سبيه من بنى تغلب يقال لها الصهباء سبيت فى خلافة أبى بكر و إماره خالد بن الوليد بعين التمر و أما يحيى و عون فأمهما أسماء بنت عميس الخثعميه (١) و أما جعفر و العباس و عبد الله و عبد الرحمن (٢) فأمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعه بن الوحيد من بنى كلاب و أما رمله و أم الحسن فأمهما أم سعيد بنت عروه بن مسعود الثقفى و أما أم كلثوم الصغرى و زينب الصغرى و جمانه و ميمونه و خديجه و فاطمه و أم الكرام و نفيسه و أم سلمه و أم أبيها (٣) و أمامه بنت على ع فهن لأمهات أولاد شتى فهؤلاء أولاده و ليس فيهم أحد من أسديه و لا بلغنا أنه تزوج فى بنى أسد و لم يولد له و لكن الراوندى يقول ما يخطر له و لا يحقق.

و أما حق المسأله فلأن للسائل على المسئول حقا حيث أهله لأن يستفيد منه .

و الاستبداد بالشىء التفرد به و النوط الالتصاق و كانت أثره أى استثارا بالأمر و استبدادا به

٢٠٥٧

قَالَ النَّبِيُّ ص لِلْأَنْصَارِ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً.

و شحت بخلت و سخت جادت و يعنى بالنفوس التى سخت نفسه و بالنفوس التى شحت أما على قولنا فإنه يعنى نفوس أهل الشورى بعد مقتل عمر و أما على قول الإماميه فنفس أهل السقيفه و ليس فى الخبر ما يقتضى صرف ذلك إليهم فالأولى أن يحمل على ما ظهر عنه من تألمه من عبد الرحمن بن عوف و ميله إلى عثمان .

ثم قال إن الحكم هو الله و إن الوقت الذى يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة و روى يوم بالنصب على أنه ظرف و العامل فيه المعود على أن يكون مصدرا .

و أما البيت فهو لإمرئ القيس بن حجر الكندى و روى أن أمير المؤمنين ع لم يستشهد إلا بصدرة فقط و أتمه الرواه

ص: ٢٤٣

١- ١) فى إحدى روايات الطبري أنه أعقب منها يحيى و محمد الأصغر.

٢- ٢) فى الطبري و نسب قريش: «و عثمان».

٣- ٣) كذا فى الأصول، و لم تذكر فى الطبري، و زاد: «أم هانئ و رمله الصغرى».

و كان من قصه هذا الشعر أن إمرأ القيس لما تنقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديله طيئ يقال له طريف (١) بن ملء فأجاره و أكرمه و أحسن إليه فمدحه و أقام عنده ثم إنه لم يوله نصيبا في الجبلين أجأ و سلمى فخاف ألا يكون له منعه فتحول و نزل على خالد بن سدوس بن أصمغ النبھانی فأغارت بنو جديله على إمرئ القيس و هو في جوار خالد بن سدوس فذهبوا بإبله و كان الذي أغار عليه منهم باعث بن حويص فلما أتى إمرأ القيس الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له أعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأرد عليك إبلك ففعل فركب خالد في إثر القوم حتى أدركهم فقال يا بني جديله أغرتم على إبل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى و الله و هذه رواحله قالوا كذلك قال نعم فرجعوا إليه فأنزلوه عنهن و ذهبوا بهن و بالإبل و قيل بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها فقال إمرؤ القيس دع عنك نهبا صيح في حجراته و لكن حديثا ما حديث الرواحل (٢)

ص: ٢٤٤

(١-١) في الديوان ١٤٢: «طريف بن مالك».

(٢-٢) الشعر و الخبر في الديوان ٩٤-٩٦. و الحجرات: النواحي.

دثار اسم راع كان لإمرئ القيس و تنوفى و القواعل جبال و الحزقه القصير الضخم البطن و اللبون الإبل ذوات الألبان و القرية موضع معروف بين الجبلين و حائل اسم موضع أيضا و سعد و نائل حيان من طيبى و الرباع جمع ربع و هو ما نتج فى الربيع و المجادل القصور و مكلله يرجع إلى المجادل مكلله بالصخر و الأسره الطريق و كذلك الحبك و الوصائل جمع وصيله و هو ثوب أمغر (١) الغزل فيه خطوط و النهب الغنيمه و الجمع النهاب و الانتهاب مصدر انتهبت المال إذا أبحته يأخذه من شاء و النهبى اسم ما أنهب و حجراته نواحيه الواحده حجره مثل جمرات و جمره و صيح فى حجراته صياح الغاره و الرواحل جمع راحله و هى الناقه التى تصلح أن ترحل أى يشد الرحل على ظهرها و يقال للبعير راحله و انتصب حديثا بإضمام فعل أى هات حديثا أو حدثنى حديثا و يروى و لكن حديث أى و لكن مرادى أو غرضى حديث فحذف المبتدأ و ما هاهنا يحتمل أن تكون إبهاميه و هى التى إذا اقترنت باسم نكره زادته إبهاما و شياعا كقولك أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان و يحتمل أن تكون صله مؤكده كالتى فى قوله تعالى فَبِمَا نَقُضَ بِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ (٢) فأما حديث الثانى فقد ينصب و قد يرفع فمن نصب أبدله من حديث الأول و من رفع جاز أن يجعل ما موصوله بمعنى الذى و صلتها الجملة أى الذى هو حديث الرواحل ثم حذف صدر الجملة كما حذف فى تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ (٣) و يجوز أن تجعل ما استفهاميه بمعنى أى.

ص: ٢٤٥

١-١) المغره: لون يضرب إلى الحمرة.

٢-٢) سورة النساء ١٥٥.

٣-٣) سورة الأنعام ١٥٤.

ثم قال و هلم الخطب هذا يقوى روايه من روى عنه أنه ع لم يستشهد إلا بصدر البيت كأنه قال دع عنك ما مضى و هلم ما نحن الآن فيه من أمر معاويه فجعل هلم ما نحن فيه من أمر معاويه قائما مقام قول إمرئ القيس و لكن حديثا ما حديث الرواحل.

و هلم لفظ يستعمل لازما و متعديا فاللازم بمعنى تعال قال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كأنه أراد لم نفسك إلينا أى اجمعها و اقرب منا و جاءت ها للتنبيه قبلها و حذفت الألف لكثرة الاستعمال و جعلت الكلمتان كلمه واحده يستوى فيها الواحد و الاثنان و الجمع و المؤنث و المذكر فى لغه أهل الحجاز قال سبحانه وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا (١) و أهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنتين هلمما و للجمع هلموا و على ذلك و قد يوصل إذا كان لازما باللام فيقال هلم لك و هلم لكما كما قالوا هيت لك و إذا قيل لك هلم إلى كذا أى تعال إليه قلت لا أهلم مفتوحه الألف و الهاء مضمومه الميم فأما المتعديه فهى بمعنى هات تقول هلم كذا و كذا قال الله تعالى هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ (٢) و تقول لمن قال لك ذلك لا أهلمه أى لا أعطيكه يأتى بالهاء ضمير المفعول ليتميز من الأولى.

يقول ع و لكن هات ذكر الخطب فحذف المضاف و الخطب الحادث الجليل يعنى الأحوال التى أدت إلى أن صار معاويه منازعا فى الرئاسة قائما عند كثير من الناس مقامه صالحا لأن يقع فى مقابلته و أن يكون نداء له .

ثم قال فلقد أضحكنى الدهر بعد إبكائه يشير إلى ما كان عنده من الكآبه لتقدم من سلف عليه فلم يقنع الدهر له بذلك حتى جعل معاويه نظيرا له فضحك ع

ص: ٢٤٦

١-١) سورة الأحزاب ١٨.

٢-٢) سورة الأنعام ١٥٠.

مما تحكم به الأوقات و يقتضيه تصرف الدهر و قلبه و ذلك ضحك تعجب و اعتبار .

ثم قال و لا غرو و الله أى و لا عجب و الله.

ثم فسر ذلك فقال يا له خطبا يستفرغ العجب أى يستنفده و يفنيه يقول قد صار العجب لا عجب لأن هذا الخطب استغرق التعجب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب و هذا من باب الإغراق و المبالغة فى المبالغة كما قال أبو الطيب أسفى على أسفى الذى دلتهنى

و قال ابن هانى المغربى قد سرت فى الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت ألا أعجبا (١).

و الأود العوج .

ثم ذكر تمالؤ قریش عليه فقال حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه يعنى ما تقدم من منابذه طلحه و الزبير و أصحابهما له و ما شفع ذلك من معاويه و عمرو و شيعتهما و فوار الينبوع ثقب البئر .

قوله و جدحوا بينى و بينهم شربا (٢) أى خلطوه و مزجوه و أفسدوه.

و الوبىء ذو الوباء و المرض و هذا استعاره كأنه جعل الحال التى كانت بينه و بينهم قد أفسدها القوم و جعلوها مظنه الوباء و السقم كالشرب الذى يخلط بالسم أو بالصبر فيفسد و يوبىء.

ص: ٢٤٧

١-١) ديوانه ١:١٤.

٢-٢) ديوانه ٨١ (طبعه المعارف).

ثم قال فإن كشف الله تعالى هذه المحن التي يحصل منها ابتلاء الصابرين و المجاهدين و حصل لى التمكن من الأمر حملتهم على الحق المحض الذى لا يمازجه باطل كاللبن المحض الذى لا يخالطه شىء من الماء و إن تكن الأخرى أى و إن لم يكشف الله تعالى هذه الغمّه و مت أو قتلت و الأمور على ما هى عليه من الفتنه و دوله الضلال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات و الآيه من القرآن العزيز (١).

و سألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوى نقيب البصره وقت قراءتى عليه عن هذا الكلام و كان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلويه منصفاً وافر العقل فقلت له من يعنى ع بقوله كانت أثره شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين و من القوم الذين عناهم الأسدى بقوله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به هل المراد يوم السقيفه أو يوم الشورى فقال يوم السقيفه فقلت إن نفسى لا تسامحنى أن أنسب إلى الصحابه عصيان رسول الله ص و دفع النصّ فقال و أنا فلا تسامحنى أيضا نفسى أن أنسب الرسول ص إلى إهمال أمر الإمامه و أن يترك الناس فوضى سدى مهملين و قد كان لا يغيب عن المدينه إلا و يؤمر عليها أميرا و هو حى ليس بالبعيد عنها فكيف لا يؤمر و هو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث.

ثم قال ليس يشكك أحد من الناس أن رسول الله ص كان عاقلا كامل العقل أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم و أما اليهود و النصرارى و الفلاسفه فيزعمون أنه حكيم تام الحكمه سديد الرأى أقام مله و شرع شريعته فاستجد ملكا عظيما بعقله و تدبيره و هذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب و غرائزهم و طلبها بالثارات و الذحول و لو بعد الأزمان المتطاولة و يقتل الرجل من القبيله رجلا من بيت آخر

ص: ٢٤٨

فلا- يزال أهل ذلك المقتول و أقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثارهم منه فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه و أهله فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحدا أو جماعه من تلك القبيله به و إن لم يكونوا رهطه الأذنين و الإسلام لم يحل طبائعهم و لا غير هذه السجيه المركوزه فى أخلاقهم و الغرائز بحالها فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل الكامل و تر العرب و على الخصوص قريشا و ساعده على سفك الدماء و إزهاق الأنفس و تقلد الضغائن ابن عمه الأذننى و صهره و هو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس و يتركه بعده و عنده ابنته و له منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنوا عليهما و محبه لهما و يعدل عنه فى الأمر بعده و لا ينص عليه و لا يستخلفه فيحقن دمه و دم بنيه و أهله باستخلافه أ لا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه و ترك بنيه و أهله سوقه و رعيه فقد عرض دماءهم للإراقه بعده بل يكون هوع هو الذى قتله و أشاط (1) بدمائهم لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم و إنما يكونون مضغه للأكل و فريسه للمفترس يتخطفهم الناس و تبلغ فيهم الأغراض فأما إذا جعل السلطان فيهم و الأمر إليهم فإنه يكون قد عصمهم و حقن دماءهم بالرئاسه التى يصلون بها و يرتدع الناس عنهم لأجلها و مثل هذا معلوم بالتجربه أ لا- ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس و وترهم و أبقى فى نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثم أهمل أمر ولده و ذريته من بعده و فسح للناس أن يقيموا ملكا من عرضهم و واحدا منهم و جعل بنيه سوقه كبعض العامه لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم سريعا هلاكهم و لو ثب عليهم الناس ذوو الأحقاد و الترات من كل جهه يقتلونهم و يشردونهم كل مشرد و لو أنه عين ولدا من أولاده للملك و قام خواصه و خدمه و خوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل

ص: ٢٤٩

(١-١) أشاط بدمائهم:أهدرها أو عمل على هلاكها.

بيته و لم تطل يد أحد من الناس إليهم لنا موسى الملك و أبه السلطنه و قوه الرئاسه و حرمه الإمارة.

أفتري ذهب عن رسول الله ص هذا المعنى أم أحب أن يستأصل أهله و ذريته من بعده و أين موضع الشفقه على فاطمه العزيزه عنده الحبيبه إلى قلبه.

أ تقول إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس و أن يجعل عليا المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معه معلومه كأبي هريره الدوسى و أنس بن مالك الأنصارى يحكم الأمراء فى دمه و عرضه و نفسه و ولده فلا يستطيع الامتناع و على رأسه مائه ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه و يودون أن يشربوا دمه بأفواههم و يأكلوا لحمه بأسنانهم قد قتل أبناءهم و إخوانهم و آباءهم و أعمامهم و العهد لم يطل و القروح لم تتقرف (1) و الجروح لم تندمل.

فقلت له لقد أحسنت فيما قلت إلا- أن لفظه ع يدل على أنه لم يكن نص عليه ألا- تراه يقول و نحن الأعلون نسبا و الأشدون بالرسول نوطا فجعل الاحتجاج بالنسب و شدة القرب فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك و أنا المنصوص على المخطوب باسمى.

فقال رحمه الله إنما أتاه من حيث يعلم لا- من حيث يجهل ألا ترى أنه سأله فقال كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به فهو إنما سأل عن دفعهم عنه و هم أحق به من جهة اللحمه و العتره و لم يكن الأسدى يتصور النص و لا- يعتقده و لا يخطر بباله لأنه لو كان هذا فى نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذا المقام و قد نص عليك رسول الله ص و لم يقل له هذا و إنما قال كلاما عاما لبني هاشم كافه

ص : ٢٥٠

(١-١) تقرف الجرح: طلعت فوقه قشره. أى شارف البرء.

كيف دفعكم قومكم عن هذا و أنتم أحق به أى باعتبار الهاشميه و القربى فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذى تعلق به الأسدى بعينه تمهيدا للجواب فقال إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول الله ص من غيرنا لأنهم استأثروا علينا و لو قال له أنا المنصوص على و المخطوب باسمى فى حياها رسول الله ص لما كان قد أجابه لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا و لا هل نص رسول الله ص بالخلافه على أحد أم لا- و إنما قال لم دفعكم قومكم عن الأمر و أنتم أقرب إلى ينبوعه و معدنه منهم فأجابه جوابا ينطبق على السؤال و يلائمه أيضا فلو أخذ يصرح له بالنص و يعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه و اتهمه و لم يقبل قوله و لم ينجذب إلى تصديقه فكان أولى الأمور فى حكم السياسه و تدبير الناس أن يجيب بما لا نفره منه و لا مطعن عليه فيه

ص: ٢٥١

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِحِ الْمَهَادِ وَ مُسِيلِ الْوَهَادِ وَ مُخَصِبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَ لَا لِأَزَلَّتِيهِ انْقِضَاءٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَدَّثَهُ الشُّفَاهُ حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهَهَا لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدْوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى وَ لَا يُضْرَبُ لَهُ أَمْدٌ حَتَّى الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ وَ الْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيْمَ لَا شَبَحَ فَيَتَقَصَّى وَ لَا مَحْجُوبٌ فَيَحْوَى لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحُظِّهِ وَ لَا كُرُورٌ لِنُظِّهِ وَ لَا- ازْدِلَافٌ رَبُّوهُ وَ لَا- انْبِسَاطٌ خُطُوهُ فِي لَيْلٍ دَاجٍ وَ لَا- عَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَلِ وَ الْكُرُورِ وَ [تَقْلِيْبٍ]

تَقْلِبِ الْمَازِمَةَ وَ الدُّهُورِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِذْيَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ قَبْلَ كُلِّ غَيَايَةٍ وَ مِيدَةٍ وَ كُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّةٍ تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَيِّدُونَ مِنْ صَفَاتِ الْأَقْدَارِ وَ نِهَاطِ الْأَقْطَارِ وَ تَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ وَ تَمَكُنِ الْأَمَّاكِينِ فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ مَسُوبٌ لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَرْزَلِيَّتِهِ وَ لَا مِنْ أَوَائِلِ أَبْدِيَّتِهِ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ

حَدَّهُ وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَلَا لَهُ بَطَاعَةٌ شَيْءٍ ائْتَفَاعٌ عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِيَيْنِ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِيْنَ وَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِيْنَ السُّفْلَى .

المهاد

هنا هو الأرض و أصله الفراش و ساطحه باسطه و منه تسطيح القبور خلاف تسنيمها و منه أيضا المسطح للموضع الذى يبسط فيه التمر ليجفف .

و الوهاد جمع و هذه و هى المكان المطمئن و مسيلها مجرى السيل فيها و النجاد جمع نجد و هو ما ارتفع من الأرض و مخصبها مروضها و جاعلها ذوات خصب

مباحث كلاميه

و اعلم أنه ع أورد فى هذه الخطبه ضروبا من علم التوحيد و كلها مبنيه على ثلاثه أصول.

الأصل الأول أنه تعالى واجب الوجود لذاته و يتفرع على هذا الأصل فروع أولها أنه ليس لأوليته ابتداء لأنه لو كان لأوليته ابتداء لكان محدثا و لا شىء من المحدث بواجب الوجود لأن معنى واجب الوجود أن ذاته لا تقبل العدم و يستحيل الجمع بين قولنا هذه الذات محدثه أى كانت معدومه من قبل و هى فى حقيقتها لا تقبل العدم.

ص: ٢٥٣

و ثانيها أنه ليس لأزليته انقضاء لأنه لو صح عليه العدم لكان لعدمه سبب فكان وجوده موقوفا على انتفاء سبب عدمه و المتوقف على غيره يكون ممكن الذات فلا يكون واجب الوجود.

و قوله ع هو الأول لم يزل و الباقي بلا أجل تكرر لهذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد و يدخل فيه أيضا قوله لا يقال له متى و لا يضرب له أمد بحتى لأن متى للزمان و واجب الوجود يرتفع عن الزمان و حتى للغايه و واجب الوجود لا غايه له.

و يدخل أيضا فيه قوله قبل كل غايه و مده و كل إحصاء و عده .

و ثالثها أنه لا يشبه الأشياء البتة لأن ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرد فلو أشبه الجسم أو العرض لكان إما جسما أو عرضا ضروره تساوى المتشابهين المتماثلين فى حقائقهما.

و لو شابه غيره من المجردات مع أن كل مجرد غير ممكن لكان ممكنا و ليس واجب الوجود بممكن فيدخل فى هذا المعنى قوله ع حد الأشياء عند خلقه لها إبانته له من شبهها أى جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هو سبحانه عنها إذ لا حد له فبطل أن يشبهه شىء منها و دخل فيه قوله ع لا تقدره الأوهام بالحدود و الحركات و لا بالجوارح .

و الأدوات

جمع أداه و هى ما يعتمد به و دخل فيه قوله الظاهر فلا يقال مم أى لا يقال من أى شىء ظهر و الباطن فلا يقال فيم أى لا يقال فيما ذا بطن و يدخل فيه قوله لا شبح فيتقصى و الشبح الشخص و يتقصى يطلب أقصاه.

و يدخل فيه قوله و لا- محجوب فيحوى و قوله لم يقرب من الأشياء بالتصاق و لم يبعد عنها بافتراق لأن هذه الأمور كلها من خصائص الأجسام و واجب الوجود لا يشبه الأجسام و لا يماثلها.

و يدخل فيه قوله ع تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقدار أى ممّا ينسبه إليه المشبهه و المجسمه من صفات المقادير و ذوات المقادير.

ص: ٢٥٤

و نهايات الأقطار

أى الجوانب .

و تأثل المساكن

مجد مؤثل أى أصيل و بيت مؤثل أى معمور و كأنّ أصل الكلمه أن تبنى الدار بالأثل و هو شجر معروف و تمكن الأماكن ثبوتها و استقرارها .

و قوله فالحد لخلقه مضروب و إلى غيره منسوب و قوله و لا له بطاعه شىء انتفاع لأنّه إنّما ينتفع الجسم الذى يصحّ عليه الشهوه و النفره كل هذا داخل تحت هذا الوجه .

الأصل الثانى أنه تعالى عالم لذاته فيعلم كل معلوم و يدخل تحت هذا الأصل قوله ع لا تخفى عليه من عباده شخوص لحظه أن تسكن العين فلا تتحرك و لا كرور لفظه أى رجوعها .

و لا ازدلاف ربوه

صعود إنسان أو حيوان ربوه من الأرض و هى الموضع المرتفع و لا انبساط خطوه فى ليل داج أى مظلم.

و لا غسق ساج

أى ساكن .

ثمّ قال يتفياً عليه القمر المنير هذا من صفات الغسق و من تتمه نعته و معنى يتفياً عليه يتقلب ذاهبا و جائيا فى حالتى أخذه فى الضوء إلى التبدر و أخذه فى النقص إلى المحاق .

و قوله و تعقبه أى و تتعقبه فحذف إحدى التاءين كما قال سبحانه الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ (١) أى تتوفاهم و الهاء فى و تعقبه ترجع إلى القمر أى و تسير الشمس عقبه فى كروره و أفوله أى غيبوبته و فى تقلب الأزمنه و الدهور من إقبال ليل و إدبار نهار .

ص: ٢٥٥

فإن قلت إذا كان قوله يتفياً عليه القمر المنير فى موضع جر لأنه صفة غسق فكيف تتعقب الشمس و القمر مع وجود الغسق و هل يمكن اجتماع الشمس و الغسق قلت لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق.

بل قد يصدق تعقبها له و يكون الغسق معدوما كأنه ع قال لا يخفى على الله حركة فى نهار و لا ليل يتفياً عليه القمر و تعقبه الشمس أى تظهر عقبيه فيزول الغسق بظهورها.

و هذا التفسير الذى فسرناه يقتضى أن يكون حرف الجر و هو فى التى فى قوله فى الكرور متعلقا بمحذوف و يكون موضعه نصبا على الحال أى و تعقبه كارا و آفلا- و يدخل تحته أيضا قوله ع علمه بالأسموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين و علمه بما فى السماوات العلا كعلمه بما فى الأرضين السفلى .

الأصل الثالث أنه تعالى قادر لذاته فكان قادرا على كل الممكنات و يدخل تحته قوله لم يخلق الأشياء من أصول أزليه و لا من أوائل أباديه بل خلق ما خلق فأقام حده و صور ما صور فأحسن صورته و الرد فى هذا على أصحاب الهيولى و الطينه التى يزعمون قدمها.

و يدخل تحته قوله ليس لشيء امتناع لأنه متى أراد إيجاد شيء أوجده و يدخل تحته قوله خرت له الجباه أى سجدت و وحدته الشفاه يعنى الأفواه فعبر بالجزء عن الكل مجازا و ذلك لأن القادر لذاته هو المستحق للعباده لخلقه أصول النعم كالحياه و قدره و الشهوه.

و اعلم أن هذا الفن هو الذى بان به أمير المؤمنين ع عن العرب فى زمانه قاطبه

و استحق به التقدّم و الفضل عليهم أجمعين و ذلك لأن الخاصّه التي يتميز بها الإنسان عن البهائم هي العقل و العلم ألا ترى أنّه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية و الدمويه و القوّه و القدره و الحركة الكائنه على سبيل الإراده و الاختيار فليس الامتياز إلا بالقوه الناطقه أى العاقله العالمه فكلما كان الإنسان أكثر حظا منها كانت إنسانيته أتم و معلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن و هو أشرف العلوم لأن معلومه أشرف المعلومات و لم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد و لا- كانت أذهانهم تصل إلى هذا و لا يفهمونه بهذا الفن فهو (١) منفرد فيه و غيره من الفنون و هي العلوم الشرعيه مشارك لهم و راجح عليهم فكان أكمل منهم لأننا قد بينا أن الأعلم أدخل في صورته الإنسانيه و هذا هو معنى الأفضليه مِنْهَا أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ.

بُيْدِنْتَ مِنْ سِيْلَالِهِ مِنْ طِينٍ وَ وُضِعَتْ فِي قَوَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَ أُجِلَّ مَقْسُومٌ تَمُورٌ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءٌ وَ لَا تَسِيمُ مَعَ زَمْدَاءٍ ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا وَ لَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْعِذَاءِ مِنْ تَدْيِ أُمِّكَ وَ عَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَ إِرَادَتِكَ هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنِ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجِزٌ وَ مَنْ تَنَاولَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

ص: ٢٥٧

١-١) ساقطه من ب.

٢-٢) ا،ب: «و أرجح». و ما أثبتته من ج،د.

المستوى الخلقه غير ناقص قال سبحانه فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١) و المنشأ مفعول من أنشأ أى خلق و أوجد و المرعى المحوط المحفوظ.

و ظلمات الأرحام و مضاعفات الأستار مستقر النطف و الرحم موضوعه فيما بين المثانه و المعى المستقيم و هى مربوطه بِرِبَاطَاتٍ على هيئه السلسله و جسمها عصبى ليمنكن امتدادها و اتساعها وقت الحاجه إلى ذلك عند الولاده و تنضم و تَتَقَنَّصُ إذا استغنى عن ذلك و لها بطنان ينتهيان إلى فم واحد و زائدتان يسميان قرينى الرحم و خلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأه و هما أصغر من بيضتى الرجل و أشدّ تفرطحا و منهما ينصب منى المرأه إلى تجويف الرحم و للرحم رقبه منتهيه إلى فرج المرأه و تلك الرقبه من المرأه بمنزله الذكر من الرجل فإذا امتزج منى الرجل بمنى المرأه فى تجويف الرحم كان العلوق ثم ينمى و يزيد من دم الطمث و يتصل بالجنين عروق تأتي إلى الرحم فتغذوه حتى يتم و يكمل فإذا تمّ لم يكتف بما تحته من تلك العروق فيتحرك حركات قويه طلبا للغذاء فتهتك أربطه الرحم التى قلنا إنها على هيئه السلسله و تكون منها الولاده .

قوله بدئت من سِيَالِهِ مِنْ طِينِ أى كان ابتداء خلقك من سلاله و هى خلاصه الطين لأنها سلت من بين الكدر و فعاله بناء للقله كالقلامه و القمامه.

و قال الحسن هى ما بين ظهرانى الطين.

ثم قال و وضعت فى قَرَارٍ مَكِينٍ الكلام الأول لآدم الذى هو أصل البشر و الثانى لذريته و القرار المكين الرحم متمكنه فى موضعها برباطاتها لأنها لو كانت متحركه لتعذر العلوق.

ص: ٢٥٨

ثم قال إلهي قَدَرٍ مَعْلُومٍ و أَجَلٍ مَقْسُومٍ إِلَى متعلقه بمحذوف كأنه قال منتها إلى قدر معلوم أى مقدرًا طوله و شكله إلى أَجَلٍ مَقْسُومٍ مدته حياته .

ثم قال تَمُورُ فِي بطن أمك أى تتحرك لا تحير أى لا ترجع جوابًا أحرار يحير .

إلى دار لم تشهدا

يعنى الدنيا و يقال أشبه شىء بحال الانتقال من الدنيا إلى الأحوال التى بعد الموت انتقال الجنين من ظلمه الرحم إلى فضاء الدنيا فلو كان الجنين يعقل و يتصور كان يظن أنه لا- دار له إلا- الدار التى هو فيها و لا- يشعر بما وراءها و لا يحس بنفسه إلا و قد حصل فى دار لم يعرفها و لا تخطر بباله فبقى هو كالحائر المبهوت و هكذا حالنا فى الدنيا إذا شاهدنا ما بعد الموت.

و لقد أحسن ابن الرومى فى صفه خُطُوبِ الدنيا و صُرُوفِها بقوله لما تؤذن الدنيا به من صروفها

قال فمن هداك إلى اجْتِرَارِ الغداء من ثدى أمك اجترار امْتِصَّاصِ اللبن من الثدى و ذلك بالإلهام الإلهى.

قال و عرفك عند الحاجة أى أعلمك بموضع الحلمه عند طلبك الرضاع فالتقمته بفمك.

ثم قال هيهات أى بعد أن يحيط علما بالخالق من عجز عن معرفه المخلوق قال الشاعر رأيت الورى يدعون الهدى

ص :٢٦٠

قالوا لما اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين ع وشكوا إليه ما نعموه على عثمان و سألوه مخاطبته و استعتابه لهم فدخل ع على عثمان فقال إنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَ قَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ وَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ وَ لَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخَبَّرَكَ عَنْهُ وَ لَا خَلُونَا بِشَيْءٍ فَبَلَّغَكَهُ وَ قَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَ سَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ص كَمَا صَحَبْنَا وَ مَا إِنَّ أَبِي قُحَافَةٌ وَ لَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ [الْخَيْرِ]

(١) الْحَقُّ مِنْكَ وَ أَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ شَيْبَةَ رَحِمَ مِنْهُمَا وَ قَدْ نَلْتِ مِنْ صِبْهِهِ مَا لَمْ يَنَالَا فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا تَبَصَّرَ مِنْ عَمَى وَ لَا- تُعَلِّمُ مِنْ جَهْلٍ وَ إِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَ إِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعْلَمِ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَ هُدًى فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ وَ أَمَاتَ بِدَعَاةٍ مَجْهُولَةٍ وَ إِنَّ السُّنَنَ لَكَثِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَ إِنَّ الْبِدَعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَاخُودَةٍ وَ أَحْيَا بِدَعَاةٍ مَثْرُوكَةٍ وَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَ لَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَازِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبُ فِي قَعْرِهَا

ص: ٢٦١

وَإِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ [أَنْ]

أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ يَلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يَبْثُ الْفِتْنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمْوَجُونَ فِيهَا مَوْجًا وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ وَ تَقْضِي الْعُمَرَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

كَلِمِ النَّاسِ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَطَايِمِهِمْ فَقَالَ ع مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

نقمت على زيد بالفتح أنقم فأنا ناقم إذا عتبت عليه و قال الكسائي نقمت بالكسر أيضا أنقم لغه و هذه اللفظه تجيء لازمه و متعدية قالوا نقمت الأمر أى كرهته.

و استعربت فلانا طلبت منه العتبي و هى الرضا و استعتابهم عثمان طلبهم منه ما يرضيهم عنه .

و استسفرونى جعلونى سفيرا و وسيطا بينك و بينهم .

ثم قال له و أقسم على ذلك أنه لا يعلم ما ذا يقول له لأنه لا يعرف أمرا يجهله أى من هذه الأحداث خاصه و هذا حق لأن عليا ع لم يكن يعلم منها ما يجهله

ص: ٢٦٢

عثمان بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء المميزين يعلمون وجهى الصواب و الخطأ فيها .

ثم شرع معه فى مسلك الملاطفه و القول اللين فقال ما سبقنا إلى الصحبه و لا انفردنا بالرسول دونك و أنت مثلنا و نحن مثلك

ثم خرج إلى ذكر الشيخين فقال قولا معناه أنهما ليسا خيرا منك فإنك مخصوص دونهما بقرب النسب يعنى المنافيه و بالصهر و هذا كلام هو موضع المثل يسر حسوا فى ارتغاء و مراده تفضيل نفسه ع لأن العله التى باعتبارها فضل عثمان عليهما محققه فيه و زياده لأن له مع المنافيه الهاشميه فهو أقرب.

و الوشيجه عروق الشجره ثم حذره جانب الله تعالى و نبهه على أن الطرق واضحه و أعلام الهدى قائمه و أن الإمام العادل أفضل الناس عند الله و أن الإمام الجائر شر الناس عند الله.

ثم روى له الخبر المذكور و روى ثم يرتبك فى قعرها أى ينشب .

و خوفه أن يكون الإمام المقتول الذى يفتح الفتن بقتله و قد كان رسول الله ص قال كلاما هو هذا أو يشبه هذا .

و مرج الدين أى فسد و السيقه ما استاقه العدو من الدوابّ مثل الوسيقه قال الشاعر فما أنا إلا مثل سيقه العدا إن استقدمت بحر و إن جبات عقر (١).

و الجلال بالضم الجليل كالطوال و الطويل أى بعد السن الجليل أى العمر الطويل.

ص: ٢٦٣

و قوله ما كان بالمدينه فلا- أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه كلام شريف فصيح لأن الحاضر أى معنى لتأجيله و الغائب فلا عذر بعد وصول الأمر فى تأخيره لأن السلطان لا يؤخر أمره.

و قد ذكرنا من الأحداث التى نقتت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفايه و

٢٠٥٨

١- قَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ (١) هَذَا الْكَلَامَ فَقَالَ إِنَّ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص تَكَاتَبُوا فَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنْ أَقْدَمُوا فَإِنَّ الْجِهَادَ بِالْمَدِينَةِ لَا بِالرُّومِ وَ اسْتَطَالَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ وَ نَالُوا مِنْهُ وَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَ ثَلَاثِينَ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَذُبُّ عَنْهُ وَ لَا يَنْهَى إِلَّا نَفَرٌ مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ وَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَكَلَّمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع وَ سَأَلُوهُ أَنْ يُكَلِّمَ عُثْمَانَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَ قَالَ لَهُ إِنَّ النَّاسَ...

وَ رَوَى الْكَلَامَ إِلَى آخِرِهِ بِالْفَاظِهِ فَقَالَ عُثْمَانُ وَ قَدْ (٢) عَلِمْتُ أَنَّكَ لَتَقُولَنَّ (٣) مَا قُلْتُ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي مَا عَنَّفْتُكَ وَ لَا عَبَبْتُ عَلَيْكَ (٤) وَ لَمْ آتِ مُنْكَرًا إِنَّمَا وَصَلْتُ رَحِمًا وَ سِيدَدْتُ حَلَّةً وَ آوَيْتُ ضَائِعًا وَ وَلَّيْتُ شَبِيهَا بِمَنْ كَانَ عُمَرُ يُؤَلِّيهِ أَنْشُدَكَ اللَّهُ يَا عَلِيُّ أَلَا تَعْلَمُ (٥) أَنَّ الْمُغْيِرَةَ بَنَ شُعْبَةَ لَيْسَ هُنَاكَ قَالَ بَلَى قَالَ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ وَ لَاهُ قَالَ بَلَى قَالَ فَلِمَ تُلُومُنِي أَنْ وَلَّيْتُ ابْنَ عَامِرٍ فِي رَحِمِهِ وَ قَرَابَتِهِ فَقَالَ عَلِيُّ ع إِنَّ عُمَرَ كَانَ يَطَأُ عَلَيَّ صِمَاحٍ مَنْ يُؤَلِّيهِ ثُمَّ يَبْلُغُ مِنْهُ إِنْ أَنْكَرَ مِنْهُ أَمْرًا أَفْصَى الْعُقُوبَةِ وَ أَنْتَ فَلَا تَفْعَلُ ضَعُفٌ وَ رَقَّتْ عَلَيَّ أَقْرَبَاتِكَ.

ص: ٢٦٤

١-١) تاريخ الطبري ٣٣٧:٤، و ما بعدها.

٢-٢-٢) الطبري: «قد و الله علمت ليقولن الذى قلت».

٢-٢-٣) الطبري: «قد و الله علمت ليقولن الذى قلت».

٢-٢-٤) الطبري: «هل تعلم».

قَالَ عُثْمَانُ هُمْ أَقْرَبَاؤُكَ أَيْضًا فَقَالَ عَلِيٌّ لَعَمْرِي إِنْ رَحِمَهُمْ مِنِّي لَقَرِيبُهُ وَ لَكِنَّ الْفَضْلَ فِي غَيْرِهِمْ. (١)

فَقَالَ عُثْمَانُ أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ وَ لِي مُعَاوِيَةَ فَقَدْ وَ لَيْتُهُ قَالَ عَلِيٌّ أَنْشُدْكَ اللَّهُ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ أَحْوَفَ لِعُمَرَ مِنْ يَزْفَأَ غُلَامِهِ لَهُ قَالَ بَلَى قَالَ فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ يَقْطَعُ الْأُمُورَ دُونَكَ وَ يَقُولُ لِلنَّاسِ هَذَا بِأَمْرِ عُثْمَانَ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ فَلَا تُعَيِّرْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ فَخَرَجَ عُثْمَانُ عَلَى أَثَرِهِ فَجَلَسَ عَلَى الْمِثْبَرِ فَخَطَبَ النَّاسَ وَ قَالَ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَهُ وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَاهَهُ وَ إِنْ آفَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَ عِيَاهَهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ عَيَّابُونَ طَعَانُونَ يُرُونَكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَ يَسْتُرُونَ عَنْكُمْ مَا تَكْرَهُونَ يَقُولُونَ لَكُمْ وَ تَقُولُونَ أَمْثَالَ النَّعَامِ يَتَّبِعُ أَوَّلَ نَاعِقٍ أَحْبُّ مَوَارِدِهَا إِلَيْهَا الْبَعِيدُ لَا- يَشْرَبُونَ إِلَّا- نَعْصًا وَ لَا- يَرِدُونَ إِلَّا- عَكْرًا أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ عِبْتُمْ عَلِيًّا مَا أَفْرَزْتُمْ لِابْنِ الْخَطَّابِ بِمِثْلِهِ وَ لَكِنَّهُ وَ طَنَكُمْ بِرِجْلِهِ وَ ضَرَبَكُمْ بِيَدِهِ وَ قَمَعَكُمْ بِلِسَانِهِ فَمَدِنْتُمْ لَهُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ وَ كَرِهْتُمْ وَ لَنْتَ لَكُمْ وَ أَوْطَأْتُمْ كَيْفِي وَ كَفَفْتِ يَدِي وَ لَسَانِي عَنْكُمْ فَاجْتَرَأْتُمْ عَلِيًّا أَمَا وَ اللَّهُ لِأَنَا أَقْرَبُ نَاصِرًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا وَ أَكْثَرُ عِدَدًا وَ أَحْرَى إِنْ قُلْتُ هَلُمَّ أَنْ يُجَابَ صَوْتِي وَ لَقَدْ أَغِيدَدْتُ لَكُمْ أَفْرَانًا وَ كَشَرْتُ لَكُمْ عَنْ نَابِي وَ أَخْرَجْتُمْ مِنِّي خُلُقًا لَمْ أَكُنْ أَحْسِبُهُ وَ مَنْطِقًا لَمْ أَكُنْ أَنْطِقُ بِهِ فَكُفُّوا عَنِّي أَلَيْسَ بَيْنَكُمْ وَ طَعْنَكُمْ وَ عَيْبَكُمْ عَلَيَّ وَ لَا تِكُمْ فَمَا الَّذِي تَفْقِدُونَ مِنْ حَقِّكُمْ وَ اللَّهُ مَا فَصْرْتُ عَنْ بُلُوغٍ مَنْ كَانَ فَنَبِيٍّ يَبْلُغُ وَ مَا وَجَدْتُمْ تَحْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فَمَا بِالْكُمْ.

فَقَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالَ وَ إِنْ شِئْتُمْ حَكَمْنَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ السَّيْفَ.

فَقَالَ عُثْمَانُ اسْكُتْ لَا سَكَتَ دَعْنِي وَ أَصْحَابِي مَا مَنْطِقُكَ فِي هَذَا أَلَمْ أَتَقَدَّمْ (٢) إِلَيْكَ أَلَا تَنْطِقُ.

فَسَكَتَ مَرْوَانُ وَ نَزَلَ عُثْمَانُ

ص: ٢٦٥

١- (١) من الطبري.

٢- (٢) تقدم إليه: أمره.

إبتدعهم خلقاً عجيباً من حيوانٍ و مواتٍ و ساكنٍ و ذى حركاتٍ و أقام من شواهد البينات على لطيف صنعه و عظيم قدرته ما انقادت له العقول معتتره به و مسلمه له و نعتت في أسماعنا دلائله على وحدانيته و ما ذراً من مختلف صور الطيار التي أسكنها أخاديد الأرض و خرزوق فجاجها و رواسي أعلامها من ذات أجنحه مختلفه و هيئات متباينه مصرفه في زمام التسخير و مرفرفه بأجنحتها في مخارج الجو المنفسح و الفضاء المنفرج كونها بعيد إذ لم تكن في عجائب صور ظاهره و ركبتها في حفاق مفاصل محتجبه و منع بعضها بعباله خلقه أن يسلم في الهواء خفواً و جعله يدف دفيفاً و نسقها على اختلافها في الأصابع بلطيف قدرته و دقيق صنعه فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه و منها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صنع به .

الموات بالفتح ما لا- حياه فيه و أرض موات أى قفر و الساكن هاهنا كالأرض و الجبال و ذو الحركات كالنار و الماء الجارى و الحيوان .

و نعقت في أسمعنا دلائله

أى صاحت دلائله لظهورها كالأصوات المسموعة التي تعلم يقينا .

و أخاديد الأرض شقوقها جمع أخذود و فجاجها جمع فج و هو الطريق بين الجبلين و رواسى أعلامها أثقال جبالها .

مصرفه في زمام التسخير

أى هى مسخره تحت القدره الإلهيه .

و حقاق المفاصل جمع حقّ و هو مجمع المفصلين من الأعضاء كالركبه و جعلها محتجبه لأنها مستوره بالجلد و اللحم .

و عباله الحيوان كثافه جسده و الخفوف سرعه الحركه و الديف للطائر طيرانه فويق الأرض يقال عقاب دفوف قال إمرؤ القيس يصف فرسه و يشبهها بالعقاب كأئى بفتحاء الجناحين لقوه دفوف من العقبان طأطأت شمالى (١) .

و نسقها

رتبها و الأصايغ جمع أصباغ و أصباغ جمع صبغ .

و المغموس الأول هو ذو اللون الواحد كالأسود و الأحمر و المغموس الثانى ذو اللونين نحو أن يكون أحمر و عنقه خضراء .

و روى قد طورق لون أى لون على لون كما تقول طارقت بين الثوبين .

فإن قلت ما هذه الطيور التي يسكن بعضها الأخاديد و بعضها الفجاج و بعضها رءوس الجبال .

قلت أما الأول فكالقطا و الصدى (٢) و الثانى كالقبيج (٣) و الطيهوج (٤) و الثالث كالصقر و العقاب

ص: ٢٦٧

١-١) ديوانه ٣٨.الفتحاء:اللينه الجناحين.و اللقوه:السريعه من العقبان.و طأطأت:دانيت و خفضت.و الشمال:الخفيفه السريعه.

٢-٢) الصدا:ذكر البوم.

٣-٣) القبيج،واحد القبيجه؛و هى أنثى الحجل.

٤-٤) الطيهوج:طائر شبيه بالحجل الصغير،غير أن عنقه أحمر و منقاره و رجلاه حمر.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي [أَحْسَن]

أَحْكَمَ تَعْدِيلٍ وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدِ بَجَنَاحِ أَشْرَجِ قَصَبِهِ وَذَنْبِ أَطَالِ مَسْحَبِهِ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيِّهِ وَسَمَّا بِهِ مُطْلًا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوثِيَّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ يُفَضِّي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ وَيُورُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُعْتَلِمَةِ لِلضَّرَابِ أَحْيَاكَ مِنْ ذِكِّكَ عَلَى مُعَايِنَتِهِ لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْبَادَهُ وَ لَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِجَدْمَعِهِ تَشِيْفُحَهَا مِدَامِعُهُ فَتَقْفُ فِي ضَفْتِي جُفُونِهِ وَ أَنَّ أَتْنَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُتَبَجْسِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغَرَابِ .

الطاوس

فاعول كالهاضوم و الكابوس و ترخيمه طويس و نضد رتب قوله أشرج قصبه القصب هاهنا عروق الجناح و غضاريفه عظامه الصغار و أشرجها ركب بعضها في بعض كما تشرح العيبه أى يداخل بين أشراجها و هى عراها واحدها شرح بالتحريك.

ثم ذكر ذنب الطاوس و أنه طويل المسحب و أن الطاوس إذا درج إلى الأنثى للسفاد نشر ذنبه من طيه و علا به مرتفعا على رأسه و القلع شرع السفينه و جمعه قلاع و الدارى جالب العطر فى البحر من دارين و هى فرضه بالبحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند و

٢٠٥٩

فِي الْحَدِيثِ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ كَالدَّارِيِّ إِنْ لَمْ يُحْذِكْ مِنْ عَطْرِهِ عَلِقَكَ مِنْ رِيحِهِ (١).

قال الشاعر

ص: ٢٦٨

(١ - ١) نهايه ابن الأثير ٢١١:١. لم يحذك: لم يعطك.

إذا التاجر الدارى جاء بفأره

من المسك راحت فى مفارقهم تجرى.

و النوتى الملاح و جمعه نواتى.

و عنجه عطفه و عنجت خطام البعير رددته على رجليه أعنجه بالضم و الاسم العنج بالتحريك و فى المثل عود يعلم العنج (١)

يضرب مثلاً لتعليم الحاذق.

و يختال من الخيلاء و هى العجب و يمس يتبختر.

و زيفانه تبختره زاف يزيف و منه ناقه زيافه أى مختاله قال عنتره زيافه مثل الفنيق المكدم (٢).

و كذلك ذكر الحمام عند الحمامه إذا جر الذنابى و دفع مقدمه بمؤخره و استدار عليها .

و يفضى يسفد و الديكه جمع ديك كالقرطه و الجحره جمع قرط و جحر.

و يؤر

يسفد و الأرى الجماع و رجل آرى كثير الجماع و ملاقحه أدوات اللقاح و أعضاءه و هى آلات التناسل.

قوله أرى الفحول أى أرى مثل أرى الفحول ذات الغلمه و الشبق .

ثم ذكر أنه لم يقل ذلك عن إسناد قد يضعف و يتداخله الطعن بل قال ذلك عن عيان و مشاهده.

ص: ٢٦٩

١- ١) العود: البعير المسن، و انظر مجمع الأمثال ١: ١٢.

٢- ٢) من المعلقه- بشرح التبريزى، و صدره: *ينباع من ذفرى غضوب جسره* ينباع: ينفعل من باع يبيع؛ إذا مر مرّ الينا. و الذفران: الحيدان الناتان بين الأذن و منتهى الشعر. و الجسره: الضخمه. و الزيافه: المسرعه. و الفنيق: الفحل، و المكدم، من الكدم و هو العض. (من شرح التبريزى).

فإن قلت من أين للمدينه طوأويس و أين العرب و هذا الطائر حتى يقول أمير المؤمنين ع أحيلك من ذلك على معاينه لا سيما و هو يعنى السفاد و رؤيه ذلك لمن تكثر الطواويس فى داره و يطول مكثها عنده نادره.

قلت لم يشاهد أمير المؤمنين ع الطواويس بالمدينه بل بالكوفه و كانت يومئذ تجبى إليها ثمراتٌ كُلُّ شَيْءٍ و تأتي إليها هدايا الملوک من الآفاق و رؤيه المسافده مع وجود الذكر و الأنثى غير مستبعده .

و اعلم أن قوما زعموا أن الذكر تدمع عينه فتقف الدمعه بين أجفانه فتأتى الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعه و أمير المؤمنين ع لم يحل ذلك و لكنه قال ليس بأعجب من مطاعمه الغراب و العرب تزعم أن الغراب لا يسفد و من أمثالهم أخفى من سفاد الغراب فيزعمون أن اللقاح من مطاعمه الذكر و الأنثى منهما و انتقال جزء من الماء الذى فى قانصته إليها من منقاره و أما الحكماء فقل أن يصدقوا بذلك على أنهم قد قالوا فى كتبهم ما يقرب من هذا قالوا فى السمك البياض إن سفاده خفى جدا و إنه لم يظهر ظهورا يعتد به و يحكم بسببه.

هذا لفظ ابن سينا فى كتاب الشفاء ثم قال و الناس يقولون إن الإناث تأخذ زرع الذكور فى أفواها إلى بطونها ثم قال و قد شوهدت الإناث منها تتبع الذكور مبتلعه للزرع و أما عند الولاده فإن الذكور تتبع الإناث مبتلعه ببيضاها.

قال ابن سينا و القبجه تحبلها ریح تهب من ناحیه الحجل الذكر و من سماع صوته.

قال و النوع المسمى مالاquia تتلاصق بأفواها ثم تتشابك فذاك سفادها و سمعت

أن الغراب يسفد و أنه قد شوهد سفاده و يقول الناس إن من شاهد سفاد الغراب يثرى و لا يموت إلا و هو كثير المال موسر.

و الصفتان بفتح الضاد الجنابان و هما صفتا النهر و قد جاء ذلك بالكسر أيضا و الفتح أفصح .

و المنبجس المنفجر و يسفحها يصبها و روى تنشجها مدامعه من النشيج و هو صوت الماء و غليانه من زق أو حب أو قدر تخال
فَصَبَهُ مِدَارِي مِنْ فَضِّهِ وَ مَا أُنبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِهِ خَالِصِ الْعَقِيَانِ وَ فِلَعَدَ الزَّبْرَجِيدِ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أُنبِتَتِ الْأَرْضُ
قُلْتَ [جُنَيْ]]

جُنَى جُنَى مِنْ زَهْرِهِ كُلِّ رَيْبِ وَ إِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشَى الْحَلَلِ أَوْ كَمُونَتِي عَصَبِ الْيَمَنِ وَ إِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ
كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمَكَلَّلِ يَمْشِي مَشَى الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَ يَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَ [جَنَاحَهُ]

جَنَاحِيهِ فَيَفْهَقُهُ ضَاحِكًا لِحِمَالِ سَرْبَالِهِ وَ أَصَابِيغِ وَ شَاحِهِ فَإِذَا رَمَى بِبَصِيرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَفَا مُعْوَلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِعَاثَتِهِ وَ
يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمُشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيِّهِ .

قصبه

عظام أجنحته و المدارى جمع مدرى و هو فى الأصل القرن قال النابغه يصف الثور و الكلاب شك الفريصه بالمدرى فأنفذها
شك المييطر إذ يشفى من العضد (١) .

ص: ٢٧١

و كذلك المدراه و يقال المدرى لشيء كالمسله تصلح بها الماشطه شعور النساء قال الشاعر تهلك المدراه فى أكنافه و إذا ما أرسلته يعتقر (١).

و تمدرت المرأه أى سرحت شعرها شبه عظام أجنحه الطاوس بمدارى من فضه لبياضها و شبه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات و الشموس التى فى الريش بخالص العقيان و هو الذهب.

و فلذ الزبرجد

جمع فلذه و هى القطعه و الزبرجد هذا الجوهر الذى تسميه الناس البلخش .

ثم قال إن شبهته بنبات الأرض قلت إنه قد جنى من زهره كل ربيع فى الأرض لاختلاف ألوانه و أصباغه .

و إن ضاهيته بالملابس

المضاهاه المشاكله يهمز و لا يهمز و قرئ يضاهاون قول الذين كفروا (٢) و يُضَاهَوْنَ و هذا ضهى هذا على فعيل أى شبيهه.

و موشى الحلل ما ديج بالوشى و هو الأرقم الملون و العصب برود اليمن . و الحلى جمع حلّى و هو ما تلبسه المرأه من الذهب و الفضه مثل ثدى و ثدى و وزنه فعول و قد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى و قرئ مِنْ حُلِيِّهِمْ (٣) بالضم و الكسر.

و نطقت باللجين جعلت الفضه كالنطاق لها و المكمل ذو الإكليل.

ص: ٢٧٢

١-١) اللسان ٢٨٠:١٨ (من غير نسبه).

٢-٢) سوره التوبه ٣٠.

٣-٣) سوره الأعراف ١٤٨.

و زقا صوت يزقو زقوا و زقيا و زقاء و كل صائح زاق و الزقيه الصيحه و هو أثقل من الزواقى أى الديكه لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت الديكه تفرقوا.

و معولا صارخا أعولت الفرس صوتت و منه العويل و العوله .

و قوائمه حمش دفاق و هو أحمش الساقين و حمش الساقين بالتسكين و قد حمشت قوائمه أى دقت و تقول العرب للغلام إذا كانت أمه بيضاء و أبوه عربيا آدم فجاء لونه بين لونيهما.

خلاسى بالكسر و الأئثى خلاسيه و قال الليث الديكه الخلاسيه هى المتولده من الدجاج الهندى و الفارسى.

يقول ع إن الطاوس يزهى بنفسه و يتيه إذا نظر فى أعطافه و رأى ألوانه المختلفه فإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك و انكسر نشاطه و زهوه فصاح صياح العويل لحزنه و ذلك لدقه ساقيه و نتوء عرقوبيه و قد نَجَمَتْ مِنْ طُثُوبِ سَاقِهِ صِيصَةً يَهْ خَفِيَّةً وَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنُزَعٌ خَضِرَاءُ مُوشَاهُ وَ مَخْرَجٌ عَنْقِهِ كَالْبُرَيْقِ وَ مَغْرُزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبِغِ الْوَشْمِ الْيَمَانِيِّ أَوْ كَحَرِيرِهِ مُلْبَسِهِ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ وَ كَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرِ أَسَدٍ حَمٍ إِلَّا أَنَّهُ يُحْيِلُ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهِ وَ شِدَّةِ بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخَضِرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةً بِهِ وَ مَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ حَطُّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَفْحَوَانِ أَيْضُ يَقَقُّ فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادٍ

مَا هُنَالِكَ يَا تَلِقُ وَقَلَّ صَبْعٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرِهِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْتُوثَةِ
لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَيْبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ .

نجمت

ظهرت و الظنبوب حرف الساق و هو هذا العظم اليابس .

و الصيصيه فى الأصل شوكة الحائك التى يسوى بها السداه و اللحمه و منه قوله (١) كوقع الصياصى فى النسيج الممدد .

و نقل إلى صيصيه الديك لتلك الهيئه التى فى رجله .

و العرف الشعر المرتفع من عنقه على رأسه و القنزعه واحده القنازح و هى الشعر حوالى الرأس و

٢٠٦٠

فى الحديثِ عَطَى عَنَّا قَنَازِعِكَ يَا أُمَّ أَيْمَنَ (٢) .

و موشاه ذات و شى .

و الوسمه بكسر السين العظم الذى يخضب به و يجوز تسكين السين .

و الأسحم الأسود و المتلفع الملتحف و يروى متقنع بمعجر و هو ما تشده المرأه على رأسها كالرداء .

و الأتخوان البابونج الأبيض و جمعه أقاح .

ص: ٢٧٤

١-١) لدريد بن الصمه، و صدره: *فجئت إليه و الرّماح تنوشه* من كلمه له فى ديوان الحماسه ٣٠٤:٢-٣٠٩ بشرح التبريزى .

٢-٢) النهايه لابن الأثير ٢٧٩:٣؛ و لفظه هناك: «أنه قال لأم سليم: خضلى قنازحك» .

و أبيض يقق خالص البياض و جاء يقق بالكسر و يأتلق يلمع .

و البصيص البريق و بص الشيء لمع .

و تربها الأمطار تربيتها و تجمعها.

يقول ع كأن هذا الطائر ملتحف بملحفه سوداء إلا أنها لكثرة رونقها يتوهم أنه قد امتزج بها خضره ناضره و قل أن يكون لون إلا
و قد أخذ هذا الطائر منه بنصيب فهو كأزاهير الربيع إلا أن الأزهار تربيتها الأمطار و الشمس و هذا مستغن عن ذلك و قد ينحسر
من ريشه و يعرى من لباسه فيسقط تثرى و يثبت تباعاً فينحط من قصبه انحطت أوراق الأغصان ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته
قبل سقوطه لا يخالف سالف ألوانه و لا يقع لون في غير مكانه و إذا تصفحت شعره من شعرات قصبه ارتك حمره و رديه و تاره
خضرة زبرجديه و أحياناً صفره عسجديه فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال
الواصة فين و أقل أجزاءه قد أعجز الأوهام أن تدركه و الألسنة أن تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاله للعيون
فأدر كنهه محدوداً مكوّناً و مؤلفاً ملوّناً و أعجز الألسن عن تلخيص صفته و قعد بها عن تأديبه نعتيه و سبحان من أدمج قوائم الدرر و
الهمج إلى ما فوقهما من خلق الحيتان و الفيل

ص: ٢٧٥

وَ أَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَيْخٍ مِّمَّا أُوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَ جَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَ الْفَنَاءَ غَايَتَهُ .

ينحسر من ريشه

ينكشف فيسقط و يروى يتحسر .

تترى

أى شيئاً بعد شيء و بينهما فتره قال الله تعالى ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا (١) لأنه لم يرسلهم على تراسل بل بعد فترات و هذا ممّا يغلط فيه قوم فيعتقدون أن تترى للمواصله و الالتصاق و أصلها الواو من الوتر و هو الفرد و فيها لغتان تنون و لا تنون فمن ترك صرفها للمعرفه جعل ألفها ألف تأنيث و من نونها جعل ألفها للإلحاق.

قال ع و ينبت تباعا أى لا فترات بينهما و كذلك حال الريش الساقط يسقط شيئاً بعد شيء و ينبت جميعاً.

و ينحت يتساقط و انحطات الورق تناثرها و ناميا زائدا يقول ع إذا عاد ريشه عاد مكان كل ريشه ريشه ملونه بلون الريشه الأولى فلا يتخالف الأوائل و الأواخر .

و الخضره الزبرجديه منسوبه إلى الزمرد (٢) و لفظه الزبرجد تاره تستعمل له و تاره لهذا الحجر الأحمر المسمى بلخش و العسجد الذهب و و عمائق الفطن

ص: ٢٧٤

١- (١) سورة المؤمنين ٤٤.

٢- (٢) فى اللسان: «الزبرجد و الزبردج: الزمرد».

البعيده القعر و القريحه خاطر و الذهن و بهر غلب و جلاه أظهره و يروى بالتخفيف و أدمج القوائم أحكمها كالحبل المدمج الشديد القتل.

و الذره النمله الصغيره و الهمجه واحده الهمج و هو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم و الحمر و أعينها .

و وأى

وعد و الوأى الوعد.

و اعلم أن الحكماء ذكروا فى الطاوس أمورا قالوا إنه يعيش خمسا و عشرين سنه (1) و هى أقصى عمره و يبيض فى السنه الثالثه من عمره عند ما ينتقش لونه و يتم ريشه و يبيض فى السنه مره واحده اثنتى عشره بيضه فى ثلاثه أيام و يحضنها ثلاثين يوما فيفرخ و يلقى ريشه مع سقوط ورق الشجر و ينبته مع ابتداء نبات الورق.

و الدجاج قد يحضن بيض الطاوس و إنما يختار الدجاج لحضانتها و إن وجدت الطاوسه لأن الطاوس الذكر يعبث بالأنثى و يشغلها عن الحضانه و ربما انفقص البيض من تحتها و لهذه العله يخبأ كثير من الإناث محاضنها عن ذكرانها و لا تقوى الدجاجه على أكثر من بيضتى طاوس و ينبغى أن يتعهد الدجاجه حينئذ بتقريب العلف منها.

و قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله فى كتاب الحيوان إن الطاوسه قد تبيض من الريح بأن يكون فى سفاله الريح و فوقها طاوس ذكر فيحمل ريحه فتبيض منه و كذلك القبعه.

قال و يبيض الريح قل أن يفرخ

ص: ٢٧٧

(١ - ١) ساقط من ب.

مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصِيرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ
لذَاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا وَ لَدَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي [إِضْطِفَافِ]

إِضْطِفَافِ أَشْجَارِ عُيْبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَ فِي تَغْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَ أَفْنَانِهَا وَ
طُلُوعِ تَلْمَكِ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُتِيهِ مُجْتَنِبِيهَا وَ يُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْنِيهِ قُصُورِهَا
بِالْأَعْسَالِ الْمُصَيَّفَةِ وَ الخُمُورِ المُرُوقَةِ قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الكِرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ القَرَارِ وَ أَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ فَلَوْ شَعَلَتْ قَلْبَكَ
أَيُّهَا المُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ المَنَاطِرِ المُونِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا وَ لَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى
مُجَاوَرَةِ أَهْلِ القُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا جَعَلْنَا اللّٰهَ وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

قال الرضى رحمه الله تعالى تفسير بعض ما فى هذه الخطبه من الغريب قوله ع يؤر بملاقحه الأركنايه عن النكاح يقال أرك الرجل
المراه يؤرها إذا نكحها.

وقوله ع كأنه قلع دارى عنجه نوتيه القلع شراع السفينه و دارى منسوب إلى دارين و هى بلده على البحر يجلب منها الطيب و
عنجه أى عطفه يقال عنجت الناقه أعنجهها عنجا إذا عطفتها و النوتى الملاح.

و قوله ع ضفتى جفونه أراد جانبى جفونه و الضفتان الجانبان.

و قوله و فلذ الزبرجد الفلذ جمع فلذه و هى القطعه.

و قوله ع كبائس اللؤلؤ الرطب الكباسه العذق و العساليج الغصون واحدها عسلوج

رميت ببصر قلبك

أى أفكرت و تأملت و عزفت نفسك كرهت و زهدت و الزخارف جمع زخرف و هو الذهب و كل مموه .

و اصطفاف الأشجار انتظامها صفا و يروى فى اصطفاق أغصان أى اضطرابها .

يأتى على منيه مجتنيها

لا يترك له منيه أصلاً لأنه يكون قد بلغ نهايه الأمانى.

و العسل المصفق المصفى تحويلاً من إناء إلى إناء و المونقه المعجبه و زهقت نفسه مات.

و اعلم أنه لا مزيد فى التشويق إلى الجنه على ما ذكره الله تعالى فى كتابه فكل الصيد فى جانب الفرا (١).

ص: ٢٧٩

١-١) الفرا: حمار الوحش؛ و أصل المثل: «كل الصيد فى جوف الفرا»، و فى القاموس بغير همز لأنه مثل؛ و الأمثال موضوعه على الوقف».

و قد جاء عن رسول الله ص فى ذلك أخبار صحيحه

٢٠٦١

فَرَوَى أَسِيَامُهُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَذْكُرُ الْجَنَّةَ فَقَالَ أَلَا مُشْتَرٍ لَهَا هِيَ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ رِيحَانُهُ تَهْتَرُ وَ نُورٌ يَتَلَأَأُ وَ نَهْرٌ يَطْرُدُ وَ زَوْجَةٌ لَا تَمُوتُ مَعَ حُبُورٍ وَ نَعِيمٍ وَ مَقَامٍ الْأَبَدِ.

و

٢٠٦٢

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنْهُ ص أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا حَوَّطَ حَائِطَ الْجَنَّةِ لِنَبِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ وَ لِبَنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ عَرَسَ غَرَسَهَا قَالَتْ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ طُوبَى لَكَ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ.

و

٢٠٦٣

رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ ع إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ لَهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى أَ تُحِبُّونَ أَنْ أَزِيدَكُمْ فَيَقُولُونَ وَ هَلْ خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِينَا فَيَقُولُ نَعَمْ رِضْوَانِي أَكْبَرُ.

و

٢٠٦٤

عَنْهُ ع

إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مَائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَ الشُّرْبِ فَقِيلَ لَهُ فَهَلْ يَكُونُ مِنْهُمْ حَدٌّ أَوْ قَالَ خَبْتُ قَالَ عَرَقَ يَفِيضُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَرِيحِ الْمِسْكِ يُضْمِرُ مِنْهُ الْبَطْنُ.

٢٠٦٥

وَ رَوَى الرَّمَخَشَرِيُّ فِي رِبْعِ الْأَبْرَارِ وَ مِذْهَبُهُ فِي الْإِعْتِرَالِ وَ نُصِيرِهِ أَصِحَابِنَا مَعْلُومٌ وَ كَذَلِكَ فِي انْحِرَافِهِ عَنِ الشَّيْخَةِ وَ تَسْخِيفِهِ لِمَقَالَتِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ص قَالَ لَمَّا أُسِيرَ بِي أَخَذَنِي جَبْرَيْلُ فَأَقْعَدَنِي عَلَى دُرُّوِكٍ مِنْ دَرَانِيكِ الْجَنَّةِ ثُمَّ نَاوَلَنِي سَفْرَجَلَةً فَبَيْنَا أَنَا أَقْلِبُهَا انْفَلَقَتْ فَخَرَجَتْ مِنْهَا جَارِيَةٌ لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا فَسَلِمْتُ فَقُلْتُ مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا الرَّاضِيَةُ الْمَرْضِيَّةُ خَلَقَنِي الْجَبَّارُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ أَعْلَى مِنْ عَثْبِرِ

ص: ٢٨٠

وَ أَوْسَيْطِي مِنْ كَافُورٍ وَ أَسْفَلِي مِنْ مِسْكِ ثُمَّ عَجَّنِي بِمَاءِ الْحَيَوَانِ وَ قَالَ لِي كُونِي كَذَا فَكُنْتُ خَلَقَنِي لِأَخِيكَ وَ ابْنِ عَمِّكَ عَلِيَّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قلت الدر نوک ضرب من البسط ذو حمل و يشبه به فروه البعير قال الراجز جعد الدرانيك رفل الأجلاد (١)

ص: ٢٨١

(١-١) اللسان ١٢:٣٠٦، و نسبه إلى رؤبه، و بعده. * كأنه مختضب في أجساد*.

لِيَتَأَسَّ صِغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ وَلِيُرَافَ كَبِيرُكُمْ بِصِغِيرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاهِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقلُونَ
كَقَيْضٍ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرّاً وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرّاً .

أمرهم ع أن يتأسى الصغير منهم بالكبير فى أخلاقه و آدابه فإن الكبير لكثرة تجربته أحزم و أكيس و أن يراف الكبير بالصغير و الرأفة الرحمة لأن الصغير مظنه الضعف و الرقه .

ثم نهاهم عن خلق الجاهلية فى الجفاء و القسوة و قال إنهم لا يتفقهون فى دين و لا يعقلون عن الله ما يأمرهم به و هذا من قول
الله سبحانه صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقلُونَ (١) و روى تتفقهون بقاء الخطاب .

ثم شبههم ببيض الأفعى فى الأعشاش يظن بيض القطا فلا يحل لمن رآه أن يكسره لأنه يظنه بيض القطا و حضانه يخرج شرا
لأنه يفقص عن أفعى .

ص: ٢٨٢

و استعار لفظه الأداحي للأعشاش مجازاً لأن الأداحي لا تكون إلا للنعام تدحوها بأرجلها و تبيض فيها و دحوها توسيعها من دحوت الأرض.

و القيض الكسر و الفلق فضت القاروره و البيضه و انقاظت هي و انفاض الجدار انقياضاً أى تصدع من غير أن يسقط فإن سقط قيل تقيض تقيضاً و تقوض تقوضاً و قوضته أنا و تقول للبيضه إذا تكسرت فلما تقيضت تقيضاً فإن تصدعت و لم تنفلق قلت انقاظت فهي منقاضه و القاروره مثله منها افترقوا بعيد ألفيتهم و تشتتوا عن أضيلهم فمئتهم أخذ بغضن أينما مال مال معه على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم ليني أمية كما يجتمع فرع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجمعهم ركاباً كركاب السحاب ثم يفتح [الله]

لهم أبواباً يسيلون من مسيتارهم كسيل الجنين حيث لم تسلم عليه قاره و لم تثبت عليه أكمة و لم يرد سينه رص طود و لا حداب أرض يدعدهم الله في بطون أوديته ثم يسلمهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم و يمكن لقوم في ديار قوم و ايم الله ليدوبن ما في أيديهم بعد العلو و التمكن كما تدوب الأليه على النار أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق و لم تهنوا عن توهين الباطل لم

يَطْمَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَ لَمْ يَقْوِ مِنْ قَوِي عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهُ بِنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَعَمْرِي لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التَّيُّهُ مِنْ بَعْدِي أضعافاً
بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ قَطَعْتُمُ الْأَذْنَى وَ وَصَيْلْتُمُ الْأَبْعَدَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ وَ
كُفَيْتُمْ مَوْنَهُ الْإِعْتِسَافِ وَ نَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ .

هو ع يذكر حال أصحابه و شيعته بعده فيقول افترقوا بعد ألفتهم أى بعد اجتماعهم.

و تشتتوا عن أصلهم

أى عنى بعد مفارقتى فمنهم آخذ بغصن أى يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدى من ذريه الرسول أينما سلكوا سلكوا
معهم و تقدير الكلام و منهم من لا يكون هذه حاله لكنه لم يذكره ع اكتفاء بذكر القسم الأول لأنه دال على القسم الثانى .

ثم قال على أن هؤلاء القوم من ثبت منهم على عقيدته فينا و من لم يثبت لا بد أن يجمعهم الله تعالى لشى يوم لبنى (1) أمية و
كذا كان فإن الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزاله ملك بنى مروان من كان منهم ثابتا على ولاء على بن أبى طالب ع و من حاد
منهم عن ذلك و ذلك فى أواخر أيام مروان الحمار عند ظهور الدعوه الهاشمية.

و قرع الخريف جمع قرعه و هى سحب صغار تجتمع فتصير ركاما و هو ما كثف

ص: ٢٨٤

١-١ ج: «بنى».

من السحاب وركمت الشيء أركمه إذا جمعته وألقت بعضه على بعض .

و مستشارهم موضع ثورتهم.

و الجنةان هما اللتان قال الله تعالى فيهما لقد كان لسبأ في مَسِيكِنِهِنَّ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَ شِمَالٍ (١) و سلط الله عليهما السيل قال الله تعالى فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (٢) فشبّه ع سيلان الجيوش إلى بنى أمية بالسيل المسلط على تينك الجنةين .

فإنه لم تسلم عليه قاره و هي الجيل الصغير و لم تثبت له أكمه و هي التلعه من الأرض .

و لم يرد سننه

أى طريقه طود مرصوص أى جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض و لا حداب أرض جمع حدبه (٣) و هي الروابي و النجاد .

ثم قال يذعدهم الله الذعدعه بالذال المعجمه مرتين التفريق و ذعدعه الشر إذاعته.

ثم يسلكهم

يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ

من ألفاظ القرآن (٤) و المراد أنه كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن في أعماق الأرض ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله تعالى في بطون الأودية و غوامض الأغوار ثم

ص: ٢٨٥

١-١) سورة سبأ ١٥.

٢-٢) سورة سبأ ١٦.

٣-٣) في اللسان: الحدبه، بفتحين: ما أشرف من الأرض و غلظ و ارتفع. و لا تكون الحدبه إلا في قف أو غلظ من الأرض.

٤-٤) و هو قوله تعالى في سورة الزمر ٢١: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ..

يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين و يمكن منهم قوما من ملك قوم و ديارهم .

ثم أقسم ليدوبن ما فى أيدى بنى أميه بعد علوهم و تمكينهم كما تذوب الأليه على النار و همزه الأليه مفتوحه و جمعها أليات بالتحريك و التشنيه أليان بغير تاء قال الراجز ترتج ألياه ارتجاج الوطب (١).

و جمع الأليه ألاء على فعال و كبش آلى على أفعل و نعهه ألياء و الجمع ألى على فعل و يقال أيضا كبش أليان بالتحريك و كباش أليانات و رجل ألياً أى عظيم الأليه و امرأه عجزاء و لا تقل ألياء و قد قاله بعضهم و قد ألى الرجل بالكسر يألى عظمت أليته .

ثم قال لو لا تخاذلكم لم يطمع فيكم من هو دونكم.

و تهنوا مضارع و هن أى ضعف و هو من أفاظ القرآن (٢) أيضا .

و تهتم متاه بنى إسرائيل حرتهم و ضللتهم الطريق و

٢٠٦٦

١٤- قَدْ جَاءَ فِي الْمَسَانِيدِ الصَّحِيحِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَتَرْكَبَنَّ سَيْنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُدَّهِ بِالْقُدَّهِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ إِذَا .

و

٢٠٦٧

مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحِهِ أَيْضاً أُمَّتَهُوْكَونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهُوْكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (٣).

٢٠٦٨

وَ فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَ مُسْلِمٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَنَّهُ سَيَجَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَاسٍ مِنْ أُمَّتِي

ص: ٢٨٦

١- (١) الصحاح (ألى) من غير نسبه.

٢- (٢) و هو قوله تعالى فى سورة آل عمران ١٣٩: «وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» .

٣- (٣) النهايه لابن الأثير ٢٥٨:٤؛ قال: «التهوك كالتهور؛ و هو الوقوع فى الأمر بغير رويه. أو الذى يقع فى كل أمر؛ و قيل: هو التحير».

فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي قُلْتُ أَيُّ رَبِّ أَصِحَابِي فَيُقَالُ لِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمَلُوا بِعَدَاكَ فَأَقُولُ مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

الإسناد في هذا الحديث عن ابن عباس رضی الله عنه.

٢٠٦٩

١٤- وَفِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَتْ اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمًا مِنْ نَوْمِهِ مُحَمَّرًا وَجْهُهُ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ نَهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ فَقَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ .

٢٠٧٠

١٤- وَفِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَرَلُوهُمْ .

رواه أبو هريره عنه ص .

٢٠٧١

ثُمَّ قَالَ ع

لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التَّيُّهُ مِنْ بَعْدِي .

يعنى الضلال يضعفه لكم الشيطان و أنفسكم بما خلفتم الحق وراء ظهوركم أى لأجل ترككم الحق و قطعكم الأدنى يعنى نفسه و وصلكم الأبعد يعنى معاويه و يروى إن اتبعتم الراعى لكم بالراء.

و الاعتساف سلوك غير الطريق و الفادح الثقل فدحه الدين أثقله

ص: ٢٨٧

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَخُذُوا نَهَجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاضِدْفُوا عَنْ سَيِّئَاتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدْوِهِيَ إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ وَ أَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ وَ فَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا وَ شَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَ التَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَجِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ بِأَدْرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَ خَاصَّةِ أَحِبُّكُمْ وَ هُوَ الْمَوْتُ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَ إِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ تَخَفُّوا تَلَحَّقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبُهَائِمِ [و]

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ لَا تَعْصُوهُ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

و اصدفوا عن سمت الشر

أى أعرضوا عن طريقه تقصدوا أى تعدلوا و القصد العدل .

ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات و المحافظه عليها كالصلاه و الزكاه و انتصب ذلك على الإغراء .

ثم ذكر أن الحرام غير مجهول للمكلف بل معلوم و الحلال غير مدخول أى لا عيب و لا نقص فيه و أن حرمه المسلم أفضل من جميع الحرمات و هذا لفظ

٢٠٧٢

الْخَيْرِ النَّبِيِّ حُرْمَهُ الْمُسْلِمِ فَوْقَ كُلِّ حُرْمَةٍ دَمُهُ وَ عِرْضُهُ وَ مَالُهُ.

قال ع و شد بالإخلاص و التوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها لأذن الإخلاص و التوحيد داعيان إلى المحافظه على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم .

قال فالمسلم من سلم الناس هذا لفظ الخبر النبوى بعينه.

قوله و لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب أى إلا بحق و هو الكلام الأول و إنما أعاده تأكيدا .

ثم أمر بمبادره الموت و سماه الواقعه العامه لأنه يعم الحيوان كله ثم سماه خاصه أحدكم لأنه و إن كان عاما إلا أن له مع كل إنسان بعينه خصوصيه زائده على ذلك العموم .

قوله فإن الناس أمامكم أى قد سبقوكم و الساعه تسوقكم من خلفكم .

ثم أمر بالتخفف (١) و هو القناعه من الدنيا باليسير و ترك الحرص عليها فإن المسافر الخفيف أحرى بالنجاه و لحاق أصحابه و بلوغ المنزل من الثقل.

ص: ٢٨٩

(١- ١) ا،ب «بالتخفيف»، و ما أثبتته من د.

وقوله فإنما ينتظر بأولكم آخركم أى إنما ينتظر بيعت الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر أيضا فيبعث الكل جميعا فى وقت واحد .

ثم ذكر أنهم مسئولون عن كل شىء حتى عن البقاع لم استوطنتم هذه و زهدتم فى هذه و لم أخرجتم هذه الدار و عمرتم هذه الدار و حتى عن البهائم لم ضربتموها لم أجمعتموها .

و روى فإن البأس (١) أمامكم يعنى الفتنة و الرواية الأولى أظهر و

٢٠٧٣

قَدْ وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ لَيْتَصِفَنَّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ .

و

٢٠٧٤

جَاءَ فِي الْخَبْرِ الصَّحِيحِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَذَّبَ إِنْسَانًا بَهَرَ حَبْسَهُ فِي بَيْتٍ وَ أَجَاعَهُ حَتَّى هَلَكَ .

ص : ٢٩٠

(١ - ١) ب: «الناس» تحريف؛ و ما أثبتته من باقى الأصول.

و قد قال له قوم من الصحابه لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان فقال ع يا إخواناه إني لستُ أجهلُ ما تعلمونَ و لكنْ كيفَ لى بقوه و القومُ المُجلبونَ على حِدِّ شوكتهم يملكوننا و لا نملكهم و هيا هم هؤلاء قد شارثَ معهم عيْدانكم و التفتَ إليهم أعرابكم و هم خيالكم يسومونكم ما شاءوا و هل ترؤنَ موضهً ما لِقُدْرِهِ على شئٍ تُريدونه إنَّ هذا الأمرَ أمرٌ جاهليٌّ و إنَّ هؤلاء القومَ مآداهُ إنَّ الناسَ من هَذَا الأمرِ إذا حركَ على أمورٍ فِرَقِهِ تَرى مِيا ترؤنَ و فِرَقِهِ تَرى مِيا لا ترؤنَ و فِرَقِهِ لا تَرى هَذَا و لا هَذَا فاصبروا حتى يهدأ الناسُ و تقع القلوبُ موافعها و تؤخذ الحقوقُ مسِمحه فاهدءوا عني و انظروا ما ذا يأتيكم به أمرى و لا تفعلوا فعلةً تُضعِفُ قوه و تُسقطُ منه و تورثُ و هنا و ذلّه و سأمسكُ الأمرَ ما استمسكُ و إذا لمَ أجد بُدًّا فأخِرُ الدَّواءِ الكيِّ .

أجلب عليه أعان عليه و أجلبه أعانه و الألف في يا إخواناه بدل من ياء الإضافة و الهاء للسكت.

و على حدّ شوكتهم شدتهم أى لم تنكسر سورتهم .

و العبدان جمع عبد بالكسر مثل جحش و جحشان و جاء عبدان بالضم مثل تمر و تمران و جاء عبيد مثل كلب و كليب و هو جمع عزيز و جاء أعبد و عباد و عبدان مشدده الدال و عباء بالمد و عبدى بالقصر و معبوداء بالمد و عبد بالضم مثل سقف و سقف و أنشدوا أنسب العبد إلى آبائه أسود الجلده من قوم عبد (١) .

و منه قرأ بعضهم و عبد الطاغوت (٢) و أضافه.

قوله و التفت إليهم أعرابكم انضمت و اختلطت بهم .

و هم خلالكم

أى بينكم يسومونكم ما شاءوا يكلفونكم قال تعالى يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ (٣) .

و تؤخذ الحقوق مسمحه

من أسمح أى ذل و انقاد .

فاهدءوا عنى

أى فاسكنوا (٤) هداً الرجل هداً و هدوءاً أى سكن و أهدأه غيره و تضعضع قوه تضعف و تهدد ضعفت البناء هددته و المنه القوه و الوهن الضعف و آخر الدواء الكى مثل مشهور و يقال آخر الطبّ و يغلط فيه العامه فتقول آخر الداء و الكى ليس من الداء ليكون آخره

ص: ٢٩٢

١-١ (١) اللسان ٤:٢٦٠.

٢-٢ (٢) سورة المائده ٦٠؛ و هى قراءه عن ابن عباس، و انظر تفسير القرطبي ٦:٢٣٥.

٣-٣ (٣) سورة البقره ٤٩.

٤-٤ (٤) فى الأصول: «فاسكتوا».

واعلم أن هذا الكلام يدلّ على أنه ع كان في نفسه عقاب الذين حصروا عثمان و الاقتصاص ممن قتله إن كان بقي ممن باشر قتله أحد و لهذا قال إنى لست أجهل ما تعلمون فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك و اعتذر بعدم التمكن كما ينبغي و صدق ع فإن أكثر أهل المدينة أجلبوا عليه و كان من أهل مصر و من الكوفه عالم عظيم حضروا من بلادهم و طواوا المسالك البعيده لذلك و انضم إليهم أعراب أجلاف من الباديه و كان الأمر أمر جاهليه كما قال ع و لو حرك ساكنا لاختلف الناس و اضطربوا فقوم يقولون أصاب و قوم يقولون أخطأ و قوم لا يحكمون بصواب و لا خطأ بل يتوقفون و لا يأمن لو شرع فى عقوبه الناس و القبض عليهم من تجدد فتنه أخرى كالأولى و أعظم فكان الأصوب فى التدبير و الذى يوجب الشرع و العقل الإمساك إلى حين سكون الفتنة و تفرق تلك الشعوب و عود كل قوم إلى بلادهم و كان ع يؤمل أن يطيعه معاويه و غيره و أن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم و يعينون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل و بعضهم للحصار و بعضهم للتسور كما جرت عادته المتظلمين إلى الإمام و القاضى فحينئذ يتمكن من العمل بحكم الله تعالى فلم يقع الأمر بموجب ذلك و عصى معاويه و أهل الشام و التجأ ورثه عثمان إليه و فارقوا حوزة أمير المؤمنين ع و لم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا و إنما طلبوه مغالبه و جعلها معاويه عصبيه الجاهليه و لم يأت أحد منهم الأمر من بابه و قبل ذلك ما كان من أمر طلحه و الزبير و نقضهما البيعه و نهبهما أموال المسلمين بالبصره و قتلها الصالحين من أهلها و جرت أمور كلها تمنع الإمام عن التصدى للقصاص و اعتماد ما يجب اعتماده لو كان الأمر وقع على القاعده

وَ قَدْ قَالَ هُوَ عِ لِمُعَاوِيَةَ

فَأَمَّا طَلْبُكَ قَتْلَهُ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِي الطَّاعَةِ وَ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَخْمَلُكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ .

قال أصحابنا المعتزله رحمهم الله و هذا عين الحق و محض الصواب لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام ثم تقع المحاكمة إليه فإن حكم بالحق استديمت إمامته و إن حكم بالجور انتقض أمره و تعين خلعه.

فإن قلت فما معنى قوله و سأمسك الأمر ما استمسك فإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكى .

قلت ليس معناه و سأصبر عن معاقبه هؤلاء ما أمكن الصبر فإذا لم أجد بدا عاقبتهم و لكنه كلام قاله أول مسير طلحه و الزبير إلى البصره فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبه المجلبين فاعتذر بما قد ذكر ثم قال و سأمسك الأمر ما استمسك أى أمسك نفسى عن محاربه هؤلاء الناكثين للبيعه ما أمكننى و أدفع الأيام بمراستهم و تخويفهم و إنذارهم و أجتهد فى ردهم إلى الطاعه بالترغيب و الترهيب فإذا لم أجد بدا من الحرب فآخر الدواء الكى أى الحرب لأنها الغايه التى ينتهى أمر العصاه إليها

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ وَ إِنَّ الْمُبْتَدِعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِزِّهِ لَأَمْرٌ كُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ (١) الْأَسْلَامِ ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ إِنْ هُوَ لَاءِ قَدْ تَمَالَتْوَا عَلَى سَخَطِهِ إِمَارَتِي وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخْفَ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيْالِهِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ [سُنَّةِ رَسُولِهِ]

سِيرِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

و أمر قائم

أى مستقيم ليس بذى عوج لا يهلك عنه إلا هالك تقديره لا يهلك عادلا عنه إلا هالك و هذا كما تقول لا يعلم هذا الفن إلا عالم أى من قد بلغ الغايه

ص: ٢٩٥

فى العلم و استحق أن يوصف بذلك و يشار إليه فيه كذلك لا- يهلك بعدوله عنه إلا من هو أعظم الهالكين و من يشار إليه بالهلاك و قد بلغ الغايه فى الهلاك .

ثم قال إن المبتدعات المشبهات هن المهلكات المبتدعات ما أحدث و لم يكن على عهد الرسول و المشبهات التى تشبه السنن و ليست منها أى المشبهات بالسنن و روى المشبهات بالكسر أى المشبهات على الناس يقال قد شبه عليه الأمر أى ألبس عليه و يروى المشبهات أى الملتبسات لا يعرف حقها من باطلها.

قال إلا- من حفظ الله أى من عصمه الله بالطفاف يمتنع لأجلها عن الخطأ ثم أمرهم بلزوم الطاعه و اتباع السلطان و قال إن فيه عصمه لأمرهم فأعطوه طاعتكم غير ملومه أى مخلصين ذوى طاعه محضه لا يلام باذلهأ أى لا ينسب إلى النفاق و لا مستكره بها أى ليست عن استكراه بل يبذلونها اختيارا و محبه و يروى غير ملويه أى معوجه من لوبت العود .

ثم أقسم أنهم إن لم يفعلوا و إلا نقل الله عنهم سلطان الإسلام يعنى الخلافه ثم لا يعيده إليهم أبدا حتى يأرز الأمر إلى غيرهم أى حتى ينقبض و ينضم و يجتمع و

٢٠٧٦

فى الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينه كما تأرز الحيه إلى جحرها (١).

فإن قلت كيف قال إنه لا يعيده إليهم أبدا و قد عاد إليهم بالخلافه العباسيه .

قلت لأن الشرط لم يقع و هو عدم الطاعه فإن أكثرهم أطاعوه طاعه غير ملومه و لا مستكره بها و إذا لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط.

ص: ٢٩٦

(١-١) النهايه لابن الأثير ١:١٤.

وقد أجاب قوم عن هذا فقالوا خاطب الشيعة الطالبية فقال إن لم تعطوني الطاعة المحضه نقل الله الخلافه عن هذا البيت حتى يأرز و ينضم إلى بيت آخر و هكذا وقع فإنها انضمت إلى بيت آخر من بنى هاشم . و أجاب قوم آخرون فقالوا أراد بقوله أبدا المبالغه كما تقول احبس هذا الغريم أبدا و المراد بالقوم الذين يأرز الأمر إليهم بنو أميّه كأنه قال إن لم تفعلوا نقل الله الخلافه عنكم حتى يجعلها في قوم آخرين و هم أعداؤكم من أهل الشام و بنى أميّه و لا يعيده إليكم إلى مده طويله و هكذا وقع .

و قد تمألثوا قد اجتمعوا و تساعدوا على سخطه إمارتي على كراهيتها و بغضها .

ثم وعد بالصبر عليهم ما لم يخف من فرقه الجماعه و انتشار حبل الإسلام .

و فياله الرأي ضعفه و كذلك فيولته و رجل فيل الرأي أى ضعيفه قال بنى ربّ الجواد فلا تفيلوا فما أنتم فنعذرکم لفيل (١) .

أى لستم على رجل ضعيف الرأي و الجمع أفيال و يقال أيضا رجل فال قال رأيتك يا أخيطل إذ جرينا و جربت الفراسه كنت فالاً (٢) .

قال إن تموا على هذا الرأي الضعيف قطعوا نظام المسلمين و فرقوا جماعتهم .

ثم ذكر أن الحسد دعاهم إلى ذلك و أفاءها عليه ردها عليه فاء يفيء رجوع و فلان سريع الفياء من غضبه أى سريع الرجوع و إنّه لحسن الفيئه بالكسر مثال الفيئه أى حسن الرجوع و هذا الكلام لا يشعر بأنّه ع كان يعتقد أن الأمر له و أنّه غلب عليه ثم رجع إليه و لكنه محمول على أنّه من رسول الله ص بمنزله الجزء من الكل و أنهما من جوهر واحد فلما كان الوالى قديما و هو رسول الله ص

ص : ٢٩٧

١-١) اللسان ١٤:٥٠ و نسبه إلى الكميّ.

٢-٢) اللسان ١٤:٥٠، و نسبه إلى جرير.

ثم تخلل بين ولايته ص و ولايه أمير المؤمنين ع ولايات غريبه سمى ولايته فيئا و رجوعا لأنها رجعت إلى الدوحه الهاشميه و بهذا يجب أن يتأول قوله فأرادوا ردّ الأمور على أديارها أى أرادوا انتزاع الخلافه من بنى هاشم كما انتزعت أولا و إقرارها فى بيوت بعيده عن هذا البيت أسوه بما وقع من قبل .

و النعش مصدر نعش أى رفع و لا يجوز أنعش

ص: ٢٩٨

وَ قَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ لَمَّا قَرَّبَ عٍ مِنْهَا لِيُعَلِّمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتُرْوَلَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عٍ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُخِيدُ حَيْدًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ عٍ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلْبِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَحَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا قَالَ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَمُخَالَفُهُمْ إِلَى الْكَلْبِ وَالْمَاءِ فَقَالَ عٍ فَايِدُ إِذَا يَدَكَ فَقَالَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَيْطَعْتُ أَنْ أُمَّتِنَعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ عٍ وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكَلْبِ الْجَرْمِيِّ .

الجرمي

منسوب إلى بنى جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من حمير و كان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصره إليه ع

ص: ٢٩٩

يستعلم حاله أ هو على حجه (١) أم على شبهه فلما رآه ع و سمع لفظه علم صدقه و برهانه فكان بينهما ما قد شرحه ع.

و لا شيء أطف و لا أوقع و لا أوضح من المثال الذى ضربه ع و هو حجه لازمه لا مدفع لها .

قوله و لا أحدث حدثا أى لا أفعل ما لم يأمرنى به إنما أمرت باستعلام حالك فقط فأما المبايعه لك فإن أحدثتها كنت فاعلا ما لم أندب له .

و مساقط الغيث المواضع التى يسقط الغيث فيها و الكالأ النبات إذا طال و أمكن أن يرعى و أول ما يظهر يسمى الرطب فإذا طال قليلا فهو الخلى فإذا طال شيئا آخر فهو الكالأ فإذا يبس فهو الحشيش.

و المعاطش و المجادب مواضع العطش و الجذب و هو المحل

ص : ٣٠٠

١-١) ب. «حجتهم».

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَ
جَعَلْتَ سَيِّكَانَهُ سَبَبًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَ رَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ وَ مَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ وَ
مَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَ مَا لَا يُرَى وَ رَبِّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا وَ لِلخَلْقِ اعْتِمَادًا إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا
الْبُغْيَ وَ سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ أَيْنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ وَ الْغَائِثِ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ
الْحِفَاطِ الْعَارِ وَرَاءَ كُمْ وَ الْجَنَّةِ أَمَامَكُمْ .

السقف المرفوع

السماء و الجو المكفوف السماء أيضا كفه أى جمعه و ضم بعضه إلى بعض و يمر فى كلامه نحو هذا و إن السماء هواء جامد أو
ماء جامد.

و جعلته مغیضا للیل و النهار أى غیضه لهما و هى فى الأصل الأجمه یجتمع إليها الماء

ص: ٣٠١

فتسمى غيضة و مغيضا و ينبت فيها الشجر كأنه جعل الفلك كالغيضة و الليل و النهار كالشجر النابت فيها.

و وجه المشاركه أن المغيض أو الغيضة يتولد منهما الشجر و كذلك الليل و النهار يتولدان من جريان الفلك.

ثم عاد فقال و مجرى للشمس و القمر أى موضعا لجريانهما.

و مختلفا للنجوم السياره

أى موضعا لاختلافها و اللام مفتوحه .

ثم قال جعلت سكانه سبطا من ملائكتك أى قبيله قال تعالى إِثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا (١).

□
لا يَسْأَمُونَ

لا- يملون و قرارا للأنام أى موضع استقرارهم و سكونهم و مدرجا للهوام أى موضع دروجهم و سيرهم و حركاتهم و الهوام الحشرات و المخوف من الأحناش.

و ما لا يحصى

أى لا يضبط بالإحصاء و العد مما نراه و نعرفه و ما لا نراه و لا نعرفه .

و قال بعض العلماء إن أردت أن تعرف حقيقه قوله مما يرى و ما لا- يرى فأوقد نارا صغيره فى فلاه فى ليله صيفيه و انظر ما يجتمع عليها من الأنواع الغريبه العجيبه الخلق التى لم تشاهدها أنت و لا غيرك قط .

قوله و للخلق اعتمادا لأنهم يجعلونها كالمساكن لهم فينتفعون بها و ينون منازل إلى جانبها فيقوم مقام جدار قد استغنوا عن بنيانه و لأنها أمهات العيون و منابع المياه باعتماد الخلق على مرافقهم و منافعهم و مصالحهم عليها.

ص: ٣٠٢

قوله و سدّدنا للحق أى صوبنا إليه من قولك منهم سديد أى مصيب و سدّد السنان إلى القرن أى صوبه نحوه .

و الذمار ما يحامى عنه و الغائر ذو الغيره و نزول الحقائق نزول الأمور الشديده كالحرب و نحوها .

ثمّ قال العار وراءكم أى إن رجعتم القهقري هارين .

و الجنه أمامكم

أى إن أقدمتم على العدو مجاهدين و هذا الكلام شريف جدا

ص : ٣٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا .

هذا الكلام يدلّ على إثبات أرضين بعضها فوق بعض كما أن السماوات كذلك و لم يأت في الكتاب العزيز ما يدلّ على هذا إلا قوله تعالى اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (١) و هو قول كثير من المسلمين .

و قد تأول ذلك أرباب المذهب الآخر القائلون بأنها أرض واحده فقالوا إنها سبعة أقاليم فالمثليه هي من هذا الوجه لا من تعدّد الأرضين في ذاتها.

و يمكن أن يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين ع فيقال إنها و إن كانت أرضا واحده لكنها أقاليم و أقطار مختلفه و هي كرية الشكل فمن على حده الكره لا- يرى من تحته و من تحته لا- يراه و من على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر و الله تعالى يدرك ذلك كله أجمع و لا يحجب عنه شيء منها بشيء منها.

فأما قوله ع لا توارى عنه سماء سماء فلقائل أن يقول و لا يتوارى شيء من السماوات عن المدركين منا لأنها شفافه فأى خصيصه للبارى تعالى في ذلك فينبغي أن يقال هذا الكلام على قاعده غير القاعده الفلسفيه بل هو على قاعده

ص: ٣٠٤

الشرعيه (١) الإسلاميه التي تقتضى أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسه و أنها ليست طباقا متراصه بل بينها خلق من خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره و اتباع هذا القول و اعتقاده أولى [منها]

وَ قَدْ قَالَ قَائِلُ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحْرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَ أَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّهِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهَتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَ مَنْ أَعْيَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وَ صَيَّغَرُوا عَظِيمَ مَنَزِلَتِي وَ أَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

هذا من خطبه يذكر فيها ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر و الذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه

٢٠٧٧

أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلِهِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و هذا عجب فقال لهم بل أنتم و الله أحرص و أبعد...الكلام المذكور و قد رواه الناس كافة.

و قالت الإماميه هذا الكلام يوم السقيفه و الذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيده بن الجراح و الروايه الأولى أظهر و أشهر.

ص: ٣٠٥

١- ١) ب: «على قاعدته الشرعيه الإسلاميه».

و روى فلما قرعته بالتخفيف أى صدمته بها.

و روى هب لا يدري ما يجيبني كما تقول استيقظ و انتبه كأنه كان غافلا ذاهلا عن الحجج فهب لما ذكرتها .

أستعديك

أطلب أن تعديني عليهم و أن تنتصف لي منهم.

قطعوا رحمي

لم يرعوا قربه من رسول الله ص . و صغروا عظيم منزلتي لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه.

و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لي

أى بالأفضليه أنا أحق به منهم هكذا ينبغي أن يتأول كلامه.

و كذلك قوله إنما أطلب حقا لي و أنتم تحولون بيني و بينه و تضربون وجهي دونه .

قال ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه و في الحق أن تتركه قال لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن الدعوى و لكنهم أخذوه و ادعوا أن الحق لهم و أنه يجب على أن أترك المنازعه فيه فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقي فكانت المصيبه به أخف و أهون.

و اعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه ع بنحو من هذا القول نحو

٢٠٧٨

قَوْلِهِ

مَا زِلْتُ مَظْلُومًا مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .

و

٢٠٧٩

قَوْلِهِ

اللَّهُمَّ أَخْزِ قُرَيْشًا فَإِنَّهَا مَنَعَتْنِي حَقِّي وَ عَصَبَتْنِي أَمْرِي .

و

قَوْلِهِ

فَجَزَى قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقًّا وَاعْتَصَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي .

ص: ٣٠٦

و

٢٠٨١

١- قَوْلِهِ وَقَدْ سَمِعَ صَارِخًا يُنَادِي أَنَا مَظْلُومٌ فَقَالَ هَلُمَّ فَلَنُصْرِحَ مَعًا فَإِنِّي مَا زِلْتُ مَظْلُومًا .

و

٢٠٨٢

قَوْلِهِ

وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى .

و

٢٠٨٣

قَوْلِهِ

أَرَى تُرَائِي نَهْبًا .

و

٢٠٨٤

قَوْلِهِ

أَصْعِيَا يَا نَائِنَا وَحَمَلَا النَّاسَ عَلَى رِقَابِنَا .

و

٢٠٨٥

قَوْلِهِ

إِنَّ لَنَا حَقًّا إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ وَإِنْ نُمْنَعُهُ نَزَكِبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ الشُّرَى .

و

مَا زِلْتُ مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مَدْفُوعًا عَمَّا أُسْتَحِقُّهُ وَ أُسْتَوْجِبُهُ .

و أصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضليه و الأ-حقية و هو الحق و الصواب فإن حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجه المهاجرين و الأنصار و لكن الإمامية و الزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها و ارتكبوا بها مركبا صعبا و لعمرى إن هذه الألفاظ موهمة مغلبه على الظنّ ما يقوله القوم و لكن تصفح الأ-حوال يبطل ذلك الظنّ و يدرأ ذلك الوهم فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا- يجوز على البارئ فإنه لا نعمل بها و لا نعول على ظواهرها لأننا لما تصفحنا أدله العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ و أن تحمل على التأويلات المذكوره فى الكتب.

و حدّثنى يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عاليه من ساكنى قطفئا (١) بالجانب الغربى من بغداد و أجد الشهود المعدلين بها قال كنت حاضرا مجلس الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه المعروف بغلام بن المنى و كان الفخر إسماعيل بن على هذا مقدم

ص: ٣٠٧

١ - ١) قطفئا، بالفتح ثم الضم و فاء ساكنه و تاء مثناه و القصر: محله بالجانب الغربى من بغداد، بينها و بين دجله أقل من ميل (مراصد الاطلاع).

ببغداد فى الفقه و الخلاف و يشتغل بشىء فى علم المنطق و كان حلو العبارة و قد رأته أنا و حضرت عنده و سمعت كلامه و توفى سنة عشر و ستمائه .

قال ابن عالىة و نحن عنده نتحدث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فأنحدر إليه يطالبه به و اتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير و الحنبلى المذكور بالكوفة و هذه الزيارة هى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة و يجتمع بمشهد أمير المؤمنين ع من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالىة فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص ما فعلت ما رأيت هل وصل مالك إليك هل بقى لك منه بقيه عند غريمك و ذلك يجاوبه حتى قال له يا سيدى لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير و ما يجرى عند قبر عليّ بن أبى طالب من الفضائح و الأقوال الشنيعة و سب الصحابه جهارا بأصوات مرتفعة من غير مراقبه و لا خيفه فقال إسماعيل أى ذنب لهم و الله ما جرأهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذلك القبر فقال ذلك الشخص و من صاحب القبر قال عليّ بن أبى طالب قال يا سيدى هو الذى سن لهم ذلك و علمهم إياه و طرقهم إليه قال نعم و الله قال يا سيدى فإن كان محقا فما لنا أن نتولى فلانا و فلانا و إن كان مبطلا فما لنا نتولاه ينبغى أن نبرأ إمامنا منه أو منهما.

قال ابن عالىة فقام إسماعيل مسرعا فلبس نعليه و قال لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة و دخل دار حرمة و قمنا نحن و انصرفنا منها فى ذكر أصحاب الجمل :

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ص كَمَا تُجْرُ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا

مَتَّوِّجِهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصِيرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأُبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ ص لُهُمَا وَ لِيُغَيِّرَهُمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ وَ سَمَّحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَيَّ بِهَا وَ خُرَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا وَ طَائِفَةً غَدْرًا فَوَاللَّهِ [إِنْ]

لَوْ لَمْ يُصَيِّبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لِحَلِّ لِي قَتْلِ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا يَدٍ دَعَا مَا [إِنَّهُمْ]

أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ .

حرمه رسول الله ص

كنايه عن الزوجه و أصله الأهل و الحرم و كذلك حبيس رسول الله ص كنايه عنها .

و قتلوهم صبرا أى بعد الأسر و قوله فو الله إن لو لم يصيبوا إن هاهنا زائده و يجوز أن تكون مخففه من الثقيله.

و يسأل عن قوله ع لو لم يصيبوا إلا رجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضروه فلم ينكروا فيقال أ يجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكنه من إنكاره.

و الجواب أنه يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا فإنهم إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحه ما حرم الله فيكون حالهم حال من اعتقد أن الزنا مباح أو أن شرب الخمر مباح.

ص: ٣٠٩

وقال القطب الراوندى يريد أنهم داخلون فى عموم قوله تعالى **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا (١)**.

ولقائل أن يقول الإشكال إنما وقع فى قوله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضروا المنكر و لم يدفعوه بلسان و لا يد فهو علل استحلاله قتلهم بأنهم لم ينكروا المنكر و لم يعلل ذلك بعموم الآية .

و أما معنى قوله دع ما إنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العده التى دخلوا بها عليهم فهو أنه لو كان المقتول واحدا لحل لى قتلهم كلهم فكيف و قد قتلوا من المسلمين عده مثل عدتهم التى دخلوا بها البصره و ما هاهنا زائده.

و صدق ع فإنهم قتلوا من أوليائه و خزان بيت المال بالبصره خلقا كثيرا بعضهم غدرا و بعضهم صبورا كما خطب به ع

ذكر يوم الجمل و مسير عائشه إلى القتال

ذكر يوم الجمل و مسير عائشه إلى القتال (٢)

٢٠٨٧

١٤- وَ رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ وَ رَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ رَوَى جَرِينُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَمِيرٍ قَالُوا جَمِيعًا لَمَّا خَرَجَتْ عَائِشَةُ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ طَرَقَتْ مَاءَ الْحَوَابِ وَ هُوَ مَاءٌ لِيْنِي عَامِرِ بْنِ صَعْبَةَ فَتَبَحَّتْهُمْ الْكِلَابُ فَنفَرَتْ صِعَابٌ إِبْلِهِمْ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَعَنَ اللَّهُ الْحَوَابَّ فَمَا أَكْثَرَ كِلَابَهَا فَلَمَّا سَمِعَتْ عَائِشَةُ ذِكْرَ الْحَوَابِّ قَالَتْ أ هَذَا مَاءُ الْحَوَابِّ قَالُوا نَعَمْ فَقَالَتْ رُدُّونِي رُدُّونِي فَسَأَلُوهَا مَا شَأْنُهَا مَا بَدَأَ لَهَا فَقَالَتْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ كَأَنِّي بِكِلَابِ

ص: ٣١٠

١- (١) سورة المائدة ٣٣.

٢- (٢) انظر ص ١١١ و ما بعدها من هذا الجزء.

مَاءٍ يُدْعَى الْحَوَابُ قَدْ نَبَحَتْ بَعْضَ نَسَائِي ثُمَّ قَالَ لِي إِيَّاكَ يَا حُمَيْرَاءُ أَنْ تَكُونِيهَا فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ مَهْلًا يَزْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنَّا قَدْ جُزْنَا
مِيَاءَ الْحَوَابِ بِفِرَاسِخٍ كَثِيرَةٍ فَقَالَتْ أَعِنْدَكَ مَنْ يَشْهَدُ بَأَنَّ هَذِهِ الْكِلَابَ النَّابِحَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَاءِ الْحَوَابِ فَلَفَّقَ لَهَا الزُّبَيْرُ وَطَلَحَهُ
خَمْسِينَ أَعْرَابِيًّا جَعَلَا لَهُمْ جُغَلًا فَحَلَفُوا لَهَا وَشَهِدُوا أَنَّ هَذَا الْمَاءَ لَيْسَ بِمَاءِ الْحَوَابِ فَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ شَهَادَةِ زُورٍ فِي الْإِسْلَامِ
فَسَارَتْ عَائِشَةُ لَوَجْهِهَا

٢٠٨٨

١٤- قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ وَحَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ قُدَامَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا لِنِسَائِهِ وَهُنَّ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَيْتَ
شِعْرِي أَيُّكُمْ صِيَّاحِبُهُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ (١) تَبَحُّهَا كِلَابُ الْحَوَابِ يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرَةٌ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ وَتَنْجُو بَعْدَ
مَا كَادَتْ .

قلت و أصحابنا المعتزله رحمهم الله يحملون

٢٠٨٩

قَوْلُهُ ع وَ تَنْجُو عَلَى نَجَاتِهَا مِنَ النَّارِ .

و الإماميه يحملون ذلك على نجاتها من القتل و محملنا أرجح لأن لفظه في النار أقرب إليه من لفظه القتل و القرب معتبر في
هذا الباب ألا ترى أن نحاه البصريين أعملوا أقرب العاملين نظرا إلى القرب.

٢٠٩٠

١- قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ وَحَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الزُّبَيْرَ وَ طَلَحَةَ أَعْدَا (٢) السَّيْرَ بِعَائِشَةَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حَفْرِ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ وَ كَتَبَا إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى عَالِي الْبَصْرَةِ أَنْ أَخْلِ لَنَا دَارَ
الْإِمَارَةِ فَلَمَّا وَصِلَ كِتَابُهُمَا إِلَيْهِ بَعَثَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدِمُوا عَلَيْنَا وَ مَعَهُمْ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَ النَّاسُ إِلَيْهَا
سِرَاعٌ كَمَا تَرَى فَقَالَ الْأَخْنَفُ

ص: ٣١١

١- ١) الأدب: الكثير الشعر.

٢- ٢) الإغذاذ: الإسراع.

إِنَّهُمْ جِئُواكَ بِهَا لِلطَّلَبِ بِعَدَمِ عُمَيْانَ وَهُمْ الَّذِينَ أَلْبُوا عَلَى عُمَيْانَ النَّاسِ وَ سَفَكُوا دَمَهُ وَ أَرَاهُمْ وَ اللَّهُ لَا- يُرَابِلُونَ حَتَّى يَلْقُوا
الْعِدَاوَةَ بَيْنَنَا وَ يَسْفِكُوا دِمَاءَنَا وَ أَطُّهُمْ وَ اللَّهُ سَيَرْكَبُونَ مِنْكَ خِصَّةً مِمَّا لَا قَبِيلَ لَكَ بِهِ إِنْ لَمْ تَتَّهَبْ لَهُمْ بِالنُّهُوضِ إِلَيْهِمْ فَيَمَنُ
مَعَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فَإِنَّكَ الْيَوْمَ الْوَالِي عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ مُطَاعٌ فَسَدِرْ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ وَ يَادِرْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا مَعَكَ فِي دَارٍ
وَاحِدَةٍ فَيَكُونَ النَّاسُ لَهُمْ أَطْوَعَ مِنْهُمْ لَكَ.

فَقَالَ عُمَيْانُ بْنُ حُنَيْفٍ الرَّأْيُ مِمَّا رَأَيْتَ لَكِنِّي أَكْرَهُ الشَّرَّ وَ أَنْ أَبِيدَهُمْ بِهِ وَ أَرْجُو الْعِافِيَةَ وَ السَّلَامَةَ إِلَيَّ أَنْ يَأْتِيَنِي كِتَابُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَ رَأْيُهُ فَأَعْمَلُ بِهِ ثُمَّ أَتَاهُ بَعِيدَ الْأَخْنَفِ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ وَدِيعَةَ فَأَقْرَأَهُ كِتَابَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهُ
مِثْلُ قَوْلِ الْأَخْنَفِ وَ أَحْبَابُهُ عُثْمَانُ بِمِثْلِ جَوَابِهِ لِلْأَخْنَفِ فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ فَأَذِنَ لِي حَتَّى أَسِيرَ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ فَإِنْ دَخَلُوا فِي طَاعَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَ إِلَّا نَابَذْتُهُمْ عَلَى سِوَاءِ.

فَقَالَ عُمَيْانُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ رَأْيِي لَسَدِرْتُ إِلَيْهِمْ نَفْسِي قَالَ حَكِيمٌ أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ دَخَلُوا عَلَيْكَ هَذَا الْمِضِرَّ لَيَنْتَقِلَنَّ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ إِلَيْهِمْ وَ لَيُرِيَنَّكَ عَنْ مَجْلِسِكَ هَذَا وَ أَنْتَ أَعْلَمُ فَأَبَى عَلَيْهِ عُثْمَانُ .

قَالَ وَ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى عُثْمَانَ لَمَّا بَلَغَهُ مُشَارَفَةُ الْقَوْمِ الْبَصِيرَةَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْبَغَاءَ
عَاهَدُوا اللَّهَ ثُمَّ نَكثُوا وَ تَوَجَّهُوا إِلَى مِضِرِّكَ وَ سَاقَهُمُ الشَّيْطَانُ لَطَلَبِ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهِ وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا فَإِذَا قَدِمُوا
عَلَيْكَ فَادْعُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَ الرَّجُوعِ إِلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ الَّذِي فَارَقُونَا عَلَيْهِ فَإِنْ أَجَابُوا فَأَحْسِنْ جِوَارَهُمْ مَا دَامُوا

عِنْدَكَ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا التَّمَسُّكَ بِحَبْلِ النُّكْتِ وَالْخِلَافِ فَنَاجِزُهُمُ الْقِتَالَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَ
كَتَبْتُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ مِنَ الرَّبِّدَةِ وَأَنَا مُعَجَّلُ الْمَسِيرِ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَ كَتَبَهُ عُثَيْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ .

فَقَالَ فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ عَلِيٍّ عِ إِلَى عُثْمَانَ أَنْ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ وَ عِمْرَانَ بْنِ الْحَصَةِ بْنِ الْخُزَاعِيِّ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَسِيرَا حَتَّى
يَأْتِيَاهُ بِعِلْمِ الْقَوْمِ وَ مَا أَلَدِي أَقْدَمَهُمْ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا حَفَرَ أَبِي مُوسَى وَ بِهِ مُعَسَكِرُ الْقَوْمِ فَدَخَلَا عَلَى عَائِشَةَ فَنَالَاهَا وَ وَعَظَاهَا وَ
أَذَكَّرَاهَا وَ نَاشَدَاهَا اللَّهُ فَقَالَتْ لَهُمَا الْقِيَا طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ فَقَامَا مِنْ عِنْدِهَا وَ لَقِيَا الزُّبَيْرَ فَكَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُمَا إِنَّا جِئْنَا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ وَ
نَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَنْ يَرُدُّوا أَمْرَ الْخِلَافَةِ سُورَى لِيُخْتَارَ النَّاسُ لِأَنْفُسِهِمْ فَقَالَا لَهُ إِنَّ عُثْمَانَ لَمْ يُقْتَلْ بِالْبُضْرَةِ لِيُطْلَبَ دَمُهُ فِيهَا وَ أَنْتَ
تَعْلَمُ قَتْلَهُ عُثْمَانَ مَنْ هُمْ وَ أَيْنَ هُمْ وَ إِنَّكَ وَ صَاحِبُكَ وَ عَائِشَةُ كُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَ أَعْظَمَهُمْ إِغْرَاءً بِدَمِهِ فَأَقِيدُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَ
أَمَّا إِعَادَةُ أَمْرِ الْخِلَافَةِ سُورَى فَكَيْفَ وَ قَدْ بَايَعْتُمْ عَلِيًّا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَ أَنْتَ يَا أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ لَمْ يَبْعِدِ الْعَهْدُ بِقِيَامِكَ دُونَ هَذَا
الرَّجُلِ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَنْتَ آخِذٌ قَائِمٌ سَيَفُكُ تَقُولُ مَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْهُ وَ لَا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ وَ امْتَنَعْتَ مِنْ بَيْعِهِ أَبِي
بِكْرٍ فَأَيْنَ ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ.

فَقَالَ لَهُمَا اذْهَبَا فَالْقِيَا طَلْحَةَ فَقَامَا إِلَى طَلْحَةَ فَوَجَدَاهُ أَحْسَنَ الْمَلَمَسِ شَدِيدَ الْعَرِيكَهِ قَوِيَّ الْعَزْمِ فِي إِثَارِهِ الْفِتْنَةِ وَ إِضْرَامِ نَارِ الْحَرْبِ
فَانصَرَفَا إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ فَأَخْبَرَاهُ وَ قَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَاَنْفِرْ وَ طَاعِنِ الْقَوْمَ وَ جَالِدِ وَ اصْبِرْ (1)

ص: ٣١٣

وَ اِبْرُزْ لَهَا مُسْتَلِمًا وَ شَمْرًا.

فَقَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ اِى وَ الْحَرَمَيْنِ لِمَا فَعَلْنَ وَ اَمْرًا مُنَادِيَةً فَنَادَى فِي النَّاسِ السَّلَاحَ السَّلَاحَ فَاجْتَمَعُوا اِلَيْهِ وَ قَالَ اَبُو الْاَسْوَدِ اَنَا الْزُبَيْرُ
فَدَانِي الْكَلَامَ

قَالَ وَ اَقْبَلَ الْقَوْمُ فَلَمَّا اِنْتَهَوْا اِلَى الْمَرْيَدِ قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ فَقَالَ اَيُّهَا النَّاسُ اَنَا فُلَانُ الْجُشَمِيِّ وَ قَدْ اَتَاكُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فَاِنْ
كَانُوا اَتَوْكُمْ خَائِفِينَ لَقَدْ اَتَوْكُمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ الطَّيْرُ وَ الْوَحْشُ وَ السَّبَاعُ وَ اِنْ كَانُوا اِنَّمَا اَتَوْكُمْ بِطَلَبِ دَمِ عَثْمَانَ
فَغَيْرُنَا وَ لِي قَتْلُهُ فَاطِيعُونِي اَيُّهَا النَّاسُ وَ رُدُّوهُمْ مِنْ حَيْثُ اَقْبَلُوا فَاِنَّكُمْ اِنْ لَمْ تَفْعَلُوا لَمْ تَسْلَمُوا مِنَ الْحَزْبِ الصَّرُوسِ وَ الْفِتْنَةِ الصَّمَاءِ
الَّتِي لَا تَبْقَى وَ لَا تَذُرُّ .

قَالَ فَحَصَّبَهُ نَاسٌ مِنْ اَهْلِ الْبَصْرَةِ فَاَمْسَكَ .

قَالَ وَ اجْتَمَعَ اَهْلُ الْبَصْرَةِ اِلَى الْمَرْيَدِ حَتَّى مَلْثُوهُ مِشَاءً وَ رُكْبَانًا فَقَامَ طَلَحَهُ فَاَشَارَ اِلَى النَّاسِ بِالسُّكُونِ لِخُطْبِ فَسَيَكْتُوْا بَعْدَ جُهْدٍ
فَقَالَ اَمَّا بَعْدُ فَاِنَّ عَثْمَانَ بَنَ عَفَّانَ كَانَ مِنْ اَهْلِ السَّابِقَةِ وَ الْفَضِيلَةِ وَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْاَوَّلِينَ الَّذِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ

ص: ٣١٤

وَنَزَلَ الْقُرْآنُ نَاطِقًا بِفَضْلِهِمْ وَ أَحَدٌ أَيْمَهُ الْمُسْلِمِينَ الْوَالِينَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ صَاحِبِي رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ كَانَ أَحَدًا
أَحَدًا نَقَمْنَا عَلَيْهِ فَأَتَيْنَاهُ فَاسْتَعْتَبْنَاهُ فَأَعْتَبَنَا فَعَدَا عَلَيْهِ امْرُؤٌ ابْتَزَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَمْرَهَا غَضِبًا بِغَيْرِ رِضَا مِنْهَا وَلَا مَشُورَةَ فَقَتَلَهُ وَ سَاعَدَهُ عَلَى
ذَلِكَ قَوْمٌ غَيْرُ أَتَقِيَاءَ وَلَا أُبْرَارٍ فَقُتِلَ مُحْرِمًا بَرِيئًا تَائِبًا وَ قَدْ جِئْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَطْلُبُ بِعَدَمِ عُثْمَانَ وَ نَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ فَإِنْ
نَحْنُ أَمْكَنَّا اللَّهُ مِنْ قَتْلَتِهِ قَتَلْنَاكُمْ بِهِ وَ جَعَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ كَانَتْ خِلَافَهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ جَمِيعًا فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَخَذَ
الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ رِضَا مِنَ الْعَامَّةِ وَ لَا مَشُورَةَ مِنْهَا ابْتِزَاً كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا عَضُوضًا وَ حَدَثًا كَثِيرًا.

ثُمَّ قَامَ الزُّبَيْرُ فَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ كَلَامِ طَلْحَةَ .

فَقَامَ إِلَيْهِمَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فَقَالُوا لَهُمَا أَلَمْ تُبَايَعَا عَلِيًّا فِيمَنْ بَايَعُهُ فَنِيمَ بَايَعْتُمَا ثُمَّ نَكَيْتُمَا فَقَالَا مَا بَايَعْنَا وَ مَا لِأَحَدٍ فِي أَعْنَافِنَا
بَيْعُهُ وَ إِنَّمَا اسْتِكْرَهْنَا عَلَى بَيْعِهِ فَقَالَ نَاسٌ قَدْ صَدَقَا وَ أَحْسِنَا الْقَوْلَ وَ قَطَعَا بِالتَّوَابِ وَ قَالَ نَاسٌ مَا صَدَقَا وَ لَا أَصَابَا فِي الْقَوْلِ حَتَّى
ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ.

قَالَ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَائِشَةَ عَلَى جَمَلِهَا فَنَادَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ أَيُّهَا النَّاسُ أَقْلُوا الْكَلَامَ وَ اسْكُتُوا فَاسْكُتَ النَّاسُ (١) لَهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ قَدْ كَانَ غَيْرَ وَ بَدَلٌ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَغْسِلُ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى قُتِلَ مَظْلُومًا تَائِبًا وَ إِنَّمَا نَقَمُوا عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِالسَّوْطِ وَ تَأْمِيرَهُ
الشُّبَانَ وَ حِمَايَتَهُ مَوْضِعَ الْعِمَامَةِ فَقَتَلُوهُ مُحْرِمًا فِي حُرْمَةِ الشَّهْرِ وَ حُرْمَةِ الْبَلَدِ ذَبْحًا كَمَا يُذْبِحُ الْجَمَلُ أَلَا وَ إِنَّ قُرَيْشًا رَمَتْ غَرَضَهَا
بِنِبَالِهَا وَ أَدَمَتْ أَفْوَاهَهَا بِأَيْدِيهَا وَ مَا نَالَتْ بِقَتْلِهَا إِيَّاهُ شَيْئًا وَ لَا سَلَكَتْ بِهِ سَبِيلًا

ص: ٣١٥

قَاصِدًا أَمَا وَاللَّهِ لَيَرُونَهَا بَلَايَا عَقِيمَةً تَنْتَبِهُ النَّائِمَ وَتُقِيمُ الْجَالِسَ وَلَيْسَلَطَنَّ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ لَا يَزْحُمُونَهُمْ وَيَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَا بَلَغَ مِنْ ذَنْبِ عُثْمَانَ مَا يُسَيِّتُحُلُّ بِهِ دَمُهُ مِصْتُمُوهُ (١) كَمَا يُمَاصُّ النَّوْبُ الرَّحِيضُ (٢) ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُمُوهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ ذَنْبِهِ وَبِإِعْنَتِهِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعِيرٍ مَشُورِهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ ابْنِ تَرَاذِيٍّ وَغَضِبًا تَرَانِيٍّ أَغْضَبَ لَكُمْ مِنْ سَوَاطِئِ عُثْمَانَ وَلَسَانِهِ وَلَا أَغْضَبَ لِعُثْمَانَ مِنْ سَيُوفِكُمْ إِلَّا إِنَّ عُثْمَانَ قَتِلَ مَظْلُومًا فَاطْلُبُوا قَتْلَهُ فَإِذَا ظَفِرْتُمْ بِهِمْ فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ اجْعَلُوا الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَا يَدْخُلُ فِيهِمْ مَنْ شَرِكَ فِي دَمِ عُثْمَانَ .

قَالَ فَمَاجِ النَّاسُ وَاخْتَلَطُوا فَمِنْ قَائِلٍ الْقَوْلُ مَا قَالَتْ وَ مِنْ قَائِلٍ يَقُولُ وَمَا هِيَ وَ هَذَا الْأَمْرُ إِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ مَأْمُورَةٌ بِزُورٍ بَيْتِهَا وَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَ كَثُرَ اللَّغَطُ حَتَّى تَضَارَبُوا بِالنُّعَالِ وَ تَرَامُوا بِالْحَصَى .

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ تَمَازَرُوا فَضَارُوا فَرِيقَيْنِ فَرِيقٌ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ وَ فَرِيقٌ مَعَ عَائِشَةَ وَ أَصْحَابِهَا .

قَالَ وَ حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ سَوَّارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ قَالَ لَمَّا نَزَلَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ الْمَرْبِدَ أَتَيْتُهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا مُجْتَمِعِينَ فَقُلْتُ لَهُمَا نَاشِدُكُمَا اللَّهُ وَ صِيْحْبَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا الَّذِي أَقْدَمَكُمَا أَرْضَنَا هَذِهِ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا فَأَعَدْتُ عَلَيْهِمَا فَقَالَا بَلَّغْنَا أَنَّ بَارِزِكُمْ هَذِهِ دُنْيَا فَجِئْنَا نَطْلُبُهَا .

ص: ٣١٦

١- ١) الموص: الغسل بالأصابع؛ و في النهاية لابن الأثير ١١٤: ٤ «يقال: مصته أموصه موصا. أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه».

٢- ٢) الرحيض المغسول:.

قَالَ وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ لَقِيَهُمَا فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَتِهِمَا الْأُولَى إِنَّمَا جِئْنَا لَطَلِبِ الدُّنْيَا

و

٢٠٩١

١,٥- قَدْ رَوَى الْمِدَائِنِيُّ أَيْضًا نَحْوًا مِمَّا رَوَى أَبُو مِحْنَفٍ قَالَ بَعَثَ عَلِيُّ عَ ابْنِ عَبَّاسٍ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى الزُّبَيْرِ قَبْلَ الْحَرْبِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُبَايَعْنِي طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَمَا الَّذِي رَابَكَ مِنِّي فَاسْتَحَلَلْتَ بِهِ قِتَالِي قَالَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ لِي إِنَّا مَعَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ لَنْطَمَعُ لَمْ يَقُلْ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فَسَأَلْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَ مَا تَرَاهُ يَعْغِي بِقَوْلِهِ هَذَا فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ حَتَّى سَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا فَقَالَ يَقُولُ إِنَّا مَعَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ نَطْمَعُ أَنْ نَلِيَّ مِثْلَ الَّذِي وَلَيْتُمْ

و

٢٠٩٢

١- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَعَثَنِي عَلِيُّ عَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ بَعَثَ مَعِيَ بِمُضِيحٍ مَنْشُورٍ وَ إِنَّ الرِّيحَ لَتَصِيْفُوقُ وَرَقَهُ فَقَالَ لِي قُلْ لَهُمَا هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ فَمَا تُرِيدَانِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا جَوَابٌ إِلَّا أَنْ قَالَا نُرِيدُ مَا أَرَادَ كَانَهُمَا يَقُولَانِ الْمَلِكُ فَرَجَعْتُ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرْتُهُ

٢٠٩٣

وَقَدْ رَوَى قَاضِي القَضَاةِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْمُعْنَى عَن وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَصِيرَةِ لِطَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ إِنَّ لَكُمَا فَضْلًا وَ صُحْبَةً فَأَخْبِرَانِي عَن مَسِيرِكُمَا

ص: ٣١٧

هَذَا وَقِتَالِكَمَا أَشَىءُ أَمْرَكَمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَ أُم رَأَى رَأَيْتُمَا فَأَمَّا طَلْحَهُ فَسَيَكْتُ وَ جَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَ أَمَّا الزُّبَيْرُ فَقَالَ وَيَحْكُ حَدُّنَا أَنْ هَاهُنَا دَرَاهِمٌ كَثِيرَةٌ فَجِئْنَا لِنَأْخُذَ مِنْهَا.

و جعل قاضى القضاء هذا الخبر حجه فى أن طلحه تاب و أن الزبير لم يكن مصرا على الحرب و الاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف و إن صح هو و ما قبله إنه لدليل على حمق شديد و ضعف عظيم و نقص ظاهر و ليت شعرى ما الذى أحوجهما إلى هذا القول و إذا كان هذا فى أنفسهما فهلا كتماه.

ثم نعود إلى خبرهما

٢٠٩٤

١- قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَلَمَّا أَقْبَلَ طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرُ مِنَ الْمَوْبِدِ يُرِيدَانِ عُمَيْرَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَوَجَدَاهُ وَ أَصْحَابَهُ قَدْ أَخَذُوا بِأَفْوَاهِ السَّكَاكِ فَمَضَوْا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الدَّبَاعِينَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ حُنَيْفٍ فَشَجَرَهُمْ (١) طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرُ وَ أَصْحَابُهُمَا بِالرِّمَاحِ فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ فَلَمْ يَزَلْ هَيَّوً وَ أَصْحَابُهُ يُقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ جَمِيعِ السَّكَاكِ وَ رَمَوْهُمْ النَّسَاءَ مِنْ فَوْقِ الْجُبُوتِ بِالْحِجَارِ فَأَخَذُوا إِلَى مَقْبَرِهِ بَنَى مَارِزِينَ فَوَقَفُوا بِهَا مَلِيًّا حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْهِمْ خَيْلُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا عَلَى مُسْنَاهِ الْبُصْرَةَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الرَّابُوقَةِ ثُمَّ أَتَوْا سَبِيحَةَ دَارِ الرِّزْقِ فَتَزَلُّوْهَا.

قَالَ وَ أَتَاهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمِ التَّمِيمِيُّ لَمَّا نَزَلَا السَّبِيحَةَ بِكُتُبٍ كَانَا كَتَبَاهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَطْلَحَهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَمَا هَذَا كُتُبُكَ إِلَيْنَا قَالَ بَلَى قَالَ فَكَتَبْتَ أَمْسَ تَدْعُونَا إِلَى خَلْعِ عُمَانَ وَ قَتْلِهِ حَتَّى إِذَا قَتَلْتَهُ أَتَيْتَنَا ثَائِرًا بِدَمِهِ فَلَعَمْرِي مَا هَذَا رَأَيْكَ لَا تُرِيدُ إِلَّا هَيْدَةَ الدُّنْيَا مَهْلًا إِذَا كَانَ هَذَا رَأَيْكَ فَلِمَ قَبِلْتَ مِنْ عَلِيٍّ مَا عَرِضَ عَلَيْكَ مِنَ الْبَيْعَةِ

ص: ٣١٨

(١- ١) شجره بالرمح: طعنه.

فَبَايَعْتَهُ طَائِعًا رَاضِيًا ثُمَّ نَكَثْتَ بَيْعَتَكَ ثُمَّ جِئْتَ لِتُدْخِلَنَا فِي فِتْنَتِكَ فَقَالَ إِنَّ عَلِيًّا دَعَانِي إِلَى بَيْعَتِهِ بَعْدَ مَا بَايَعَ النَّاسُ فَعَلِمْتُ لَوْ لَمْ أَقْبَلْ مَا عَرَضَهُ عَلَيَّ لَمْ يَتِمَّ لِي ثُمَّ يُغْرَى بِي مِنْ مَعَهُ.

قَالَ ثُمَّ أَصِيبْنَا مِنْ غَدِ فَصَفَا لِلْحَرْبِ وَ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ إِلَيْهِمَا فِي أَصْحَابِهِ فَنَاشَدَهُمَا اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ وَ أَذْكَرَهُمَا بَيْعَتَهُمَا عَلِيًّا ع فَقَالَا نَطْلُبُ بِسَلْمِ عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُمَا وَمَا أَنْتُمَا وَمَا أَنْتُمَا وَ ذَاكَ أَيْنَ بَنُوهُ أَيْنَ بَنُو عَمِّهِ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْكُمْ كَلَّا وَاللَّهِ وَ لَكِنَّا كَمَا حَسَدْتُمَاهُ حَيْثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَ كُنْتُمَا تَرْجُوَانِ هَذَا الْأَمْرَ وَ تَعْمَلَانِ لَهُ وَ هَلْ كَانَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَى عُثْمَانَ قَوْلًا مِنْكُمْ فَشَتَّمَاهُ شَتْمًا قَبِيحًا وَ ذَكَرَا أُمَّهُ فَقَالَ لِلزُّبَيْرِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا صِيفِيهِ وَ مَكَانُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهَا أَذْنَتُكَ إِلَى الظِّلِّ وَ أَنَّ الْأَمْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ يَا ابْنَ الصَّعْبَةِ يَعْنِي طَلْحَةَ أَعْظَمَ مِنَ الْقَوْلِ لِأَعْلَمْتُمَا مِنْ أَمْرِكَمَا مَا يَسُوءُ كَمَا اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ.

ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَ أَقْتَلَ النَّاسَ قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَ اضْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُكْتَبَ بَيْنَهُمْ كِتَابٌ صُلِحَ فَكُتِبَ.

هَذَا مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ مَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شِيعَتِهِمَا أَنَّ لِعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ دَارَ الْإِمَارَةِ وَ الرَّحْبَةَ وَ الْمَسْجِدَ وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ الْمَنْبَرَ وَ أَنَّ لِطَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ مَنْ مَعَهُمَا أَنْ يَنْزِلُوا حَيْثُ شَاءُوا مِنَ الْبَصِيرَةِ وَ لَا يُضَارَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي طَرِيقٍ وَ لَا فُرْضَهُ وَ لَا سُوقٍ وَ لَا شِرْعَةٍ وَ لَا مَرْفَقٍ حَتَّى يَقْدَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ أَحْبَبُوا دَخَلُوا فِيهَا دَخَلَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ وَ إِنْ أَحْبَبُوا لِحَقِّ كُلِّ قَوْمٍ بِهِوَاهُمْ وَ مَا أَحْبَبُوا مِنْ

قَتَالَ أَوْ سَلِمَ أَوْ خُرُوجٍ أَوْ إِقَامَةٍ وَعَلَى الْفَرِيقَيْنِ بِمَا كَتَبُوا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَأَشَدُّ مَا أَخَذَهُ عَلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ مِنْ عَهْدٍ وَذِمَّةٍ.

وَخَتَمَ الْكِتَابَ وَرَجَعَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ حَتَّى دَخَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ الْحَقُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِأَهْلِكُمْ وَضَعُوا سِلاَحَكُمْ وَدَاوُوا جِرْحَاكُمْ فَمَكْتُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا.

ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ قَالَا- إِنَّ قَدِيمَ عَلِيٍّ وَنَحْنُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْقَلْبِ وَالضَّعْفِ لِيَأْخُذَنَّ بِأَعْنَاقِنَا فَأَجْمَعَا عَلَى مُرَاسِلَةِ الْقَبَائِلِ وَاسْتِمَالَةِ الْعَرَبِ فَأَرْسَلَا إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ وَأَهْلِ الرَّئَاسَةِ وَالشَّرَفِ تَدْعُوَانِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ وَخَلَعَ عَلِيٌّ وَإِخْرَاجِ ابْنِ حُنَيْفٍ مِنَ الْبَصْرَةِ فَبَايَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَزْدُ وَضَبَّةُ وَفَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ كُلُّهَا إِلَّا الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ مِنَ الْقَبِيلَةِ كَرِهُوا أَمْرَهُمْ فَتَوَارَوْا عَنْهُمْ وَارْتَدُّوا إِلَى هِلَالِ بْنِ وَكَيْعِ التَّمِيمِيِّ فَلَمْ يَأْتِهِمْ فَجَاءَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى دَارِهِ فَتَوَارَى عَنْهُمَا فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ أَتَاكَ شَيْخًا قُرَيْشِيًّا فَتَوَارَيْتَ عَنْهُمَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى ظَهَرَ لَهُمَا وَبَايَعَهُمَا وَمَعَهُ بَنُو عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ كُلُّهُمْ وَبَنُو حَنْظَلَةَ إِلَّا بَنِي يَزْبُوعَ فَإِنَّ عَامَّتَهُمْ كَانُوا شِيعَةَ عَلِيٍّ عَ وَبَايَعَهُمْ بَنُو دَارِمٍ كُلُّهُمْ إِلَّا نَفْرًا مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ ذَوِي دِينَ وَفَضْلِ.

فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَمْرَهُمَا خَرَجَا فِي لَيْلِهِ مُظْلِمَةً ذَاتَ رِيحٍ وَمَطَرٍ وَمَعَهُمَا أَصْحَابُهُمَا قَدْ أَلْبَسُوهُمْ الدُّرُوعَ وَظَاهَرُوا فَوْقَهَا بِالثِّيَابِ فَانْتَهَوْا إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَتَ الصَّلَاةِ الْفَجْرِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ إِلَيْهِ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ فَأَخَّرَهُ أَصْحَابُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَقَدَّمُوا الزُّبَيْرَ فَجَاءَتْ السَّبَابِجُ وَهُمْ الشَّرْطُ حَرَسُ بَيْتِ الْمَالِ فَأَخْرَجُوا الزُّبَيْرَ وَقَدَّمُوا عُثْمَانَ فَغَلَبَهُمْ أَصْحَابُ الزُّبَيْرِ فَتَقَدَّمُوا الزُّبَيْرَ وَأَخْرَجُوا عُثْمَانَ فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ وَصَاحَ بِهِمْ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَلَّا تَتَّقُونَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَغَلَبَ الزُّبَيْرُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ

صَلَاتِهِ صَاحٍ بِأَصْحَابِهِ الْمُسْتَسْلِمِينَ أَنْ خُذُوا عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْنٍ فَأَخْذُوهُ بَعْدَ أَنْ تَضَارَبَ هُوَ وَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بِسَيْفَيْهِمَا فَلَمَّا أُسِرَ
ضُرِبَ ضَرْبَ الْمَوْتِ وَ نُتِفَ حَاجِبَاهُ وَ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ وَ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَ وَجْهِهِ وَ أَخْذُوا السَّبَابِجَةَ وَ هُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا فَانْطَلَقُوا
بِهِمْ وَ بَعُثُوا إِلَى عِيَالِهِ فَقَالَتْ لَأَيَّانِ بْنِ عُثْمَانَ أَخْرَجَ إِلَيْهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ قَتَلَتْ أَبَاكَ وَ أَعَانَتْ عَلَى قَتْلِهِ
فَنَادَى عُثْمَانُ يَا عِيَالِي وَ يَا طَلْحَةَ وَ يَا زُبَيْرُ إِنَّ أَخِي سَهْلَ بْنَ حُنَيْنٍ خَلِيفَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْمَدِينَةِ وَ أَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنْ
قَتَلْتُمُونِي لَيَضَعَنَّ السَّيْفَ فِي بَنِي أَبِيكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ وَ رَهْطِكُمْ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْكُمْ فَكَفُّوا عَنْهُ وَ خَافُوا أَنْ يَقَعَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْنٍ
بِعِيَالَتِهِمْ وَ أَهْلِهِمْ بِالْمَدِينَةِ فَتَرَكَوهُ.

وَ أَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى الزُّبَيْرِ أَنْ اقْتُلِ السَّبَابِجَةَ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي الَّذِي صَنَعُوا بِكَ قَالَ فَذَبَحَهُمْ وَ اللَّهُ الزُّبَيْرُ كَمَا يَذْبَحُ الْغَنَمَ وَلِيُّ ذَلِكَ
مِنْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ابْنُهُ وَ هُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَ بَقِيَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مُسْتَمْسِكِينَ بِبَيْتِ الْمَالِ قَالُوا لَا نَدْفَعُهُ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَقْدَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فَسَارَ إِلَيْهِمُ الزُّبَيْرُ فِي جَيْشٍ لَيْلًا فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَ أَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ أُسِيرًا فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ فَحَدَّثَنَا الصَّفْعَبِيُّ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ كَانَتْ السَّبَابِجَةُ الْقَتْلَى يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِمِائَةٍ رَجُلٍ قَالَ فَكَانَ عَدْرُ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ بِعُثْمَانَ بْنِ
حُنَيْنٍ أَوَّلَ عَدْرِ كَانَ فِي الْأَشْيَاءِ وَ كَانَ السَّبَابِجَةُ أَوَّلَ قَوْمٍ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا قَالَ وَ حَيَّرُوا عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْنٍ
أَنْ يُقِيمَ أَوْ يَلْحَقَ بِعَلِيٍّ فَاخْتَارَ الرَّحِيلَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَلَحِقَ بِعَلِيٍّ عَ فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى وَ قَالَ لَهُ فَارْقُتْكَ شَيْخًا وَ جِئْتُكَ أَمْرَدَ فَقَالَ عَلِيُّ إِنْ
لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا

قلت السبايحه لفظه معربه قد ذكرها الجوهرى فى كتاب الصحاح (١) قال هم قوم من السند كانوا بالبصره جلاوزه (٢) و حراس السجن و الهاء للعجمه و النسب قال يزيد بن مفرغ الحميرى و طماطيم من سبايخ خزر يلبسونى مع الصباح القيودا.

٢٠٩٥

١- قَالَ فَلَمَّا بَلَغَ حَكِيمٌ بَنَ جَبَلَهُ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ بِعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ خَرَجَ فِي ثَلَاثِمَائِهِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مُخَالِفًا لَهُمْ وَ مُنَابِدًا فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَ حَمَلُوا عَائِشَةَ عَلَى جَمَلٍ فَسَمِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْجَمَلِ الْأَصْغَرَ وَ يَوْمَ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ الْأَكْبَرَ. وَ تَجَالَمَدَ الْفَرِيقَانِ بِالسُّيُوفِ فَشَدَّ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ مِنْ عَسَاكِرِ عَائِشَةَ عَلَى حَكِيمِ بْنِ جَبَلَهُ فَضَرَبَ رِجْلَهُ فَقَطَعَهَا وَ وَقَعَ الْأَزْدِيُّ عَنْ فَرَسِهِ فَجَثَا حَكِيمٌ فَأَخَذَ رِجْلَهُ فَرَمَى بِهَا الْأَزْدِيَّ فَضَرَعَهُ ثُمَّ دَبَّ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ مُتَكِنًا عَلَيْهِ خَائِفًا لَهُ حَتَّى زَهَقَتْ نَفْسُهُ فَمَرَّ بِحَكِيمِ إِنْسَانٌ وَ هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ مَنْ فَعَلَ بِكَ قَالَ وَسَادِي فَظَنَرَ فَإِذَا الْأَزْدِيُّ تَحْتَهُ وَ كَانَ حَكِيمٌ شَجَاعًا مَدُكُورًا.

قَالَ وَ قُتِلَ مَعَ حَكِيمٍ إِخْوَةٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ وَ قُتِلَ أَصِيْحَابُهُ كُلُّهُمْ وَ هُمْ ثَلَاثِمَائِهِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَ الْقَلِيلُ مِنْهُمْ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فَلَمَّا صَفَتِ الْبُصَيْرَةَ لَطَلَحَهُ وَ الزُّبَيْرِ بَعِيدَ قَتِيلِ حَكِيمٍ وَ أَصِيْحَابِهِ وَ طُرِدَ ابْنُ حُنَيْفٍ عَنْهُمَا اخْتَلَفَا فِي الصَّلَاةِ وَ أَرَادَ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يَوْمَّ بِالنَّاسِ وَ خَافَ أَنْ تَكُونَ صِيَالَتُهُ خَلْفَ صَاحِبِهِ تَسْلِيمًا لَهُ وَ رِضًا بِتَقَدُّمِهِ فَأَصْرَحَتْ بَيْنَهُمَا عَائِشَةُ بِأَنْ جَعَلَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ يُصَلِّيَانِ بِالنَّاسِ هَذَا يَوْمًا وَ هَذَا يَوْمًا.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ بِالْبُصَيْرَةِ فَلَمَّا رَأَوْا مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ قَالَ الزُّبَيْرُ وَعَيْدُكُمْ اللَّهُ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ (٣) فَخُنَّ أَحَقُّ

ص: ٣٢٢

١-١ (١) الصحاح ١:٣٢١.

٢-٢ (٢) الجلاوز:الشرطى.

٣-٣ (٣) سورة الفتح ٢٠.

بِهَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَأَخَذَا ذَلِكَ الْمَالَ كُلَّهُ فَلَمَّا غَلَبَ عَلِيُّ ع رَدَّ تِلْكَ الْأَمْوَالَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَقَسَمَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ

و قد ذكرنا فيما تقدم كيفية الوقعه و مقتل الزبير فارا عن الحرب خوفا أو توبه و نحن نقول إنها توبه و ذكرنا مقتل طلحه و الاستيلاء على أم المؤمنين و إحسان على ع إليها و إلى من أسر في الحرب أو ظفر به بعدها

منافره بين ولدى على و طلحه

٢٠٩٦

كَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ يُلَقَّبُ أبا بَعْرَةَ وَلِي شُرْطَه الْكُوفَه لِعَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ كَلَّمَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ ع بِكَلَامٍ خَرَجَا فِيهِ إِلَى الْمُنَافَرَةِ (١) فَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَزَلْ فَضْلُنَا وَ إِحْسَانُنَا سَابِغًا عَلَيْكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ وَ عَلِيٍّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ كَافَّةً فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ أَيُّ فَضْلٍ وَ إِحْسَانٍ أَسِيدَ يُتَمُوهُ إِلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَغْضَبَ أَبُوكَ حَيْدَى بِقَوْلِهِ لِيَمُوتَنَّ مُحَمَّدٌ وَ لَنُجُولَنَّ بَيْنَ خَلَائِلِ نِسَائِهِ كَمَا جَالَ بَيْنَ خَلَائِلِ نِسَائِنَا (٢) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُرَاغِمَةً لَأَبِيكَ وَ مَمَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَيِّدًا (٣) وَ مَنْعَ ابْنِ عَمَّكَ أُمِّي حَقَّهَا مِنْ فَدَاكَ وَ غَيْرِهَا مِنْ مِيرَاثِ أَبِيهَا وَ أَجْلَبَ أَبُوكَ عَلِيٌّ عُمَانَ وَ حَصْرَهُ حَتَّى قُتِلَ وَ نَكَثَ بَيْعَهُ عَلِيُّ وَ شَامَ (٤) السَّيْفَ

ص: ٣٢٣

١-١) المنافره:المفاخره بالحسب و النسب.

٢-٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٠٦:٣.

٣-٣) سوره الأحزاب ٥٣.

٤-٤) شام بالسيف:شهره.

فِي وَجْهِهِ وَ أَفْسَدَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ لِنَبِيِّ عَبْدِ مَنَاةٍ قَوْمٌ غَيْرُ هَؤُلَاءِ أَسَدَيْتُمْ إِلَيْهِمْ إِحْسَانًا فَعَرَّفْنِي مَنْ هُمْ جُعِلَتْ فِدَاكَ.

منافره عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس

٢٠٩٧

١٤- وَ تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أُمَّ عَمْرٍو ابْنَةَ مَنْظُورِ بْنِ زَبَانَ الْفَزَارِيَّةَ فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا قَالَ لَهَا تَلَمَّكَ اللَّيْلَةُ أَمْ تَدْرِينَ مَنْ مَعِيَ فِي حِجَابِكَ (١) قَالَتْ نَعَمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى .

قَالَ لَيْسَ غَيْرُ هَذَا قَالَتْ فَمَا الَّذِي تُرِيدُ قَالَ مَعَكَ مَنْ أَصْبَحَ فِي قُرَيْشٍ بِمَنْزِلِهِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ لَا بَلْ بِمَنْزِلِهِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ قَالَتْ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ حَضَرَكَ لَقَالَ لِمَكَ خِلَافَ قَوْلِكَ فَغَضِبَ وَقَالَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى أَحْضَرَكَ الْهَاشِمِيِّينَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِدَلِّكَ إِنْكَارًا قَالَتْ إِنْ أَطَعْتَنِي لَمْ تَفْعَلْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ وَشَأْنُكَ.

فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى حَلْفَهُ فِيهَا قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَصَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَحِبُّ أَنْ تَنْطَلِقُوا مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي فَقَامَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَا هَيْذِهِ اطْرَحِي عَلَيْكَ سِتْرَكَ فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ دَعَا بِالْمَاءِ فَدَعَا الْقَوْمَ فَلَمَّا فَرَعُوا قَالَ لَهُمْ إِنَّمَا جَمَعْتُكُمْ لِحَدِيثِ رَدَّتْهُ عَلَيَّ صَاحِبَةُ السِّتْرِ وَزَعَمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَعْضُ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ حَضَرَني لَمَا أَفْرَأَ لِي بِمَا قُلْتُمْ وَقَدْ حَضَرْتُمْ جَمِيعًا وَأَنْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَقُولُ إِنِّي أَخْبَرْتُهَا أَنَّ مَعَهَا فِي خَدْرِهَا مَنْ أَصْبَحَ فِي قُرَيْشٍ بِمَنْزِلِهِ

ص: ٣٢٤

(١-١) الحجله، بالتحريك: بيت للعروس يزين بالثياب و الأسره و الستور.

الرَّاسِ مِنَ الْجَسَدِ بَلْ بِمَنْزِلِهِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّاسِ فَرَدَّتْ عَلَيَّ مَقَالَتِي فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَرَاكَ قَصَدْتَ قَصْدِي فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقُولَ قُلْتُ
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَكْفَّ كَفَفْتُ قَالَ بَلْ قُلْ وَ مَا عَسَى أَنْ تَقُولَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي ابْنُ الزُّبَيْرِ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَنْ أُمِّي أَسْمَاءُ
بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ وَ أَنْ عَمَّتِي خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ أَنْ صِيفِيَّةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَ جَدَّتِي وَ أَنْ عَائِشَةَ
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَالَتِي فَهَلْ تَسْتَطِيعُ لِهَذَا إِنْكَارًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَقَدْ ذَكَرْتَ شَرَفًا شَرِيفًا وَ فَخْرًا فَاحِرًا غَيْرَ أَنَّكَ تُفَاخِرُ مَنْ بِفَخْرِهِ فَخَرْتَ وَ بِفَضْلِهِ سَمَوْتَ قَالَ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ
لِأَنَّكَ لَمْ تَذْكُرْ فَخْرًا إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَنَا أَوْلَى بِالْفَخْرِ بِهِ مِنْكَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَوْ شِئْتَ لَفَخَرْتُ عَلَيْكَ بِمَا كَانَ قَبْلَ السُّبُوهِ قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا (١).

نَشَدْتُكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْحَاضِرُونَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَشْرَفُ أُمَّ حُوَيْلِدٍ فِي قُرَيْشٍ قَالُوا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَالَ أَ فَهَاشِمٌ كَانَ أَشْرَفَ فِيهَا أُمَّ أَسِيدُ
قَالُوا بَلْ هَاشِمٌ قَالَ أَ فَعَبْدُ مَنْافٍ أَشْرَفُ أُمَّ عَبْدُ الْعُزَّى قَالُوا عَبْدُ مَنْافٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُنَافِرُنِي يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَ قَدْ قَضَى

ص: ٣٢٥

(١- ١) القاره: قوم من رماه العرب؛ وهم عضل و الديش ابنا الهون بن خزيمه، من كنانه؛ سموا قاره لاجتماعهم و التفافهم لما أراد
ابن الشداخ أن يفرقهم في كنانه. و أصل المثل كما ذكره صاحب اللسان: أن رجلين التقيا، أحدهما قارى و الآخر أسدى؛ فقال
القارى: إن شئت صارعتك، و إن شئت سابقتك، و إن شئت راميتك، فقال: اخترت المراماه، فقال القارى: قد أنصفتني، و أنشد: قد
أنصف القاره من راماه إننا إذا ما فته نلقاها * نردُّ أولاهها على أحرأها* ثم انتزع له سهما فشك فؤاده.

قَضَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْفَضْلِ فِي قَوْلِهِ مَا افْتَرَقَتْ فِرْقَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا فَقَدْ فَارَقْنَاكَ مِنْ بَعْدِ قُصِيِّ بْنِ كِلَابٍ أَفْنَحْنُ فِي فِرْقَةِ الْخَيْرِ أَمْ لَا إِنْ قُلْتَ نَعَمْ خُصِمْتَ (١) وَإِنْ قُلْتَ لَا كَفَرْتَ.

فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا تَحَرُّمُكَ بِطَعَامِنَا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ لَأَعْرَفْتُ جَبِينَكَ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ لِمَ أَبَاطِلُ فَاَلْبَاطِلُ لَا يَغْلِبُ الْحَقُّ أَمْ بِحَقِّ فَالْحَقُّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَاطِلِ.

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ وَرَاءِ السُّرِّ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ نَهَيْتُهُ عَنْ هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَهْ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ اقْنَعِي بِيَعْلِكَ فَمَا أَعْظَمَ الْخَطَرَ وَ مَا أَكْرَمَ الْخَبَرَ فَآخِذِ الْقَوْمَ بِيَدِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَقَالُوا انْهَضْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَقَدْ أَفْحَمْتَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فَهَضَّ وَ قَالَ أَلَا يَا قَوْمَنَا ازْتَجَلُوا وَ سِيرُوا فَلَوْ تَرَكَ الْقَطَا لَغَفَا وَ نَامَا.

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَا صَاحِبَ الْقَطَاهِ أَقْبِلْ عَلَيَّ فَمَا كُنْتُ لِتَدْعَنِي حَتَّى أَقُولَ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لَقَدْ عَرَفَ الْأَقْوَامُ أَنِّي سَابِقٌ غَيْرٌ مَسْبُوقٍ وَ ابْنُ حَوَارِيٍّ وَ صَدِيقٌ مُتَبَجِّحٌ فِي الشَّرَفِ الْأَنِيقِ خَيْرٌ مِنْ طَلِيقٍ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ دَسَعْتَ بُجْرَتَكَ (٢) فَلَمْ تَبْقِ شَيْئًا هَذَا الْكَلَامُ مَرْدُودٌ مِنْ أَمْرِي حَسُودٍ فَإِنْ كُنْتَ سَابِقًا فَالِي مَنْ سَبَقَتْ وَ إِنْ كُنْتَ فَآخِرًا فَبِمَنْ فَخَزَتْ فَإِنْ كُنْتَ أَذْرَكَتْ هَذَا الْفَخْرَ بِأَسْرَتِكَ دُونَ أُسْرَتِنَا فَالْفَخْرُ لَكَ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَذْرَكَتْهُ بِأُسْرَتِنَا فَالْفَخْرُ لَنَا عَلَيْكَ وَ الْكُتْكُثُ (٣) فِي فَمِكَ وَ يَدَيْكَ وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ

ص: ٣٢٦

١-١) خصمت: أى غلبت.

٢-٢) يقال: دسع البعير بجرته؛ أى دفعها حتى أخرجها؛ والكلام على التمثيل.

٣-٣) الكتكت: التراب.

مِنَ الطَّلِيقِ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ وَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ وَ إِنْ كَانَ وَ اللَّهُ لَوْفِيًا كَرِيمًا غَيْرَ نَاقِضٍ بِيَعَهُ بَعْدَ تَوَكِيدِهَا وَ لَا مُسْلِمٍ كَتَبَهُ بَعْدَ التَّأْمُرِ عَلَيْهَا.

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أ تُعَيِّرُ الزُّبَيْرَ بِالْجُبْنِ وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مِنْهُ خِلَافَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ فَرَّ وَ مَا كَرَّ وَ حَارَبَ فَمَا صَبَرَ وَ بَايَعَ فَمَا تَمَّمَ وَ قَطَعَ الرَّحِمَ وَ أَنْكَرَ الْفُضْلَ وَ رَامَ مَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ.

وَ أَدْرَكَ مِنْهَا بَعْضَ مَا كَانَ يَزْتَجِي

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَبْقَ يَا بَنِي هَاشِمٍ غَيْرُ الْمَشَاتِمَةِ (١) وَ الْمُضَارَبَةِ.

فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ أَقْمَنَاهُ عَنْكَ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ وَ تَأْبَى إِلَّا- مُنَازَعَتَهُ وَ اللَّهُ لَوْ نَازَعْتَهُ مِنْ سَاعَتِكَ إِلَى انْقِضَاءِ عُمْرِكَ مَا كُنْتَ إِلَّا كَالسَّعْبِ الظَّمَانِ يَفْتَحُ فَاهُ يَسْتَزِيدُ مِنَ الرِّيحِ فَلَا يَشْبَعُ مِنْ سَعْبٍ وَ لَا يَزْوَى مِنْ عَطَشٍ فَقُلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَدَعْ وَ انصَرَفَ الْقَوْمُ

ص: ٣٢٧

(١ - ١) ب: «المشاغبه».

أَمِينٌ وَحِيهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنْ شَغِبَ شَاغِبٌ اسْتَعْتَبَ فَإِنْ أَبِي قُوَيْلٍ وَ لَعَمْرِي لَيْتَ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَتَعَقَّدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ [مَا]

فَمَا إِلَى ذِكِّكَ سَبِيلٌ وَ لَكِنَّ أَهْلَهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَ لَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ أَلَا وَ إِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

صدر الكلام فى ذكر رسول الله ص و يتلوه فصول .

أولها أن أحق الناس بالإمامة أقواهم عليها و أعلمهم بحكم الله فيها و هذا لا ينافى مذهب أصحابنا البغداديين فى صحة إمامه المفضول لأنه ما قال إن إمامه غير الأقوى فاسده و لكنه قال إن الأقوى أحق و أصحابنا لا ينكرون أنه ع أحق ممن تقدمه بالإمامه مع قولهم بصحة إمامه المتقدمين لأنه لا منافاه بين كونه أحق و بين صحة إمامه غيره.

فإن قلت أى فرق بين أقواهم عليه و أعلمهم بأمر الله فيه قلت أقواهم أحسنهم سياسه و أعلمهم بأمر الله أكثرهم علما و إجراء للتدبير بمقتضى العلم و بين الأمرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا و لا يكون عالما بالفقه و قد يكون سائسا فقيها و لا يجرى التدبير على مقتضى علمه و فقهه .

و ثانيها أن الإمامه لا يشترط فى صحه انعقادها أن يحضرها الناس كافة لأنه لو كان ذلك مشروطا لأدى إلى ألا تنعقد إمامه أبدا لتعذر اجتماع المسلمين من أطراف الأرض و لكنها تنعقد بعقد العلماء و أهل الحل و العقد الحاضرين ثم لا يجوز بعد عقدها لحاضريها أن يرجعوا من غير سبب يقتضى رجوعهم و لا يجوز لمن غاب عنها أن يختار غير من عقد له بل يكون محجوبا بعقد الحاضرين مكلفا طاعة الإمامه المعقود له و على هذا جرت الحال فى خلافة أبى بكر و عمر و عثمان و انعقد إجماع المسلمين عليه و هذا الكلام تصريح بصحه مذهب أصحابنا فى أن الاختيار طريق إلى الإمامه و مبطل لما تقوله الإماميه من دعوى النص عليه و من قولهم لا طريق إلى الإمامه سوى النص أو المعجز .

و ثالثها أن الخارج على الإمام يستعقب أولا- بالكلام و المراسله فإن أبى قوتل و هذا هو نص الكتاب العزيز وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِخْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ (١) .

و رابعها أنه يقاتل أحد رجلين إما رجلا ادعى ما ليس له نحو أن يخرج على الإمام من يدعى الخلافه لنفسه و إما رجلا منع ما عليه نحو أن يخرج على الإمام رجل لا يدعى الخلافه و لكنه يمتنع من الطاعه فقط .

فإن قلت الخارج على الإمام مدع الخلافه لنفسه مانع ما عليه أيضا لأنه قد امتنع من الطاعه فقد دخل أحد القسمين فى الآخر .

ص: ٣٢٩

قلت لما كان مدعى الخلافه قد اجتمع له امران إيجابى و سلبى فالإيجابى دعواه الخلافه و السلبى امتناعه من الطاعه كان متميزا ممن لم يحصل له إلا القسم السلبى فقط و هو مانع الطاعه لا غير فكان الأحسن فى فن علم البيان أن يشتمل اللفظ على التقسيم الحاضر للإيجاب و السلب فلذلك قال إماما مدعيا ما ليس له أو مانعا ما هو عليه أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها خير ما تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ وَ خَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ وَ قَدْ فَتَحَ بَابَ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَ لَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصِيرِ وَ الصَّبْرِ وَ الْعِلْمِ [بِمَوَاقِع]

بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ فَاْمُضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَ لَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ غَيْرًا إِلَّا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصَابَتْكُمْ تَتَمَوَّنُهَا وَ تَزْعَبُونَ فِيهَا وَ أَصَابَتْكُمْ تَغَضُّبُكُمْ وَ تُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ لَا مَنْزِلِكُمْ الَّتِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَ لَا الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ إِلَّا وَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةِ لَكُمْ وَ لَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا وَ هِيَ وَ إِنَّ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَادَّتْكُمْ شَرَّهَا فَادْعُوا غُرُورَهَا لِتَحْدِيرِهَا وَ أَطْمَاعِهَا لِتُخْوِفِهَا وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَ انصبروا بقلوبكم عنها وَ لَا يَخُنُّ أَحَدُكُمْ خَيْنَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا وَ اسْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ إِلَّا وَ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ

أَلَا - وَ إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعِيدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ .

لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال أهل القبلة و إنما تعلموا فقه ذلك من أمير المؤمنين ع . و قال الشافعي لو لا على لما عرف شيء من أحكام أهل البغي .

قوله ع و لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر و الصبر و ذلك لأن المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة و أكبروه و من أقدم عندهم عليه أقدم على خوف و حذر فقال ع إن هذا العلم ليس يدركه كل أحد و إنما له قوم مخصوصون .

ثم أمرهم بالمضى عند ما يأمرهم به و بالانتها عما ينهاهم عنه و نهاهم عن أن يعجلوا بالحكم على أمر ملتبس حتى يتبين و يتضح .

ثم قال إن عندنا تغييرا لكل ما تنكرونه من الأمور حتى يثبت أنه يجب إنكارها و تغييرها أى لست كعثمان أصر على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كل ما ينكره المسلمون و يقتضى الحال و الشرع تغييره .

ثم ذكر أن الدنيا التى تغضب الناس و ترضيهم و هى منتهى أمانيتهم و رغبتهم ليست دارهم و إنما هى طريق إلى الدار الآخرة و مده اللبث فى ذلك الطريق يسيره جدا .

و قال إنها و إن كانت غراره فإنها منذره و محذره لأبنائها بما رأوه من آثارها فى

سلفهم و إخوتهم و أحبائهم و مناداتها على نفسها بأنها فاعله بهم ما فعلت بأولئك من الفناء و فراق المألوف .

قال فدعوا غرورها لتحذيرها و ذلك لأن جانب تحذيرها أولى بأن يعمل عليه من جانب غرورها لأن غرورها إنّما هو بأمر سريع مع التصرم و الانقضاء و تحذيرها إنّما هو لأمر جليل عظيم فإن الفناء المعجل محسوس و قد دل العقل و الشرائع كاهه على أن بعد ذلك الفناء سعادته و شقاوه فينبغى للعاقل أن يحذر من تلك الشقاوه و يرغب في تلك السعادته و لا سبيل إلى ذلك إلا برفض غرور الدنيا على أنه لو لم يكن ذلك لكان الواجب على أهل اللب و البصيره رفضها لأن الموجود منها خيال فإنّه أشبه شىء بأحلام المنام فالتمسك به و الإخلاق إليه حمق .

و الخنين صوت يخرج من الأنف عند البكاء و أضافه إلى الأمه لأن الإماء كثيرا ما يضربن فيبيكين و يسمع الخنين منهن و لأن الحره تأنف من البكاء و الخنين و زوى قبض .

ثم ذكر أنّه لا يضر المكلف فوات قسط من الدنيا إذا حفظ قائمه دينه يعنى القيام بالواجبات و الانتهاء عن المحظورات و لا ينفعه حصول الدنيا كلها بعد تضييعه دينه لأن ابتياع لذه متناهيه بلذه غير متناهيه يخرج اللذه المتناهيه من باب كونها نفعاً و يدخلها في باب المضار فكيف إذا انضاف إلى عدم اللذه غير المتناهيه حصول مضار و عقوبات غير متناهيه أعاذنا الله منها

١٣٦- من كلام له عليه السلام فى وصف بيعته ٣١

١٣٧- من كلام له عليه السلام فى شأن طلحه و الزبير ٣٣-٣٨

١٣٨- من خطبه له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم ٤٠-٤٧

١٣٩- من كلام له عليه السلام فى وقت الشورى ٤٩

١٤٠- من كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبه الناس ٥٩

١٤١- من كلام له عليه السلام فى النهى عن التسرع بسوء الظنّ ٧٢

١٤٢- من كلام له عليه السلام فى أمر من وضع المعروف عند غير أهله ٧٤

١٤٣- من كلام له عليه السلام فى الاستسقاء ٧٦-٧٧

١٤٤- من خطبه له عليه السلام فى بعته الأنبياء ثم استطرد إلى وصف بنى هاشم ٨٤-٨٨

١٤٥- من خطبه له عليه السلام فى الزهد، و ذكر البدع و السنن ٩١-٩٣

١٤٦- من كلام له عليه السلام و قد استشاره عمر فى الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٩٥

١٤٧- من خطبه له فى هدى الناس ببعته الرسول عليه السلام و ذكر من انحرف من القرآن، و فيها نبه الناس إلى مواطن الرشده و

الغى ١٠٣-١٠٦

١٤٨- من كلام له عليه السلام فى ذكر أهل البصره ١٠٩-

١٤٩- من كلام له عليه السلام قبل موته ١١٦-١١٧

١٥٠- من خطبه له عليه السلام يومئ فيها إلى الملاحم ١٢٦-١٣٢

ص: ٣٣٣

١٥١- من خطبه له عليه السلام فى التحذير من الفتن و غيرها ممّا يهلك ١٣٧-١٤٦

١٥٢- من خطبه له فى تمجيد الله و تعظيمه ١٤٧-١٥٢

١٥٣- من خطبه له عليه السلام فى تحذير الناس من الغفلة ١٥٧-١٦٠

١٥٤- من خطبه له عليه السلام فى وصف الداعى و وصف أهل البيت و ذكر لزوم العمل بالعلم و العلم بالعمل ١٦٤-١٧٩

١٥٥- و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش ١٨١-١٨٢

١٥٦- من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم ١٨٩-٢٠٣

١٥٧- و من كلام له عليه السلام حينما قام إليه رجل و سأله عن الفتنه ٢٠٥

١٥٨- من خطبه له عليه السلام فى وصف الدهر و التحفظ منه، و فيها جملة وصايا ٢٠٩-٢١٠

١٥٩- و من خطبه له عليه السلام فى حال الناس قبل البعثه و بعدها ٢١٧-٢١٨

١٦٠- من خطبه له عليه السلام فى وصف حاله مع أصحابه ٢٢١

١٦١- من خطبه له عليه السلام فى تعظيم الله، و فيها ذكر شخص يزعم أنه يرجو الله و هو لا- يعمل لرجائه، و فيها حث على

الافتداء بالأنبياء ٢٢٣-٢٢٩

١٦٢- من خطبه له عليه السلام، ذكر فيها الرسول عليه السلام و شرف أسرته ٢٣٧-٢٣٩ ١٦٣- من كلام له عليه السلام لبعض

أصحابه و قد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحق به؟ ٢٤١

١٦٤- من خطبه له عليه السلام فى تنزيه الله و تذكير الإنسان بهديه له فى سبيل معيشته ٢٥٢-٢٥٧

١٦٥- من كلام قاله عليه السلام لعثمان بن عفان، لما اجتمع عليه الناس و سألوه مخاطبته عنهم ٢٦١-٢٦٢

١٦٦- من خطبه له يذكر فيها عجيب خلقه الطاوس، و فيها وصف الجنه ٢٦٦-٢٧٨

١٦٧- من خطبه له عليه السلام، يوصى فيها بمكارم الأخلاق، و يوعد بنى أمته ٢٨٢

١٦٨- من خطبه له عليه السلام فى أول خلافته، و فيها حث على اتباع القرآن، و تأديه الفرائض ٢٨٨

١٦٩- من كلام له عليه السلام بعد ما بويغ له بالخلافه، و قد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان! ٢٩١

١٧٠- من خطبه له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصره ٢٩٥

١٧١- من كلام له عليه السلام لرجل من أهل البصره و قد أرسله قومه ليعلم حقيقه حاله مع أصحاب الجمل ٢٩٩

١٧٢- من كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين ٣٠١

١٧٣- من خطبه له عليه السلام، و فيها ذكر أصحاب الجمل ٣٠٤

١٧٤- من خطبته له عليه السلام، فيمن أحق بالخلافه، و فيمن يجب قتاله، و فيها ذمّ للدنيا و تزهيد فيها ٣٢٨-٣٣١

ص: ٣٣٥

فهرس الموضوعات

ذكر أطراف ممّا شجر بين علي و عثمان فى أثناء خلافته ٣-١٨

فصل فىما شجر بين عثمان و ابن عباس من الكلام فى حضره على ١٨-٢٤

أسباب المنافسه بين علي و عثمان ٢٤-٣٠

فصل فى الاعتراض و إيراد مثل منه ٤٢-٤٦

من أخبار يوم الشورى و توليه عثمان ٤٩-٥٨

أقوال مأثوره فى ذم الغيبه و الاستماع إلى المغتائبين ٦٠-٦٦

حكم الغيبه فى الدين ٦٦-٦٠

فصل فى الأسباب الباعثه على الغيبه ٦٩-٧١

طريق التوبه من الغيبه ٧١

الثواب و العقاب عند المسلمين و أهل الكتاب ٧٩-٨٣

اختلاف الفرق الإسلاميه فى كون الأئمه من قريش ٨٧-٨٨

يوم القادسيه ٩٦-٩٩

يوم نهاوند ٩٩-١٠١

من أخبار يوم الجمل ١١١-١١٢

مقتل طلحه و الزبير ١١٣-١١٥

عقيدته على فى عثمان و رأى المعتزله فى ذلك ١٥٣

فصل فى ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب ١٨٣-١٨٨

فصل فى ترجمه عائشه و ذكر طرف من أخبارها ١٩٠-١٩٩

نبذ من الأخبار و الآثار الوارده فى الابتعاد عن زينه الدنيا ٢٣٤-٢٣٦

حديث عن إمرئ القيس ٢٤٤-٢٤٥

موقف علي من قتله عثمان ٢٩٣-٢٩٤

ذكر يوم الجمل و مسير عائشه إلى القتال ٣١٠-٣٢٣

منافره بين ولدى علي و طلحه ٣٢٣-٣٢٤

منافره بين عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس ٣٢٤-٣٢٧

ص: ٣٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩